الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

انتصار القِلة المؤمنة على الكَثرة الكافرة في ضَوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

إعداد الطالبة :

نجوان فضل عبد الله جعفر

إشراف الدكتور :

جمال محمود الهُوبي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1430هـ - 2009 م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ
طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ
فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

[سورة البقرة: 249]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

إهداء إلى :

والديّ الكرام الأعزاء

الإخوان والأخوات والأقرباء

روح طارق وأرواح الشهداء

الجامعة الإسلامية الغراء

دار الأرقم رمز الجد والعطاء

أساتذة العلم والعلماء

كل عزيز وحبيب والأصدقاء

طلاب العلم النبلاء

كل مرابط بذل التضحية والفداء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر و تقدير

ولو أنني أوتيت كلُ بلاغة وأفنيت بحر النطق في النظم والنثر

لما كنت بعد القول إلا مقصرًا ومعترفًا بالعجز عن واجب الشكر

أشكر الله العظيم رب العرش الكريم الذي امتن عليّ بمواصلة درب العلم والعلماء ، وأحمده سبحانه حمد الشاكرين ؛ إذ هيأ لي السبل وذلل أمامي الصعاب ، فأشكره شكرًا تعجز الأقلام عن وصفه ، والألسنة عن ذكره .

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الدكتور الفاضل **جمال الهُوبي** ، الذي تفضل بقَبول الإشراف على رسالتي وأفادني المعلومات التي تتناسب مع البحث وتثريه ، والشكر موصول إلى الأستاذين الكريمين ، اللذين تكرما بقَبول مناقشة هذا البحث : **د. زكريا الزميلي** و **د. زهدي أبو نعمة** ، فجزاهما الله خيرًا وبارك في جهديهما .

والشكر الجزيل إلى الجامعة الإسلامية الغراء محضن العلم والعلماء ، وكلية أصول الدين والدراسات العليا فيها قسم التفسير وعلومه ، والهيئة التدريسية فيها من الأساتذة الكرام ، وكما أشكر الأعضاء العاملين في المكتبة المركزية وأخص بالذكر الأعضاء في قسم المراجع ، فبارك الله في الجميع .

وشكري العظيم إلى والديّ الكرام أبي الغالي وأمي الحنون ، اللذين تحملا معي مشقة البحث والسهر ، وأشكر إخواني وأخواتي وأخص بالذكر أخي **الشهيد طارق** الذي رحل في معركة الفرقان قبل أن يسعد بحضور مناقشتي ، وأشكر ابنة أخي سوسن .

والشكر موصول إلى إدارة مدرسة دار الأرقم النموذجية وأخص بالذكر مديرتي المدرسة وفاء أبو سيدو ونفين الزميلي .

كما أبعث بخالص الشكر والتقدير إلى الأخوات الفاضلات : سلوى أبو ججوح ، ومريم الفيايضة ، وإيمان نصّار ، ونفين القطاع ، وناريمان الغماري.

والشكر إلى كل مَنْ دعمني نفسيًا ومعنويًا أو ساعدني **بكتاب** أو دعوة في ظهر الغيب .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين ، الحمدُ لله حمد الشاكرين ، الحمدُ لله العزيز القوي المتين ، المتفرد بالقوة والعظمة والجبروت ، والصلاةُ والسلام على أشرف الناس أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين ، أما بعد :

فقد توالت سنة الله القوي في هذا الكون الفسيح على مر العصور والأزمان بتأييده لعباده المؤمنين بالنصر والتمكين وهزيمته وإهلاكه للكافرين المتغطرسين الذين يحاولون بسط قوتهم على مَن ليس لديه قوة وعتاد ، ولسان حالهم يقول : **مَن أشدُ منا قوة ؟؟؟** ، فإذا زعموا ذلك فقد خسئوا بذاك الزعم ؛ فإن المتتبع لسير التاريخ ليجد العجب العُجاب في انتصار عباد الله المؤمنين رغم قلة عددهم وعتادهم على أصحاب القوة والعتاد ، بل ويقف يحدوه الموقف ذهولاً ودهشة بسؤالٍ يراوده : كيف ذاك ؟ فيرجع بصدى صوتٍ يُجيبه : ولِمَ لا ؟ والله هو الناصر والمؤيد محق الحق ومبطل الباطل .

هذا ولعل المُتابع لغزوات الرسول ﷺ وبخاصة " غزوة بدر" ليرى تأييد الله ﷻ ونصره لعباده المؤمنين رغم قلتهم ، وخذلانه لأصحاب القوة والعتاد ، فإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على انتصارٍ لأصحاب العقيدة الراسخة في القلوب وهزيمةٍ لأصحاب الكفر المشركين ، ولعل تلك سنة من سنن الله ﷻ على أرضه في نصرة القِلة المؤمنة وهزيمة الكثرة الكافرة ، وجرت سنته تلك إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها ، وذلك بتحقيق وعده بالنصر للطائفة المنصورة التي بشر بها رسولنا محمد ﷺ بقوله : (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتيَ أمر الله وهم كذلك**) [1] .

هذا وإن قضية انتصار الضعيف المؤمن على القوي المشرك هي القضية التي يعيشها الشعب الفلسطيني في الوقت الراهن خاصة ، وباقي المسلمين في دول العالم عامة ، ولذلك شغلت فكر الباحثة فكانت تلك الدراسة **بعنوان** :

"انتصار القِلة المؤمنة على الكثرة الكافرة في ضوء القرآن الكريم" [دراسة موضوعية]

فالله أسأل أن يجعل التوفيق والسداد دربنا إنه وليّ ذلك والقادر عليه .

---

1 . صحيح مسلم : الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري االنيسابوري ، كتاب الإمارة ، باب قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم مَنْ خالفهم ، ص 764 ، ح 1920 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً : *أسباب اختيار الموضوع :*

1. قضية النصر والغلبة والتمكين ، هي القضية التي شغلت واقع المسلمين اليوم وفكرهم بسؤالٍ يراودهم دائمًا " **متى سينصرنا الله ﷻ؟** " .
2. بيان أن النصر والغلبة حليفٌ لمن اتبع دين الله ﷻ إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها .
3. حاجة الناس في الوقت الذي نعيشه إلى مَن يناصرهم بالقلم واللسان بعد حرمانهم المناصرة من باقي دول العالم بالسيف والسلاح .
4. الوضع الراهن الذي تعيشه القلة المؤمنة في الشعب الفلسطيني المسلم خاصة وباقي المسلمين عامة من استضعاف وتشريد وقتل وقصف وغيره .
5. تشجيع بعض الأساتذة والإخوة الكرام باختيار هذا الموضوع لما له من قيمة علمية بالغة فجزاهم الله خيرًا وسدّد دربهم وخطاهم .

ثانيًا : *أهمية الموضوع :*

1. إبراز سنة من سنن الله ﷻ الكونية على مر العصور بمناصرة ومساندة القلة المؤمنة .
2. تحقيق بشارة الله ﷻ بوعده للطائفة المنصورة في التمكين بالأرض .
3. يمثل هذا البحث لونًا من ألوان التفسير وهو التفسير الموضوعي .
4. رعاية الله ﷻ لعباده الضُعفاء على مر العصور والأزمان .
5. تزويد المكتبة الإسلامية برسالة علمية تُسهل على الدارسين دراساتهم فيما بعد .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا : ***أهداف الدراسة :***

1. ابتغاء مرضاة الله ﷻ ورضوانه .
2. تقديم دراسة موضوعية شاملة عن القلة والكثرة وما يتعلق بهما من أسباب النصر والهزيمة .
3. التطبيق العملي لأحد ألوان التفسير، وهو التفسير الموضوعي .
4. خدمة طلاب العلم والدارسين وتمهيد السُبل لهم حول متابعة هذا الموضوع لما له من أهمية بالغة .
5. بيان واجب المنصورين المستضعفين بعد نصر الله ﷻ لهم وهزيمة الأعداء وهلاكهم .
6. ربط الموضوع بواقع المسلمين في هذا العصر الذي تحياه الأمة .

رابعًا : ***منهج الباحثة :***

اعتمدت الباحثة المنهج الاستقرائي والتحليلي في الدراسة، وذلك من خلال الخطوات الآتية :

1. جمع الآيات وكتابتها بالرسم العثماني والاستدلال بها وعزوها إلى سورها.
2. تتبع الآيات الواردة بشأن القلة المؤمنة وانتصارها والكثرة الكافرة وهلاكها.
3. الرجوع إلى كتب التفسير والعقيدة والسيرة والتاريخ والقصص وغيرها مما له علاقة بموضوع الدراسة .
4. تفسير الآيات تفسيرًا موضوعيًا مع ربط الموضوع بواقع المسلمين اليوم .
5. الاستدلال بالأحاديث الشريفة ذات الصلة بالموضوع والقيام بتخريجها والحكم عليها ما أمكن ذلك .
6. الرجوع إلى كتب اللغة لبيان معاني الكلمات الغريبة وضبط الملبس منها .
7. ذكر بعض القصص القرآنية والتي لها علاقة بموضوع الدراسة .
8. بيان واجب المنصورين بعد نصر الله لهم وهزيمة الأعداء .
9. ترجمة الأعلام المبهمة الواردة في البحث .
10. تذييل البحث بالفهارس الخاصة بموضوع الدراسة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا : الدراسات السابقة :

لقد شغلت قضية النصر والتمكين فكر بعض الباحثين ، ولكــن أن تــشغل قضية القلة المؤمنة والكثرة الكافرة أفكارهم واهتماماتهم فــذاك بعيــد ؛ إذ بعــد البحث والتحري عن دراسة شاملة مستقلة موضوعية تشمل ما يختص بانتــصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، وبعــد مراســلة مركــز فيــصل للبحــوث والدراسات فلم تجد الباحثة حول هذا الموضوع إلا ما يتعلق به تعلقًا يسيرًا ممــا يختص بالنصر وأسبابه والهزيمة وأسبابها ، لذا فالله أسأل أن تكون هذه الدراسة موفقة شاملة محكمة ، حيث جاءت **بعنوان :**

انتصار القلة المُؤمنــة علــى الكثــرة الكافــرة

فِي ضَوءِ القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا : *خطة البحث :*

تتكون خطة البحث من مقدمــة وتمهيـد وأربعــة فــصول وخاتمــة وفهــارس .

❖ *المقدمة :*

وتشمل أسباب اختيار البحث وأهميته وأهدافه ومنهج الباحثة والدراسات الــسابقة .

❖ *التمهيد :*

وفيه ***" وقفات مع مصطلحات البحث "***

أولــاً : تعريف " **النصر** " لغة واصطلاحًا وبيان مشتقاتها.

ثانيــاً : تعريف " **القِــلة** " لغة واصطلاحًا وبيان مشتقاتها.

ثالثــاً : تعريف " **الكــثرة** " لغة واصطلاحًا وبيان مشتقاتها.

رابعًا : تعريف " **التمكين** " لغة واصطلاحًا وبيان مشتقاتها .

❖ *الفصل الأول :*

" صفات القِلة المُؤمنة والكثرة الكافرة وأقسامهما "

وفيه مبحثان :

<u>**المبحث الأول**</u> : صفات القِلة المؤمنة وأقسامها .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صفات القِلة المؤمنة .

وفيه ما يلي :

أولــاً : الإسلام والإيمان .

ثــانيــاً : الطاعة لله ورسوله .

ثــالثــاً : الأخلاق الحسنة .

رابعــاً : الدعوة إلى الله ونصرة الدين .

خامسًا : الثبات رغم حالة الضعف .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : أقسام القِلة المؤمنة .

وفيه ما يلي :

أولاً : الرجال المستضعفون والولدان والنساء .

ثانيًا : الأنبياء والرسل وورثتهم .

المبحث الثاني : صفات الكثرة الكافرة وأقسامها .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : صفات الكثرة الكافرة .

وفيه ما يلي :

أولاً : الكفر .

ثانيًا : الفسق .

ثالثًا : الطغيان .

رابعًا : الضلال .

خامسًا : الترف .

سادسًا : الظلم .

سابعًا : الكِبر .

المطلب الثاني : أقسام الكثرة الكافرة .

وفيه ما يلي :

أولاً : أئمة الكفر .

ثانيًا : الملأ .

ثالثًا : القوم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ الفصل الثانـي :

" أسباب الصراع بين القِلة المؤمنة والكثرة الكافرة "

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الصراع من أجل الدين .

و فيه مطلبان :

المطلب الأول : نصر القِلة المؤمنة للإسلام .

المطلب الثاني : نصر الكثرة الكافرة للكفر .

المبحث الثاني : الصراع من أجل الدنيا .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التزام القِلة المؤمنة بالعدالة وحفظ الحقوق .

المطلب الثاني : احتكار الكثرة الكافرة لمصالحهم الدنيوية بالباطل .

❖ الفصل الثالث :

" أسباب انتصار القلة المؤمنة وهزيمة الكثرة الكافرة "

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الأسباب البشرية للنصر .

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : نصرة القِلة المؤمنة لدين الله .

المطلب الثاني : طاعة الله ورسوله والأمير.

المطلب الثالث : الإعداد .

المطلب الرابع : الصبر والتوكل .

المطلب الخامس : بذل الجهد .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : الأسباب الإلهية للنصر .

وفيه تسعة مطالب :

المطلب الأول : معية الله .

المطلب الثاني : الإمداد بالملائكة .

المطلب الثالث : التغشية بالنُعاس .

المطلب الرابع : المطر .

المطلب الخامس : إلقاء الرعب.

المطلب السادس : الرمي بالتراب أو الحصى .

المطلب السابع : تأييد الله بالنصر والمؤمنين وتأليف قلوبهم .

المطلب الثامن : توهين كيد الكافرين .

المطلب التاسع : التقليل والتكثير في الأعين .

المبحث الثالث : ***أسباب هزيمة الكثرة الكافرة .***

المطلب الأول : **الأسباب البشرية للهزيمة**

وفيه ما يلي:

أولًا : الكفر .

ثانيًا : المعاصي .

المطلب الثاني : **الأسباب الإلهية للهزيمة .**

وفيه ما يلي :

أولًا : تأييد الضعفاء بأسباب النصر .

ثانيًا : كتابة الهزيمة عليهم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ ***الفصل الرابع :***

" ***نتائج انتصار القِلة المؤمنة وهزيمة الكثرة الكافرة*** "

وفيه مبحثان :

<u>**المبحث الأول**</u> **: نتائج انتصار القِلة المؤمنة .**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التمكين لدين الله وللقِلة المؤمنة في الأرض .

المطلب الثاني : إفساح المجال للناس للدخول في دين الله أفواجًا .

<u>**المبحث الثاني**</u> **: نتائج هزيمة الكثرة الكافرة .**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :إزهاق وإذلال الكفر .

أولاً : تدمير رموز الكفر (الأصنام).

ثانيًا : تدمير دولة وسلطان الكفر .

المطلب الثاني : إزهاق وإذلال الكفار.

❖ ***الخاتمة :***

وفيها أهم النتائج والتوصيات وخلاصة البحث .

❖ ***الفهارس :***

أولاً : فهرس الآيات القرآنية .

ثانيًا : فهرس الأحاديث النبوية .

ثالثًا : فهرس المراجع .

رابعًا: فهرس المحتويات .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ *التمهيد :*

وفيه " ***وقفات مع مصطلحات البحث*** "

أولــــاً : تعريف " **النصر** " لغة واصطلاحًا وبيان مشتقاتها.

ثانيــا : تعريف " **القِــــلة** " لغة واصطلاحًا وبيان مشتقاتها.

ثالثــاً : تعريف " **الكــثرة** " لغة واصطلاحًا وبيان مشتقاتها.

رابعًا : تعريف " **التمكين** " لغة واصطلاحًا وبيان مشتقاتها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمهيد

وقفات مع مصطلحات البحث

أولاً : تعريف القِلة :

أ) تعريف القِلة لغة :

قلّ : " القاف واللام أصلان صحيحان يدل أحدهما على ندارة الشيء، والآخر على خلاف الاستقرار وهو الانزعاج، فالأول قولهم : قل الشيء يقلّ قِلّة فهو قليل، وأما الأصل الآخر فيقال : تقلقل الرجل وغيره إذا لم يثبت في مكان " (1) .

والقِلةُ خلاف الكثرة، والقُلُّ : خلاف الكُثْر، وأقلَّ : أتى بقليل وأقلَّ منه : تقَلَّه . واستقله : رآه قليلاً . (2)

وجمع القلة قِلَل ، والأقلية خلاف الأكثرية وجمعها أقليات .
والقليل ضد الكثير والنادر جمعه أقلّاء ، وقُلُل ، ويقال : قومٌ قليل أيضًا .
أما عن اشتقاقات مصطلح القلة : القلال وقِلالةُ والقِلُ والقَلَّةُ والقُلّةُ والقِليةُ (3) .
وقد قيل القليل والكثير إنما يُعرَفان بالإضافة (4) .

الخلاصة : إن القِلة خلاف الكثرة، وجمعها قِلَل ، ومشتقات لفظة القلة عديدة ومنها القليل والقلال والقِل وقلالة والقُلة وغيرها من المشتقات التي لها علاقة بلفظة القلة .

---

1 . معجم المقاييس في اللغة :لأبي الحسين أحمد بن فارس ، ص 852 ، ط 1 ، 1415هـ 1994 م ، دار الفكر .

2 . انظر : لسان العرب للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور 11 / 671 – 675 ، ط 1 دار الكتب العلمية 1424 هـ – 2003 م . وكتاب الإفصاح في فقه اللغة : حسين موسى وعبد الفتاح الصعيدي، 2 / 1371 ، ط 1 ، دار الفكر العربي .

3 . انظر: المعجم الوسيط ، 2 / 785 -786 ، ط 3 مجمع اللغة العربية . و مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ص 298 ، 1425 هـ – 2004 م ، دار الحديث – القاهرة .

4. منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : ابن الجوزي ، ص 196 - 197 ، منشأة المعارف بالإسكندرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب) وجوه استعمال القرآن للفظة " القِلة " :

لقد أورد البلخي[1] ستة وجوه للفظة " القليل " في القرآن الكريم، وهي :

الأول : القليل يعني يسير، ومنه قوله تعالى : ﴿ **لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً** ﴾ [سورة البقرة : 79] يعني عرضًا من الدنيا يسيرًا .

الثاني : القليل يعني رياء وسمعة، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [النساء : 142] يعني رياءً وسمعة .

الثالث : يعني لا شيء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ** ﴾ [الأعراف : 10] يعني أنهم لا يشكرون البتة .

الرابع : قليل يعني القليل في الكثير، فذلك قول فرعون في سورة الشعراء لموسى – عليه السلام – ومن معه ﴿ **إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ** ﴾ [الشعراء : 54] يقولون هم قليل في الكثير .

الخامس : قليل يعني ثلاثمائة وثلاثة عشر ومنه قوله تعالى : ﴿ **فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [سورة البقرة :249] يعني ثلاثمائة وثلاثة عشر كعدة أصحاب النبي ﷺ يوم بدر .

السادس: القليل يعني ثمانين ، فذلك قوله في هود لأصحاب سفينة نوح عليه السلام ،حيث قال تعالى : ﴿ **وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ** ﴾ [هود : 40] .[2]

ولقد أضاف ابن الجوزي على ذلك وجهين آخرين ، هما :

السابع : القليل يعني أهل الكتاب، ومنه في سورة الكهف قال تعالى : ﴿ **مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾ [الكهف 22] .

الثامن : القليل يعني أيام الدنيا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً** ﴾ [التوبة : 82] [3] .

---

1 . البلخي : (150هـ – 767م) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء ، البلخي ، أبو الحسن ، من أعلام المفسرين ، أصله من بلخ انتقل إلى البصرة ، ودخل بغداد فحدّث بها وتوفي بالبصرة ، من كتبه التفسير الكبير – الناسخ والمنسوخ ، ومتشابه القرآن . الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : خير الدين الزركلي ، 7 / 281 ، ط 8 ، 1989 م ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان .

2. انظر الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : مقاتل بن سليمان البلخي ، دراسة وتحقيق د. عبد الله شحاتة ، ص 288 – 289 ، دار غريب .

3. انظر : منتخب قرة العيون : ابن الجوزي ، ص 196 - 197 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قلت : فبالجمع بين الوجوه السابقة نخلص إلى أن لفظ القلة ورد في القرآن الكريم بثمانية وجوه، وأقرب الوجوه المناسبة لموضوع الدراسة الوجه الرابع ، ويعني القليل في الكثير؛ لأننا بصدد الحديث عن صفات المؤمنين وكيفية نصرتهم ونجاتهم من الكافرين رغم قلتهم ، فكان بذلك أنسب الوجوه لدراستنا ؛ حيث قال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ** ﴾ [الشعراء : 54] ، فقوله " **قليلون** " " اعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل " [1] هذا إن دل إنما يدل على أن المراد بالقِلة قلة العدد .

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن القرآن الكريم استعمل لفظة القِلة بمعاني استعملتها العرب في لغتها .

ج) تعريف القِلة اصطلاحًا :

القِلة : هي العدد القليل الذي **يقابل الكثرة ، و كتب الله ﷻ له الغلبة والنصر على عدوه بصفات ومؤهلات أوجبت له ذلك** . كما في قوله تعالى : ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [سورة البقرة : 249] .

ثانيًا : **تعريف النصر :**

أ) تعريف النصر لغة :

نصر : " النون والصاد والراء أصلٌ صحيح يدل على إتيان خيرٍ وإيتائه، ونصرُ الله المسلمين آتاهم الظفر على عدوهم ينصرهم نصرًا " . [2]

" والنصر إعانة المظلوم ، نصره على عدوه ينصره ونصره ينصره نصرًا ، ورجل ناصر من قوم نُصّار ونَصْر مثل صاحب وصحْب وأنصار، والاسم النصرة وحسن المعونة " [3] .

" والفاعل ناصر ونصير ، والجمع أنصار ونُصّار " [4] .

" ومن مشتقات مصطلح النصر ناصرة ، وانتصر ، تناصر القوم أي نصر بعضهم بعضًا، ويقال تناصرت الأخبار أي صدّق بعضها بعضًا، تنصّر : عالج النصر ودخل في النصرانية ، استنصر بفلان أي استغاث به، والأنصار أهل مدينة الرسول الذين ناصروه حين هاجر إليهم

---

1 .أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبي سعيد عبد الله ابن أبي عمر محمد الشيرازي البيضاوي ، 4 / 239 ، 1416 هـ – 1996م ، دار الفكر .

2. معجم المقاييس في اللغة : لابن فارس، ص 1030 – 1031 .

3. لسان العرب : ابن منظور، 5 / 157 – 158 ، و الإفصاح في فقه اللغة : الصعيدي وموسى 1 / 629 .

4 . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن عليّ المقري الفيومي ، 2 / 276 – 277 ، دار الفكر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهم خلاف المهاجرين ، النصُّرة : النصرُ والعون ". [1]
ولقد ورد النصر بمعنى العطاء، ويقال للمطر نصرًا ونُصرت الأرض فهي منصورة، والنصر العون، والنصر إتيان الخير فالعرب تقول نصرت بلد كذا : إذا أتيته . [2] وكذلك " النصر بمعنى الفوز والغلبة " . [3]

وأقرب المشتقات لموضوع الدراسة هو " **نصر الله المسلمين** " أي إذا آتاهم الظفر على عدوهم ينصرهم نصرًا ، كيف لا، وموضوعنا هو " انتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة " ؟ والانتصار في هذا المقام هو الانتصار على الأعداء .

ب) وجوه استعمال القرآن للفظة " النصر" :

لقد ورد لفظ النصر في القرآن الكريم بأربعة وجوه ، وهذا ما ذكره صاحب الأشباه والنظائر في كتابه ، وهي :

الأول : النصر يعني المنع : وذلك في قوله تعالى :﴿ **وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾ [سورة البقرة : **48**] .

الثاني : النصر يعني العون : وذلك في قوله تعالى :﴿ **وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ** ﴾ [الحشر : **12**] .

الثالث : النصر يعني الظفر : وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ** ﴾ [آل عمران : **126**] .

الرابع : النصر يعني الانتقام : وذلك في قوله تعالى :﴿ **وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ** ﴾ [الشورى : **41**] [4] .

وأرى أن أقرب الوجوه السابقة إلى موضوع الدراسة هو الوجه الثالث الوارد في معنى " الظفر " في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ** ﴾ [آل عمران : **126**] . فهو أنسب إلى ظفر المسلمين بأعدائهم وانتصارهم عليهم .

---

1 . المعجم الوسيط : 2 / 962 – 963 ، وتهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، 12 / 159 – 161 ،الدار المصرية ، ولسان العرب : ابن منظور، 5 / 157 – 158 .

2 . انظر: معجم المقاييس في اللغة : ابن فارس، ص 1030 – 1031 ، و مجمل اللغة : ابن فارس ، 3 / 870 ، و العين :الخليل بن أحمد الفراهيدي ، 7 / 108 – 109 ، ط1 ، 1408هـ – 1988 م ، مؤسسة الأعلمي بيروت – لبنان .

3 . المرام في المعاني والكلام القاموس الكامل : د. مؤنس رشاد الدين ، ص 849 ، ط 1 ، 1420 هـ / 1421 هـ – 2000م ، بيروت .

4 . انظر : البلخي ، ص 235 – 236 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر صاحب الكليات تعريفًا للنصر بقوله " هو أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضُر " [1] .

قلت : لمّا كان النصر مختصًا بدفع الضُر فبه يكون تحقيق الظفر والغلبة على الأعداء، بغض النظر عن العدد ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ** ﴾ [آل عمران : 123] قال الصابوني في هذه الآية : " أي نصركم يوم بدر مع قلة العدد والسلاح لتعلموا أن النصر من عند الله لا بكثرة العدد والعُدد " . [2]

وهذا ما نريد بيانه في موضوع الدراسة من انتصار القِلة المؤمنة على الكثرة الكافرة .

ج) تعريف النصر اصطلاحًا :

هو " التأييد وحُسن المعونة من الله للعبد سواء في مواطن القوة أو الضعف طالما يتحقق العبد بنصرة ربه ورسله وشرعه " . [3]

ويمكنني تعريف النصر **اصطلاحًا** وهو : **ظُفر المسلمين وغلبتهم بدفع الضُر عنهم بكافة الوسائل المادية والمعنوية وإلحاق الهزيمة و الضُر والخسائر بالأعداء بأمر الله ﷻ.**

حيث قال تعالى : ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ** ﴾ [آل عمران : 126] .

ثالثًا : تعريف الكثرة :

أ) تعريف الكثرة لغة :

كثر : " الكاف والثاء والراء أصلٌ صحيح يدلُ خلاف القِلة من ذلك الشيء الكثير وقد كثُر ، ثم يُزاد فيه للزيادة في النعت ، فيقال : الكوثر ، الرجل المعطاء وهو فوعلٌ من الكثرة . [4] وكاثرناهم فكَثرناهم ، وكُثْرُ الشيء : أكثره ، ورجلٌ مِكثرٌ من المال ومكثورٌ عليه إذا كَثُرَ طلاب معروفه ، وأكثرتُ الشيء إكثارًا، وكَثَّرتُه تكثيرًا والكثر من المال : الكثير . ورجلٌ مِكثارٌ

---

1. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكَفوي ، ص 909 ، ط 2 ، 1431 هـ – 1993 م مؤسسة الرسالة.
2. صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني ، 1 / 228 ، ط 9 ، دار الصابوني .
3. السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم " أصول وضوابط " : محمد محمد عاشور ، ص 349 ، دار السلام .
4. معجم المقاييس في اللغة :ابن فارس ، ص 918 – 919 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وامرأة كذلك للكثيري الكلام. [1] ومنها التكاثر المكاثرة وهو قوله تعالى : ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ** * ﴾ [التكاثر : 1 – 2] ، واستكثر من الشيء : رغب في الكثير منه وأكثر منه أيضًا . [2] " ويقال كاثر بنو فلان بني فلان فكثروهم أي كانوا أكثر منهم ، وعددٌ كاثِرٌ أي كثيرٌ " . [3]

ومن اشتقاقاتها ، " الكَثَر بفتحتين جُمّار النخل وقيل طلعها " [4] . " ومنه الأكثرية أي الأغلبية والكُثار الكثير ويقال في الدار كُثارٌ جماعات وهو نقيض القليل ، والكثيراء ، المِكثار، المُكثير، المكثور رجلٌ مكثور : أي مغلوب في الكثرة " [5] . وعُرفت : " الكُثر بالضم هو معظم الشيء وأكثره " [6] .

إذن تخلص الباحثة مما سبق أنّ الكثرة لغة خلاف القِلة وهي أصلٌ صحيح له مشتقات كثيرة منها الكثر والمكثير والمكثور والكوثر والمكثار والأكثرية والكَثَر وكاثرة وتكثر، وغيرها من المشتقات ذات الصلة بالمصطلح .

ب) تعريف الكثرة اصطلاحًا :

وأرى أنّ الكثرة عبارة عن الجمع الكبير الذي في نماء وزيادة ، وكتب الله له الهزيمة على يد الفئة المؤمنة. حيث قال تعالى : ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [سورة البقرة : 249] وهذا المعنى ليس على إطلاقه ، وإنما تجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذا المعنى هو الوارد في الآية ، والذي يتمشى مع موضوع الدراسة .

---

1. انظر : المحيط في اللغة : إسماعيل بن عباد، ص 240- 241 ، ط 1، 1414 هـ – 1994 م ، عالم الكتب
2. انظر : لسان العرب :ابن منظور ، 5 / 246 – 250 ، القاموس المحيط :الفيروزآبادي، 2 / 129 .
3. مجمل اللغة : ابن فارس، 3 / 778 .
4. مختار الصحاح :الرازي ، ص 305- 306 .
5. المعجم الوسيط : 2 / 808 .
6. القاموس المحيط : الفيروز آبادي ، 2 / 129 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا : تعريف التمكين :

أ) تعريف التمكين لغة :

مَكُنَ : فلان عند الناس مكانة : أي عظُم عندهم فهو مَكينٌ والجمع مُكناء ، وأمكنه من الشيء أي جعل عليه سلطانًا وقدرة، ويقال فلان لا يمكنه النهوض أي لا يقدرُ عليه، وتَمكَّن عند الناس أي علا شأنه ، ومن المكان أي اسم لما يستقر فيه ، ومن الشيء أي قَدَر عليه أو ظفر به ، واستمكن من الشيء أي تمكن .[1]

" ومكَّنه الله من الشيء تمكينًا وأمكنه منه بمعنىً، والمكنة بكسر الكاف واحدة المكِن " [2] .

" ومنها مُكُن جمع مكان، ومنها المكانة أي التُؤدة وقد تمكن ومر مَكِينته أي على تؤدته . والمكانة المنزلة عند المَلك والجمع مكانات ولا يجمع جمع تكسير، وقد مَكُنَ مكانةٌ فهو مكين ، والجمع مُكنَاء وتَمكّنَ كمتمكن، والمتمكن من الأسماء ما قبل الرفع والنصب والجر لفظًا كقولك زيدٌ وزيدًا وزيدٍ . ومنها المَكْنانُ [3] بالفتح والتسكين " [4] .

" والمكِنَة آلة أو جهاز من الصُلب أو نحوه تديره اليد أو الرجل أو قوة بخارية أو كهربية وتؤدي عمل معين ويحدد اسمها بالإضافة فيقال مَكِنة خياطة أو مكِنة طَحن أو مَكنة طباعة وهكذا وجمعها مكِنات ومكِان " . [5]

قلت : إن ما يناسب موضوع الدراسة حول لفظة **التمكين** هو ما يؤدي معنى المكان ، والتمكين في الشيئ ، فمن تمكن في المكان واستقر فيه مكنه الله منه وجعل له عليه سلطانًا وقدرة .

ب) تعريف التمكين اصطلاحًا :

فسر الزمخشري التمكين بأن يجعل الله لهم الأرض بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم ؛ كما كانت أيام الجبابرة ، وينفذ أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم [6] .

1.انظر: المعجم الوسيط : 2 / 917 .

2. مختار الصحّاح : الرازي، ص 339 .

3. المكْنان : نبت ينبت على هيئة ورق الهِندباء ورقه فوق بعض وهو كثيف وزهرته صفراء ومنبته القنان ولا صيُّور له وهو أبطأ عشب الربيع وذلك لمكان لينه وهو عشب ليس من البقل . لسان العرب : ابن منظور ، 13 / 511 .

4 . مجمل اللغة : ابن فارس، 3 /837 – 838 . و لسان العرب : ابن منظور، 13 / 507 ,511 .

5. انظر : المعجم الوسيط : 2 / 917 .

6 .انظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : محمود بن عمر الزمخشري3 / 872 – 873 ، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال البيضاوي : " وأصل التمكين أن تجعل للشيء مكانًا يتمكن فيه ثم استعيد للتسليط وإطلاق الأمر " [1] . وورد في المعجم تعريف للتمكين وهو " علو الشأن والمنزلة " [2] .

وذكر بعض العلماء **تعريفين للتمكين** وهما :

1. عند أهل الله : " مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين ؛ لأنه يرتقي من حال إلى حال وينتقل من وصف ٍ إلى وصف فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين " .

2. " التمكن من الشيء هو أن يكون للإنسان عليه قدرةٌ وسلطان " [3] .

و**عُرِف** بأنه " السعي الجاد من أجل رجوع الأمة إلى ما كانت عليه من السلطة والنفوذ والمكانة في دنيا الناس " [4] .

وعرفه الأستاذ محمد السيد محمد يوسف بقوله : " هو دراسة الأسباب التي أدت إلى زوال التمكين عن الأمة الإسلامية والمقومات التي تُرجع الأمة إلى التمكين، والعوائق التي تعترض العمل للتمكين ودراسة طبيعة الطريق إلى التمكين وكذلك المبشرات على هذا الطريق " [5] .

قلت : وهذا التعريف يختص بدراسة الأسباب والوسائل التي تعين على التمكين في الأرض وعدم زواله . **و عُرف بأنه** : " غلبة المؤمنين عدوهم دون قتال خاصةً إذا كان المسلمون لا يملكون وسائل النصر المادية وأسبابه القتالية لذلك كانت أسباب التمكين في الأرض معنوية " [6]. **وترى الباحثة أن التمكين** : هو الاستقرار في الأرض وعلو الشأن والمنزلة بصفاتٍ وأسباب ووسائل وجبت للمتمكن . حيث قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ...** ﴾ [الحج :41] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً** ﴾ [الكهف : 84] .

---

1. أنوار التنزيل :البيضاوي ، 4 / 283 .
2. انظر: المعجم الوسيط : 2 / 917 .
3. التوقيف على مهمات التعاريف معجم لغوي مصطلحي : محمد عبد الرؤوف المناوي ص 206- 207 ، ط 1 ، 1990 م إعادة 1423 هـ – 2002 م ، دار الفكر المعاصر – لبنان ، دار الفكر دمشق – سورية . و معجم التعاريف عليّ بن محمد السيد الشريف الجرجاني ص60 دار الفصيلة .
4. فقه التمكين في القرآن الكريم أنواعه ، شروطه ، وأسبابه، مراحله وأهدافه : د. عليّ محمد الصلابي ، ص 16 ، دار الوفاء ط 1 ، 1421 هـ – 2001 م .
5. التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد السيد محمد يوسف ، ص 13 ، دار السلام ط 1 ، 1418 هـ – 1997 م .
6. السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط : د . مجدي محمد عاشور ، ص 409 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً : الإعجاز البياني في ترتيب المصطلحات السابقة : " قِلة – نصر – كثرة – تمكين " :

إنّ هناك سرًا عظيمًا في ترتيب المصطلحات السابقة : " **قِلة – نصر – كثرة – تمكين** " بموضوع الدراسة ، فعنوان الدراسة : " **انتصار القِلة المؤمنة على الكثرة الكافرة** " فإنّ المتدرج لحال المسلمين على عهد النبي ﷺ يجد أنهم كانوا قلة مستضعفة ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [الأنفال : 26] ورغم قلة عددهم إلا أنه تحقق لهم النصر من الله ﷻ وعندما ازداد عددهم تحقق أيضًا لهم النصر ، حيث قال الرازي في الآية السابقة " إنهم كانوا إذا خرجوا من بلدهم خافوا أن يتخطفهم العرب ؛ لأنهم كانوا يخافون من مشركي العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم ... " [1] .

وقال السعدي فيها أيضًا : " يمتن الله ﷻعلى عباده المؤمنين بأن نصرهم بعد الذلة ، وكثرهم بعد القلة ، وأغناهم بعد العيلة ، فجعل لهم بلدًا يأوون إليه ، ونصرهم على عدوهم وأغناهم بالأموال، وكل ذلك حتى يشكروا الله على منته العظيمة وإحسانه التام بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا " . [2] فلقد كانوا في البداية قِلة مستضعفة في مكة ، ثم آواهم ومكن لهم في المدينة المنورة ، وبعد ذلك أكرمهم بالفتح العظيم فتح مكة حيث قال تعالى : ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...** ﴾ [الفتح : 1 – 3] فهذه السورة تحدثت عن صلح الحديبية الذي تم بين الرسول ﷺ وبين المشركين سنة ست من الهجرة والذي كان بداية للفتح الأعظم فتح مكة حيث فتح الله ﷻ عليهم مكة وطهرها من رجس الأوثان وبه تم العز والنصر والتمكين للمؤمنين ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا [3] .

ولقد تعمدتُ أن يتوسط " النصر " القِلة والكثرة ؛ لأن النصر يتحقق للفئة المؤمنة القليلة أو الكثيرة ثم بعد النصر يكتب الله ﷻ لأيٍ من الفئتين القليلة والكثيرة " التمكين في الأرض " ويجعل لها استقرارًا وتعلو منزلتها ويرتفع شأنها أمام الأعداء . فمن ذلك تخلص الباحثة بالعلاقة الوثيقة والسرّ في ترتيب المصطلحات السابقة " قلة–نصر–كثرة–تمكين " ومدى مناسبتها مع موضوع الدراسة : " **انتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة في ضوء القرآن الكريم** " [دراسة موضوعية] .

---

1. التفسير الكبير : الفخر الرازي ، 15 / 150 – 151 .
2 . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، 329 – 330 ،دار الحديث – القاهرة.
3. انظر : والتفسير الكبير : الفخر الرازي ،28 / 77 – 79 ، و صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني ، 3 / 216 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ الفصل الأول :

" صفات القِلة المُؤمنة والكثرة الكافرة وأقسامهما "

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : صفات القِلة المؤمنة وأقسامها .

المبحث الثاني : صفات الكثرة الكافرة وأقسامها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول : صفات القِلة المؤمنة وأقسامها .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صفات القِلة المؤمنة .

أولاً : الإسلام والإيمان .

ثانيًا : الطاعة لله ورسوله .

ثالثًا : الأخلاق الحسنة .

رابعًا : الدعوة إلى الله ونصرة الدين .

خامسًا : الثبات رغم حالة الضعف .

المطلب الثاني : أقسام القِلة المؤمنة .

أولاً : الرجال المستضعفون والنساء والولدان.

ثانيًا : الأنبياء والرسل وورثتهم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

صفات القِلة المؤمنة والكثرة الكافرة وأقسامهما

سنتحدث في هذا الفصل عن أهم صفات القِلة المؤمنة والكثرة الكافرة وأقسامهما . وسنفرد الحديث في بداية الأمر عن القِلة المؤمنة وما ميزها الله ﷻ به عن غيرها من الفئات الأخرى حتى كُتب لها النصر على الأعداء والتمكين في الأرض.

المبحث الأول : صفات القِلة المؤمنة وأقسامها :

المطلب الأول : صفات القِلة المؤمنة ، وفيه ما يلي :

أولاً : الإسلام والإيمان :

بادئ ذي بدء ، وقبل الحديث عن هاتين الصفتين للفئة المؤمنة كان لا بد من بيان تعريف الشرع لكل منهما على حدة، لأن قضية الإسلام والإيمان هي القضية الحاسمة التي ميز الله بها المؤمن على الكافر، وعليهما يرتكز كل شيء في حياة الإنسان، فبالإسلام والإيمان يتحدد مصير الإنسان وحاله، وأيهما يستحق العناية الربانية حتى يكتب الله له نصرًا وتمكينًا ، وأيٌ لا يستحق حتى لا ينصره الله ﷻ... ؟ .

أ) تعريف الإسلام والإيمان :

1- تعريف " **الإسلام** " : عرفه الطبري بـ " الانقياد بالخضوع وترك الممانعة " [1] .

ويقول سيد قطب – رحمه الله – عن الإسلام : " إنما الإسلام الاستسلام ،الإسلام الطاعة والاتباع ، الإسلام تحكيم كتاب الله في أمور العباد " [2] .

2- تعريف " **الإيمان** " :

جمهور أهل السنة على أن : " الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان " [3] .

ويقول سيد قطب عن الإيمان " وإن الإيمان ليس كلمات تقال ولا مشاعر تجيش ، ولا شعائر تقام ، ولكنه طاعة لله والرسول وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول " [4] .

---

1 . جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ابن جرير الطبري ، 3 / 212 ، دار الفكر .

2. في ظلال القرآن : سيد قطب ، 1 / 38 ، ط 35 ، 1425 هـ – 2005 م دار الشروق .

3 . مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية مبادئ وآثار : محمد حافظ صالح الشريدة، 60 ، ط 1 ، 1404 هـ – 1984 م .

4 . الظلال : 1 / 387 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3 – العلاقة بين الإسلام والإيمان :

لقد ذكر ابن مندة " أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد ، وأن الإسلام الإقرار باللسان والعمل بالأركان ، والإيمان اعتقاد بالقلب " [1] .

ويقول د. نسيم ياسين : " إن الإيمان أخص من الإسلام فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا ، فالإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، ولهذا يمكن أن تطلق كلمة المسلم ويراد بها المؤمن " [2] .

خلاصة القول بين المعنيين :

إن الإسلام والإيمان بمعنى واحد ، وكل منهما يشمل الاعتقاد والإقرار والعمل بالجوارح ، مثل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً ...**﴾ [الأنفال : 2 – 4] ، فقد جمع الله ﷻ في هذه الآيات بين عمل القلب وعمل الجوارح ،ولقد فرق النبي ﷺ بين معنى الإسلام ومعنى الإيمان عندما سئل عنهما في حديث جبريل المشهور، فبين أن الإسلام يتمثل في الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، أما الإيمان فيتمثل بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره فهذه قرينة واضحة تصرف كل منهما عن معناهما الاصطلاحي إلى المعنى اللغوي المجازي ؛ لذا فالإسلام والإيمان بمعنى واحد إن غابت القرينة ومعنيان مختلفان إن وجدت ، فإذا قلت فلان مسلم فلا تنفي عنه الاعتقاد ، وكذلك إن قلت فلان مؤمن فلا تنفي عنه العمل بالجوارح [3] .

قلت : والرأي الراجح الذي أراه مناسبًا بين المعنيين هو ما يتمثل في حديث النبي ﷺ المشهور؛ حيث فرق فيه بينهما ، فقال فإن وجدت القرينة فهما معنيان مختلفان ، وإن اختفت القرينة فالمعنى واحد .

---

1 . الإيمان : محمد بن إسحاق بن مندة، 1 / 123 ، ط 4 ، 1421 هـ – 2001 م دار ابن حزم .

2. . شرح أصول العقيدة الإسلامية : نسيم ياسين ، 32 ، ط 2 ، 1420 هـ – 1999م ، وتبسيط العقائد الإسلامية : حسن أيوب ، 15، ط 12 ، 1425 هـ – 2004 م دار السلام .

3. انظر: دراسات في العقيدة الإسلامية : محمد الخطيب ، محمد الهزايمة ، ص 36 ، ط 4 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب) الإسلام والإيمان صفة من صفات القِلة المؤمنة :

لمّا كان الدين الإسلامي الحق وغيره الباطل أمر الله ﷻ عباده الالتزام به ؛ حيث قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ** ﴾ [آل عمران : 19] فهذه الآية " إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾ [آل عمران : 85] مخبرًا بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام " ؛ [1] لذا فكان لزامًا على مَن أراد الدين الحق أن يلتزم الدين الإسلامي، لا سيما وقد اتصف المؤمنون بتلك الصفة والتزموا تعاليم الإسلام في أقوالهم وأفعالهم . وعن اتصاف الفئة المؤمنة القليلة بصفة الإيمان يوضح عبد الحميد كشك – **رحمه الله** – ذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ **رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ** ﴾ [آل عمران : 193] أي أن هؤلاء المؤمنين عندما سمعوا داعيًا يدعوهم إلى الإيمان وهو الرسول ﷺ يقول لهم آمنوا بربكم فآمنوا واستجابوا له ، فطلبوا من الله ﷻ بإيمانهم واتباعهم النبي أن يستر ويغفر لهم ذنوبهم ويكفر عنهم السيئات ويلحقهم بالصالحين . [2] وفي نفس السياق يبين الزُحيلي أنهم آمنوا بكل ما جاء به رسول الله ﷺ من شرائع وأحكام وآداب وأخلاق . [3] إذن تلك هي صفة المؤمنين الذين يلتزمون بكل شيء أمرهم به الله ﷻ. ويعقب صاحب التحرير والتنوير على قوله تعالى (فآمنا) بقوله: " وجاؤوا بفاء التعقيب في (فآمنا) للدلالة على المبادرة والسبق إلى الإيمان، وذلك دليل سلامة فطرتهم من الخطأ والمكابرة وقد توسموا أن تكون مبادرتهم الإجابة دعوة الإسلام مشكورة عند الله تعالى، فلذلك فرّعوا عليه قولهم (فاغفر لنا ذنوبنا) لأنهم لمّا بذلوا كل ما في وسعهم من اتباع الدين كانوا حقيقيين بترجي المغفرة " [4] .

قلت : وتأكيدًا لصفات أولئك المؤمنين الذين طلبوا من الله ﷻ أن يستر عليهم ويغفر ذنوبهم

---

1. تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، 1 / 520 ، ط 1 ، 1426هـ – 2005م دار ابن الهيثم .
2. انظر : في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك ، 1 / 758 – 759 المكتب المصري الحديث.
3. انظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : وهبة الزُحيلي ، 4 / 208 ، ط 1 ، 1411 هـ – 1991 م ، دار الفكر المعاصر – دار الفكر .
4. التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، م 3 ، 4 / 199 ، دار سحنون .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويكفرها لهم، فصفاتهم تلك كانت سببًا لصبرهم على أذى الظالمين مُعبرًا عن لسانهم قوله تعالى : ﴿ **وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ** ﴾ [الأعراف : 126] فكانت صفة الإيمان ظاهرة على أفعالهم وسببًا لنقمة الظالمين منهم ؛ حيث ذهب الزُحيلي إلى ذلك المعنى بقوله : " إن أولئك المؤمنين قالوا لفرعون وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله الذي هو الأعمال وأصل المناقب والمفاخر كلها وفى هذا إعلان لقرار لا رجعة فيه وكأنهم يقولون لا أمل لك في رجوعنا عن إيماننا ولقد طلبوا من الله ﷻ الصبر على الدين والثبات والتوفي عليه ثابتين على الإسلام متابعين لنبي الله موسى عليه السلام " (1) .

وترى الباحثة أن الله ﷻ نصرهم عليه وعلى ملئه بإيمانهم وصبرهم ؛ حيث قال في بداية القصة ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾ و إيمانهم كان السبب لنجاتهم من الظالمين ونصرتهم عليهم ؛ حيث قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة: 249] ففي تلك الآية يتبين لنا صفة الإيمان الغالبة لدى تلك الفئة التي نصرها الله ﷻعلى عدوها " . فاستجاب الله تعالى دعاءهم وأفرغ الصبر عليهم وثبت أقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين جالوت وجنوده وحقق بفضله ورحمته ظن مَنْ قال : ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ ... فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ** ﴾ " (2) . هذا ما وضحه شحاتة بقوله : " فلما ظهرت لهم كثرة عدد عدوهم قالوا: لن نستطيع اليوم قتال جالوت وجنوده لكثرتهم وقلتنا، فقال نفرٌ منهم ، ثبت الله قلوبهم لرجائهم في ثواب الله عند لقائه : ولا تخافوا فكثيرًا ما انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة فاصبروا فإن الله مع الصابرين ، وتقدم المؤمنون لقتال جالوت وجيشه، اتجهوا إلى الله ضارعين داعين له أن يملأهم بالصبر ويقوى عزائمهم ويثبتهم في ميدان القتال وأن ينصرهم على أعدائهم الكافرين " (3) .

قلت : وتحققت هزيمة الله ﷻ لأولئك المفسدين، أليس سبب هزيمة عدوهم هو إيمان القلة المؤمنة ويقينها بأن الله ﷻ سينصرها على عدوها فتلك هي سنته في نصر عباده المؤمنين على المفسدين الطاغين . وتأكيدًا لبيان تلازم صفة الإسلام مع الإيمان وأنهما مكملتان لبعضهما البعض ، يقول الله ﷻ ﴿ **قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ** ﴾ [المائدة : 111] ؛ حيث جمع بين صفة

---

1. التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 9 / 49 – 50 .
2 . التفسير الكبير : الفخر الرازي ، 5 / 187 .
3 . تفسير القرآن الكريم : د.عبد الله شحاتة م 1 ، 2 ، 415 ، دار غريب .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلام والإيمان في آية واحدة وهذا ما وضحه ابن عاشور في هذه الآية بقوله: " إن الحواريين كانوا سابقين إلى الإيمان لم يترددوا في صدق عيسى ثم سمى إيمانهم إسلاما بقوله تعالى : ﴿ **وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ** ﴾ ؛ لأنه كان تصديقًا راسخًا قد ارتفعوا به عن مرتبة إيمان عامة من آمن بالمسيح غيرهم،فكانوا مماثلين لإيمان عيسى وهو إيمان الأنبياء والصديقين "[1].

ب) أثر الإيمان والإسلام على القِلة المؤمنة :

وفي هذا المقام تؤكد الباحثة على صلة الإسلام بالإيمان وأنهما لا ينفصلان عن بعضهما ، وهذا ما دفعها إلى الجمع بين هاتين الصفتين في مطلب واحد . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نؤكد على صلة الإيمان بالعمل ؛ حيث يقول السيد سابق : " الإيمان يمثل العقيدة والأصول التي تقوم عليها شرائع الإسلام وعنها تنبثق فروعه، والعمل يمثل الشريعة والفروع التي تعتبر امتدادًا للإيمان والعقيدة، والإيمان والعمل أو العقيدة والشريعة كلاهما مرتبط بالآخر ارتباط الثمار بالأشجار، ومن أجل هذا الترابط الوثيق يأتي العمل مقترنًا بالإيمان في أكثر آيات القرآن الكريم ؛ وذَكر قوله تعالى ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ [سورة البقرة : 25] "[2] . وعلى نفس السياق ذهب الغزالي بقوله : " صلة الإيمان بالعمل كصلة الخُلق بالسلوك، فإذا آمن الإنسان بالله العظيم وأيقن باليوم الآخر وصدّق بما جاء به المرسلون، دفعه ذلك – **لا محالة** – إلى استرضاء ربه، والاستعداد للقائه والاستقامة على صراطه "[3] . وإن للإسلام والإيمان أهمية عظيمة لا تخفى على كل صاحب عقل، وكذلك إن لهما أثرًا بالغًا على الفرد والمجتمع ؛ حيث " لا يخفى على كل مؤمن ذاق حلاوة الإيمان، ما ينطوي عليه الإسلام من محاسن ، وما يتركه الإيمان من فوائد عظيمة على الفرد والجماعة سواءً بسواء "[4].و يُعد الإسلام و الإيمان سببًا في تحقيق النصر فـ " هو القوة الخفية التي تستند عليها الأمة في كفاحها ضد الظلم والطغيان بكل أشكاله . وهو الطاقة التي تستمد منها قوتها لخوض غمار الحروب العادلة التي يسعى المسلمون من خلالها إلى إقامة شرع الله تعالى وحكمه في

---

1 . التحرير والتنوير: ابن عاشور ، م 4 ، ج 7 / 104 .

2. العقائد الإسلامية : السيد سابق ، 7 ، 1406 هـ – 1985 م ، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان .

3 . عقيدة المسلم : محمد الغزالي ، 131 ، دار القلم ، ط 2 ، 1399 هـ – 1979 م .

4 . مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة : أحمد عوض أبو الشباب ، 1 / 34 ، المكتبة العصرية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأرض، ليس لعرض دنيوي زائل ، ومكاسب مادية لا قيمة لها في مقياس الدين الحنيف " [1] .

عن أبي موسى – رضي الله عنه – قال : سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياءً أيُ ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : **(مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)** [2] .

ويؤكد على ذلك المعنى د . طالب أبو شعر في رسالته ، حيث قال : " إن الإيمان بالله هو مصدر القوة والعزة والنصر وهذا من وجهين ، الأول : إنّ الله – **سبحانه** – وعد المؤمنين بالنصر والتمكين مع الأخذ في الاعتبار سنة الله في النصر ، وبذلك فإن الإيمان شرط تحقيق الوعد بالنصر؛ حيث قال تعالى : ﴿ **وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ **[الروم : 47]** ، الثاني : إن الإيمان بالله يزود المجاهدين بطاقة وقوة عظيمة تجعل منهم جيشًا لا يقهر ؛ حيث إن الإيمان بالله يجعل قلب المجاهد موصولاً به – **سبحانه** – في أشد ساعات المعركة فضلاً عن أهونها يتوجه إلى الله ويعتمد عليه – **سبحانه** – ولا يخشى أحدًا سواه ﴿ **الذين استجابوا لله وللرسول** ﴾ **[آل عمران : 175 – 177]** " [3]

خلاصة القول : ترى الباحثة أن الإسلام والإيمان متلازمان وكذلك الإيمان والعمل متلازمان، وإن الفئة القليلة المؤمنة لا يمكن لها أن تنتصر على عدوها إلا إذا استحكم الإسلام والإيمان قلبها، ولا ينفعها إسلام بلا إيمان ولا إيمان بلا عمل، ولعل ما يستوجب النصر لها هو أن يصبح الإيمان عندها سلوكًا ظاهرًا في أقوالها وأفعالها ، ولا سيما في هذا المقام صفة الصبر التي تتحلى بها الفئة المؤمنة القليلة وكل ذلك نتيجة الإسلام والإيمان الذي حقق لها النصر على الأعداء . وهذا ما يتعلق بما تحدثنا عنه في هذا المطلب ، وهو من صفات الفئة القلِة المؤمنة الإسلام والإيمان .

---

1. مقومات النصر : 1 / 43
2. صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ، ص 759 ، ح 1904 .
3. أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة : د . طالب أبو شعر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف : مسعد النبراوي ، ص 162 ، 1406 هـ – 1407 هـ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا : طاعة الله ورسوله:

لقد شرع الله ﷻ العبادة للتدريب على فضيلة الطاعة حيث إن الطاعة ؛ تُرجمان الإيمان، فلا طاعة بغير إيمان ولا إيمان بغير طاعة ، وأمر الناس بعبادته والرجوع إليه في كل شيء، ومن عبادته ﷻ ، ما يختص بطاعته وهي التزام أوامره واجتناب نواهيه، هذا وإن الطاعة لم تقتصر على طاعة الله ﷻ بل يندرج تحتها طاعة الرسول ﷺ ، وتلك هي صفة من صفات الفئة المؤمنة والتي نحن بصدد الحديث عنها .

أ) : تعريف طاعة الله وحكمها :

الطاعة هي ضد المعصية، وهي موافقة الأمر طوعًا، وتشمل كل ما فيه رضىً وتقرب إلى الله ، وهي تجوز لغير الله . [1] وقال الرازي في معنى طاعة الله في قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ** ... ﴾ [النساء : 13] وقوله : ﴿**...وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ... ﴾ [الجن : 23] أن اللفظ على عمومه يشمل كل التكاليف غير مختص بالتكاليف الواردة في الآية [2] .

وقال كشك : " : " إن طاعة الله تتمثل في تنفيذ ما أمر به في المنهج وطاعة الرسول هي طاعة تطبيقية في السلوك وهي طاعة لله أيضًا " [3] .

" والطاعة أعم من العبادة ؛ لأن العبادة غلب استعمالها في تعظيم الله غاية التعظيم، والطاعة تستعمل لموافقة أمر الله وأمر غيره، والعبادة تعظيم يقصد به النفع بعد الموت " [4] .

وإن الكمال الحقيقي يتحقق بكمال طاعة الله ورسوله وهذا ما قاله ابن تيمية : " وعبادته (أي الله ﷻ) طاعة أمره وأمره لنا ما بلغه الرسول عنه، فالكمال في كمال طاعة الله ورسوله باطنًا وظاهرًا " [5] .

وفي قوله تعالى : ﴿ ... **وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ** ... ﴾ [التوبة : 71] أكد شحاتة على الطاعة بقوله: " والمؤمنون والمؤمنات يطيعون الله ورسوله، ويتركون ما نهيا عنه، امتثالاً وحبًا وطاعة لله ورسوله " [6] .

---

1. انظر : التوقيف : المناوي، ص 477 . وانظر التعريفات : الجرجاني ، 143.
2. انظر : التفسير الكبير: 9 / 227 .
3. في رحاب التفسير : 3 / 4723 .
4. الكليات : أبي البقاء ، ص 583 .
5. مكارم الأخلاق : تقي الدين أحمد بن تيمية، ص 269 ، 1423 هـ – 2002 م ، المكتبة العصرية.
6. تفسير القرآن الكريم : 10 / 1914 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد فسر أبو حيان طاعة الله ورسوله في نفس السياق فقال:" إن المؤمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويؤدي الجهاد وهو المراد في هذه الآية بقوله ﴿ ... **وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ** ... ﴾ " [1] .

وبينت الآيات الكريمة مدى استجابتهم لله ولرسوله؛ حيث قال تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [سورة البقرة :285] " أي سمعنا قولك يا ربنا وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه " [2].

ب) تعريف طاعة الرسول وحكمها:

إن فضل الطاعة لا يختص فقط بطاعة الله ﷻ ، بل يشمل طاعة رسوله ﷺ ، فطاعته طاعة لله ومعصيته معصيةً لله ﷻ " وأكمل له ولأمته الدين خبرًا وأمرًا، وجعل طاعته طاعة له، ومعصيته معصية له وأقسم بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه فيما شجر بينهم..." [3] .

وطاعته بامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، حيث قال ﷺ **(فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)** [4] .

وعن **حكم طاعة الرسول** يقول ابن تيمية : " ولقد تمثل إجماع الأمة على وجوب طاعة الرسول واتباعه في اعتبار السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع وذلك بعد المصدر الأول الذي هو القرآن الكريم " [5] .

وقال في موضع آخر : " وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعًا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته ، وقرن بين مخالفته ومخالفته ، كما قرن بين اسمه واسمه ، فلا يذكر الله إلا ذكر معه " [6] .

---

1. انظر: البحر المحيط: محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، 5 / 71 ، ط 2 ، 1422هـ – 2001م ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
2. القرآن العظيم : ابن كثير ، 1 / 504 .
3. شرح الطحاوي في العقيدة السلفية: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ص 15 – 16 ، مكتبة دار التراث.
4. صحيح مسلم : كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر ، ص 499 ، ح 1337 .
5. مجموع الفتاوى : 11 / 339 .
6. المرجع السابق : 19 / 103 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويؤكد الزُحيلي على الطاعة ومدى ارتباطها بالإيمان فيقول:" الإيمان يستلزم الطاعة، المؤمن بالله يؤمن بصدق لقائه ويسمع ويطيع أوامره ويتجنب نواهيه، فلا يقصر في واجب ولا ينغمس في معصية فذلك يتصادم مع الإيمان" [1] .

وترى **الباحثة** أن المؤمن يلتزم طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ ، بالرغم مما يصيبه من مكروه وهذا ما وضحته الآية الكريمة ؛ حيث قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران : 172] .

قال الرازي : " إنهم أجابوا وأطاعوا الله في أوامره وأطاعوا الرسول من بعد ما أصابهم الجراحات القوية " [2]. ويقول السعدي : " فإن حياة القلب والروح بعبودية الله – **تعالى** – ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام " [3] .

قلت : إن استجابتهم لله ورسوله بعد ما أصابهم القرح لتدل دلالة واضحة على صدق إيمانهم؛ إذ إن التزام الطاعة والثبات عليها بعد المصيبة والمكروه لا تكون إلا من الفئة المؤمنة الصادقة ؛ إذ إن الرسول معهم في الميدان يأمرهم بأمر الله وينهاهم بنهيه وهم يستجيبون لذلك ، فكان بحقٍ لهم الأجر العظيم من الله ﷻ جزاءً لطاعتهم الله ورسوله . وهذا هو عين الموضوع الذي نتحدث عنه في هذا المقام، كيف لا؟ وقد استجابوا لله ولرسوله بعد ما أصابهم القرح .

ج) العلاقة بين طاعة الله ورسوله :

ونرى أن هناك علاقة وثيقة بين طاعة الله ورسوله، وإن ما يدل على ذلك دلالة واضحة قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء : 59] ، وقوله تعالى : ﴿... **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...** ﴾ [الجن : 23] ، كيف لا ؟ وقد ربط – **سبحانه** – طاعته بطاعة رسوله ﷺ ومعصيته بمعصية رسوله، فإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عظم طاعة الرسول ﷺ والتنفير من معصيته .

وفيما روي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : **(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : مَن أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني**

---

1. التفسير المنير: 3 /136 .
2. التفسير الكبير: 9 / 98 .
3. تيسير الكريم الرحمن : 329 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد أبى) . [(1)]

ولقد ذكر الله ﷻ في كتابه التنفير من معصية رسوله وربط معصيته –**سبحانه**– بمعصية رسوله، حيث قال سبحانه : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ [النساء : 14] وكذلك قال ﷺ : (فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى الله) . [(2)]

وإن ما يزيد الأمر وضوحًا وتأكيدًا هو قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ** ﴾ [الأنفال : 20] قال البيضاوي أن " المراد من الآية الأمر بطاعته ، والنهي عن الإعراض عنه " [(3)] .

إذن مما سبق يتضح لنا وجوب طاعة الله ورسوله والتنفير من معصية الله ورسوله، وأن أي مخالفة في حق أيٍّ منهما فإنها تقتضي الخلود في النار والعياذ بالله كما بينت الآية في قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ [النساء : 14] .

د) الفرق بين طاعة المؤمنين والكافرين والمنافقين :

1. طاعة المؤمنين :

إن طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله أمرٌ عظيم دفع المسلمين إلى الالتزام بهما في كل أمورهم. ولقد وصفهم الله ﷻ في كتابه بالطاعة فقال سبحانه : ﴿ **وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [التوبة : 71]، ذكر الطبري المعنى في هذه الآية بقوله: " فيأتمرون لأمر الله ورسوله وينتهون عما نهيناهم عنه ، وهؤلاء – بصفتهم – سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته لا أهل النفاق والتكذيب بالله ورسوله الناهين عن المعروف الآمرين بالمنكر القابضين أيديهم عن أداء حق الله من أموالهم " [(4)]. واستدل الرازي من هذه الآية على وجوب متابعة الكتاب والسنة فالكتاب يدل على أمر الله ﷻ ثم نعلم منه أمر الله – **لا محالة** – لذلك أتى بالعطف بين طاعة الله وطاعة الرسول . [(5)]

---

1. صحيح البخاري : الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب الإقتداء بسنن رسول الله ، ص 1388 ، ح 7280 .
2. المرجع السابق ، ص 1388 ، ح 7281 .
3. أنوار التنزيل : 3 / 98 .
4. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري، م 6، ج9، ص 208 ، ط 1، 1421هـ – 2001 ، دار الفكر .
5. انظر : التفسير الكبير : 10 / 143.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. طاعة الكافرين :

لقد نهى الله ﷻ عن طاعة الكافرين فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران : **149**] ففي هذه الآية حذر الله ﷻ عباده المؤمنين من طاعة الكافرين والمنافقين ؛ حيث إن طاعتهم تورث الخسران في الدنيا والآخرة بل وتوصل إلى الردة عن الإسلام .[1]

وفي هذه الآية " تحذيرٌ دائمٌ للمؤمنين من طاعة الكافرين على مختلف أنواع كفرهم لعداوتهم وحقدهم وغشهم وعدم الثقة بنصحهم وأمانتهم " [2] .

لذا ترى الباحثة مما سبق أنّ الله ﷻ نهى عن طاعة الكافرين فلا يجوز لنا أن نطيعهم أو نستشيرهم في أي شيء بأي حال من الأحوال ؛ لأن لطاعتهم نتائج وخيمة ومن ذلك ما ذكره الزُحيلي ؛ حيث إنها تعمل على تحكيم العدو في المؤمنين والحرمان من متعة الملك والتمكين في الأرض ؛ لذلك نهاهم الله ﷻ أن يأبهوا بمناصرة وعون الكفار وإغوائهم فإن الله هو الناصر والمعين ، ومن مظاهر مناصرته وعونه للمؤمنين إلقاء الرعب في قلوب الكافرين بسبب إشراكهم بالله . [3]

قلت : كيف لا ينصرهم وهو القائل بعد النهي عن طاعتهم : ﴿ **بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ** ﴾ [آل عمران : **150 – 151**] .

ولقد حذر الله ﷻ نبيه من طاعتهم ؛ حيث قال تعالى : ﴿ **وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً** ﴾ [الأحزاب : **48**] " أي لا تطعهم فيما يشيرون عليك من المداهنة في الدين ولا تمالئهم " [4].

3. طاعة المنافقين :

إنّ المتأمل للآيات القرآنية ليجد مدى طاعتهم لله وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النور :47] ، فمعنى تلك الآية أن المنافقين يقولون بألسنتهم آمنا بالله وبالرسول من غير يقين ولا إخلاص [وأطعنا] أي يقولون وكذبوا.[5]

---

1 .انظر : الأساس في التفسير : سعيد حوى ، 2 / 895- 896 ، ط1 ، 1405هـ – 1985 م ، دار السلام .
2. التفسير المنير : وهبة الزحيلي ، 4 / 121 .
3. انظر : المرجع السابق : 4 / 120 – 121 .
4.الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، 14 / 130 .
5 . انظر: المرجع السابق : 6 / 193، ط 1 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وترى الباحثة أن سياق الآية القرآنية يدلل على إعراضهم وعدم إيمانهم وتزعزعهم في طاعة الله ﷻ وليس أدل على ذلك من قوله تعالى في نهاية هذه الآية ﴿ **ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾ حيث ربط فيها الإيمان بالطاعة وبين أن عدم طاعتهم وتوليتهم سلبت عنهم صفة الإيمان ؛ حيث قال: ﴿ **وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾ . هذا وشتان بين ذكر الطاعة في حق المؤمنين وذكر الطاعة في حق الكافرين والمنافقين ، والعاقل يدرك الفرق بينهم.

هـ) أهم ثمار الطاعة لله ورسوله :

توصلت الباحثة إلى بعض ثمار الطاعة لله ورسوله ، **وهذه أهمها :**

1. **إن الطاعة سببٌ في تمديد آجال المطيعين،** أليس هو القائل في كتابه العزيز : ﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ **[نوح : 3، 4]** " هو الأمد الأقصى الذي قدّره الله **تعالى** لهم بشرط الإيمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان، فإن وصف الأجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم إليه بالإيمان والطاعة صريح في أن لهم أجلاً آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا " [1] .
2. **ترفع الدرجات وتحط السيئات :** " الطاعات ترفع الدرجات والمصائب تحط السيئات " [2] .
3. **الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة** ، حيث يقول تعالى: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ **[النور : 51]** فعندما استجابوا لله ﷻ وسمعوا الدعاء وأطاعوا بالإجابة والقبول والطاعة جاءت فاصلة الآية التي تليها تبين جزاء المطيع بقوله ﴿ **فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ " أي بالنعيم المقيم لا من عداهم ، والفوز هو الظفر مع حصول السلامة ؛ لذا فلا بد من الإطاعة لله ورسوله في أداء واجتناب المحارم فقد دعا الله تعالى فلا بد من الإجابة " [3] فالنعيم لا يقتصر فقط على نعيم الآخرة بل يشمل النعيم الدنيوي أيضًا ، والفوز الدنيوي والأخروي ، قال – **تعالى** – ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ **[النور : 52]** .

---

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبي السعود، 5 / 771 ، دار الفكر.
2. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، ص 115 دار الريان للتراث.
3. روح البيان في تفسير القرآن : إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوني البروسوي، 6 / 183 ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. **محبة الله** ﷻ ؛ حيث قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران : 31] " محبة العبد لله إيثار طاعته على غير ذلك " [1] .

5. **الرحمة** ؛ حيث قال تعالى : ﴿ **وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ** ﴾ [التوبة : 71] حيث بيّن سعيد حوى في هذه الآية أنهم كانوا طائعين لله وللرسول في كل أمر ونهي ؛ لذلك وعدهم بالرحمة بما اتصفوا من هذه الصفات ثم ختم الآية بعزته وحكمته في هذا المقام فهو المعز لمن أطاعه –سبحانه وتعالى – . [2] كذلك قال تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [آل عمران : 132] .

6. **الهداية والصلاح** ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾ [النور : 54] .

7. **الطاعة تستوجب النجاة وعدم الندم في الآخرة** ، حيث قال تعالى : ﴿ **يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا** ﴾ [الأحزاب : 66] فلقد كان هذا الندم ناتجًا عن عدم طاعتهم إذ لو كانوا طائعين لما وصلوا إلى تمني الطاعة، وأنّى لهم ذلك ؟.

8. **الأجر الحسن والنعيم في الآخرة** ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم** ﴾ [النساء : 69] ، وقال أيضًا ﴿ **فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً** ﴾ [الفتح : 16] .

و) أثر الطاعة على نصر القلة المؤمنة :

إن للطاعة أثرًا عظيمًا في حياة المؤمنين ، لا سيما وقد تحقق النصر لهم على العدو، فلو تأملنا قوله تعالى: ﴿ **بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ** ﴾ [آل عمران : 150] لوجدنا أنها جاءت عقب النهي عن طاعة الكافرين وذلك في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران : 149] فهذه الآية كما بينا سابقًا أنها نهت عن طاعة الكافرين لأن طاعتهم تورث الخسران في الدنيا والآخرة، وأن عدم طاعتهم تجلب النصر من الله ﷻ كيف لا وقد قال : ﴿ **وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ** ﴾ ؟ .

---

1. تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي : تحقيق سيد زكريا ، 1 / 155 ، ط1 ، 1421 هـ – 2000م ، مكتبة نزار مصطفى الباز .
2 . انظر : الأساس : 4 / 2293 – 2294 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الشوكاني في معنى هذه الآية : " أي إن تطيعوا الكافرين يخذلوكم ولا ينصروكم بل الله ناصركم ولا غيره "(1) .

ولقد بيّن سعيد حوى القول حول هاتين الآيتين أنه إذا كان سبب طاعة الكافرين رغبة في النُصرة ورغبة في الرعاية أو رغبة في كسب القلوب فنُصرته تعالى وولايته خيرٌ من نُصرة غيره فهو الناصر الحقيقي فاستغنوا عن نُصرة غيره ، ومن أعظم مظاهر النصرة هي إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا (2).

قلت : إن النهي عن طاعة الكافرين في سياق نُصرة الله للمؤمنين لتدل دلالة واضحة على وجوب طاعة الله ﷻ ؛ لأن بها يتحقق النصر على العدو وخاصة بإلقاء الرعب في قلوبهم ؛ حيث جاء بها بعدما بيّن – **سبحانه** – أنه الناصر والمعين الحقيقي للمؤمنين المخلصين في طاعتهم لله ﷻ ، أليس هو القائل ﴿ **بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ ...**﴾ [آل عمران : **150 – 151**] وكأنه يقول إن أردتم النصر فهو بطاعة الله ﷻ وليس بطاعة سواه وهم الكافرين .

وبذلك يتضح لنا أن الطاعة صفة من صفات القِلة المؤمنة وتؤدي إلي تحقيق النصر على العدو.

الخلاصة :

ترى الباحثة أن طاعة الله ورسوله صفة من صفات القِلة المؤمنة ، فالطاعة هي موافقة الأمر وتستلزم الالتزام بكل ما أمر به الله ﷻ ورسوله من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وغيرها، كما أنّ الطاعة لها فضل عظيم وثواب جزيل، فالطاعات ترفع الدرجات ويحظى صاحبها بالفوز بسعادة الآخرة، وهي سبب في تمديد آجال البشر، ولقد بيّنت الآيات الفرق بين طاعة المؤمنين والتزامهم بها وطاعة الكافرين و المنافقين وتوليتهم وفرقٌ بينهم؛ لذا فالقِلة المؤمنة هي التي التزمت بطاعة الله ورسوله ، ولقد أمر الله ﷻ بوجوب طاعة رسوله وجعل طاعة الرسول ﷺ من طاعته ومعصيته من معصية الله ﷻ فكلٌ منهما مكملة للأخرى لا تنفك عنها.

لذا فالمؤمن الصادق هو من التزم طاعة الله ورسوله واتبع شرائعه وأوامره واجتنب نواهيه فكان بحق يستحق النصر والتأييد.

---

1. فتح القدير : 1 / 489 .

2. انظر : الأساس : 2 / 897 – 898 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا : الأخلاق الحسنة وأثرها على القِلة المؤمنة :

إن الأخلاق هي قوام المجتمع ، إذا التزم بها أفراده فإنه يؤدى إلى رفعته وعلو شأنه؛ لذلك حث الإسلام على الأخلاق لا سيما الخلق الحسن، ووصف به نبيه في كتابه حيث قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : 4]، وعن أنس ﷺ قال: (**كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقا**) [1] ولقد أمر المؤمنين أن يقتدوا بأخلاق النبي ﷺ في كل أمورهم فكانت سببًا في تحقيق النصر على أعدائهم والتمكين لهم في الأرض . ونظراً لأهمية الأخلاق فإن لها علاقة وثيقة بالإيمان فإذا رسخت في نفس المؤمن فإنها تدل على قوة إيمانه، وإذا اضطربت وتزعزعت دلت على ضعف الإيمان في نفسه، فكل منهما مرتبط بالآخر فوجود أحدهما يلزم منه وجود الآخر وعدمه يقتضى عدم وجود الآخر، فالمسلم هو الذي يجعل من الخلق الحسن ملكة وسجية، حيث تكون سلوكاً تظهر في أفعاله وأقواله ؛ لذا سنتحدث في هذا المقام عن نبذة مختصرة عن الأخلاق الحسنة وكونها صفة من صفات القِلة المؤمنة، ثم سنفرد الحديث عن أنسب خُلق لموضوع الدراسة وتتصف به الفئة المؤمنة ألا وهو **خُلق الصبر**، وإن الحديث عنه لا يعني عدم الحاجة لغيره، بل طول الحديث في موضوع الدراسة هو الذي دفع إلى تخصيص أنسب الأخلاق لاتصاف القِلة المؤمنة به حتى يتحقق لهم النصر والتمكين، وذلك لا ينفي اتصافهم بالأخلاق الأخرى كالصدق والرحمة وغيرها، فهي لا تقل أهمية عن خُلق الصبر، فكلها سببٌ في تحقيق النصر على الأعداء.

أ) **<u>تعريف الأخلاق وأهميتها :</u>**

1. **<u>تعريف الخلق :</u>**

- الخُلق لغةً :

الخاء واللام والقاف أصلان أحدهما يدل على تقدير الشيء والآخر يدل على ملاسة الشيء، فأما الأول فقولهم خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته ومن ذلك الخلق وهي السجية لأن صاحبه قد قدر عليه ، وأما الأصل الثاني فصخرة خلقاء أي ملساء ومنه أخلق الشيء وخلق إذا بليَ[2]. ولقد بيّن الشوكاني حقيقة الخُلق في اللغة فقال : " ما يأخذ الإنسان نفسه به من الأدب " [3]. **قلت** : والمعنى الذي نريده هو ما يتعلق بالأصل الأول وهو السجية وما أكد عليه الشوكاني.

---

1. صحيح البخاري : كتاب الأدب ، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل ، ص 1194 ، ح 6203 .
2. انظر: معجم المقاييس في اللغة: ابن فارس، ص 328 – 329 ، ط 1 ، 1415 هـ – 1994 م ، دار الفكر.
3. فتح القدير : 5 / 332 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **الخلق اصطلاحًا** : " بالضم ،هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بيسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعًا بسهولة سميت الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقًا سيئًا " (1) .

2 - **أهمية الأخلاق :**

إن للأخلاق أهمية عظيمة، بدونها لا يصبح للمجتمع قيمة بين المجتمعات الأخرى، وتصبح الأسر فيه مفككة لا يضبطها ضابط وتكون معرضة للدمار والخراب قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : 4] حيث استعظم خلقه فلقد كان على الخُلق الذي أمره الله به في القرآن الكريم من رفقته بأمته وإكرامه إياهم والعفو والأمر بالعرف والإعراض عن الجاهلين (2) .

" والأخلاق في الإسلام لها أهمية بالغة، فهي الروح التي تسري في كل التشريعات من عبادات وعادات ومعاملات ونظم وآداب وهي الأصل الثابت في كل أحكامه وأوامره ونواهيه، سواء منها ما تعلق بالفرد أو بالأسرة أو بالمجتمع أو بالحكم أو العلاقات الدولية " (3) .

ونظرًا لأهمية الخُلق الحسن **ترى الباحثة** أن المسلم يجب أن يستمد خلقه من القرآن الكريم ولا يجعل خلقه حسب هواه، بل لا بد أن يكون سجية وملكة يعرف ويميز به على أن يكون مقتدياً برسوله محمد ﷺ حيث كان قرآناً يمشي على الأرض .

إذن ، وبعد الحديث عن أهمية الأخلاق **سنفرد الحديث** عن أهم خُلق اتصفت به الفئة المؤمنة القليلة حتى يتحقق لها النصر والتمكين وهو **خُلق الصبر**، كيف لا ؟ وهو النور الذي ينير للمرء طريقه، والضياء الذي يضيء له دربه .

ب) **خُلق الصبر** :

1 - **تعريف الصبر :**

- **الصبر لغةً :**

الصبر الإمساك في ضيق يقال صبرتُ الدابة حبستها بلا علف وصَبَرتُ فلاناً خلفته خلفةً لا خروج له منها " (4) .

---

1. التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي ، ص 324 .
2 . انظر: الكشاف :الزمخشري ، 4 / 1273 ، و فتح القدير :الشوكاني، 5 / 332 .
3. أصول الأخلاق في القرآن الكريم : د.عمر يوسف حمزة، ص 12، ط 1 ، 1421 هـ – 2000 م ، دار الخليج
4. المفردات في غريب القرآن: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ص 273 ، دار المعرفة بيروت – لبنان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو نقيض الجزع، صبر يصبر صبراً فهو صابرٌ وصبّار وصبيرٌ وصبورٌ الأنثى صبور أيضًا بغير هاء وجمعه صُبُرٌ. [1]

- **الصبر اصطلاحًا :**

" هو قوة مقاومة الأهوال والآلام الحسية أو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله فإنه تعالى أثنى على أيوب بالصبر مع دعائه في دفع الضر عنه " [2] .

وعرفه الراغب بقوله " الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه " [3] .

قال الرازي في تفسيره عن المراد بالصبر : " أما الصبر فهو قهر النفس على احتمال المكاره في ذات الله- **تعالى** - وتوطينها على تحمل المشاق وتجنب الجزع ومن حمل نفسه وقلبه على هذا التذليل سهل عليه فعل الطاعات وتحمل مشاق العبادات وتجنب المحظورات " [4] .

2- حقيقة الصبر:

يقول ابن عاشور : " إنه منع المرء نفسه من تحصيل ما يشتهيه أو من محاولة تحصيله - إن كان صعب الحصول عليه- فيترك محاولة تحصيله لخوف ضر ينشأ عن تناوله كخوف غضب الله أو عقاب ولاة الأمور أو لرغبة في حصول نفع منه (كالصبر على مشقة الجهاد والحج رغبة في الثواب) والصبر على الأعمال الشاقة رغبة في تحصيل مال أو سمعة أو نحو ذلك " [5] .

وفي هذا المقام يقول ابن القيم عن الصبر إنه : " خلق كسبي يتخلق به العبد وهو حبس النفس عن الجزع والهلع و التشكي، فيحبس النفس عن السخط واللسان عن الشكوى والجوارح عما لا ينبغي فعله وهو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية " [6] .

وقال في موضع آخر : " فإن حبس نفسه ومنعها عن إجابة داعي ما لا يحسن إن كان خلقًا له وملكة سمي صبرًا " [7] .

1.انظر: لسان العرب:ابن منظور، 10 / 507 .

2. انظر: التوقيف :المناوي ، ص 448 ، والتعريفات :الجرجاني، ص 171 .

3.المفردات: الراغب، ص 273.

4. التفسير الكبير: 4 / 144 .

5. التحرير والتنوير: 30 / 533 .

6 .جامع الآداب:ابن قيم الجوزية، 4 / 28 ، ط 1 ، 1423 هـ - 2002م ، دار الوفاء.

7 . المرجع السابق: 4 / 251 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قلت : فبالجمع بين تلك الأقوال كلها بالإضافة إلى المعنى اللغوي يتبين لنا منها دلالة معنى الصبر على الحبس، فالمسلم يحبس نفسه ويمسكها بكافة الجوارح حتى لا يصدر منها شيء مخالف للشرع.

لذا فإن الصبر من صفات الآدميين فإذا كبح جماح الشهوة فإنه يصبح خُلقًا متصفًا؛ به حيث قال الغزالي: " فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابله باعث الشهوات فإن ثبت حتى قهر الشهوة التحق بالصابرين، وإن ضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر على دفعها التحق باتباع الشياطين، وإذا ثبت أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة الهوى فهذه المقاومة من خاصة الآدميين" (1) .

3 – أنواع الصبر:

عن أنواع الصبر يقول الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : **200**] : " أما الصبر فيندرج تحته أنواع **أولها**:أن يصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وعلى مشقة استنباط الجواب عن شبهات المخالفين ، **وثانيها**: أن يصبر على مشقة أداء الواجبات والمندوبات ، **وثالثها**: أن يصبر على مشقة الاحتراز عن المنهيات ، **ورابعها** : الصبر على شدائد الدنيا وآفاتها من المرض والفقر والقحط والخوف " (2) .

قلت : ومن الصبر، الصبر على النعمة فلا يصرفها الإنسان فيما حرّم الله، كنعمة المال يصبر عليه فلا يستغله فيما حرّم الله ؛ حيث قال الله ﷻ : ﴿ **وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [الأنبياء : **35**] وأقرب الأنواع لموضوع الدراسة هو النوع الثاني وهو أن الصبر صبرٌ على مشقة أداء الواجبات والمندوبات ؛ حيث إن الجهاد واجبٌ في حالات وهذا يستلزم فيها المشقة وحبس النفس عندها ليميز الله الصابر من غيره. ويعد الصبر سببًا في حصول كل كمال " فأكمل الخلق أصبرهم ولم يتخلف عند أحد كماله الممكن إلا من ضعف صبره " (3) .

---

1. بغية الطالبين من إحياء علوم الدين:بقلم أحمد محمد عساف، 284 ، ط 1 ، 1400 هـ – 1980 م ، دار إحياء العلوم ببيروت.
2. التفسير الكبير:الفخر الرازي، 9 / 155 .
3. طريق الهجرتين وباب السعادتين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ص477 ، مطابع الدوحة الحديثة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4 – **الصبر صفة من صفات القِلة المؤمنة :**

نظرًا لأهمية الصبر جمع الله ﷻ بينه وبين التقوى في آية واحدة ؛ حيث قال تعالى: ﴿ **وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا** ﴾ [آل عمران : 120] " ويرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم " [1] . وكذلك الصبر والتقوى شرط لنفي الضر عن المسلمين وفيه تسلية وتقوية لهم .[2]

قلت: وبناءً على ذلك فإن النصر يتحقق بالصبر؛ حيث قال تعالى: ﴿ **فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حتى أتاهم نصرنا** ﴾ [الأنعام : 34] قال ابن كثير: " إن هذه الآية جاءت تسلية للنبي ﷺ وتعزية له فيمن كذبه من قومه ، وأمرٌ له بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، ووعدٌ له بالنصر كما نصروا وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة بعدما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة " [3] . وأشار البيضاوى إلى هذا المعنى ثم قال :" فيه إيماء بوعد النصر للصابرين "[4] . ويبين الغزالي ذلك المعنى بقوله : " اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين... [إلى أن قال] : إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابل جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتها ومطالبهما... " [5] .

وترى الباحثة أن النصر في هذا المقام ما كان حليفًا لهم إلا بصبرهم، ألا ترى أنه قال في سياق الآية (فصبروا) وبعد الصبر جاءهم النصر؟ وذلك في قوله (حتى أتاهم نصرنا) فكان النصر سببه الصبر ومعه الفرج ، وهذا معنى قولهم " الصبر مفتاح الفرج " فكان الفرج عندهم بالنصر على مَنْ كذبهم في الدنيا والآخرة . ويعدّ الصبر سببًا لتحقيق الإمامة في الأرض حيث قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [السجدة : 24]، يقول صاحب الظلال : إن هذه الآية " للإيحاء للقِلة المسلمة يومذاك في مكة أن تصبر كما صبر المختارون من بني إسرائيل وتوقن كما أيقنوا ليكون منهم أئمة للمسلمين كما كان أولئك أئمة لبني إسرائيل ولتقرير طريق الإمامة والقيادة وهو الصبر واليقين " [6] .

---

1. القرآن العظيم : ابن كثير، 1 / 579 .
2. انظر: الجامع لأحكام القرآن : القرطبي، 4 / 118 ، ط 1 ، 1408 هـ – 1988 م ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
3. القرآن العظيم : 1 / 166
4 . أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 2 / 405 .
5. إحياء علوم الدين : 4 / 66 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6. سيد قطب : 5 / 2814 .

قلت: وذلك هو نتيجة من نتائج الصبر؛ حيث إن المسلم الصابر الذي رضي وصبر على ما أصابه الله أو على أذى الآخرين فإن الله ﷻ يجزيه جزاءً حسنًا حيث الإمامة في الأرض والنصر على من كذبه وآذاه . قال رسول الله ﷺ : **(عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السُخطُ)** [1] .

ولقد ميز الله ﷻ الصابرين عن غيرهم حيث قال الغزالي: " إن الله ﷻ جمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى: ﴿ **أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ [سورة البقرة : 157] ، فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين " [2] .

قلت : ألا تراه ذكر ذلك بعد قوله ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾ [سورة البقرة : 156] فلما ذكر صبرهم وتعبيرهم عن الرضا جاء لهم بالبشارة (أولئك عليهم صلوات...) ولقد وصف الله ﷻ المؤمنين بالتواصي بالصبر فيما بينهم ؛ حيث قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** ﴾ [البلد : 17] ، " وممن أوصى بعضهم بعضًا بالصبر على ما نابهم في ذات الله " [3] .

ويقول الرازي في تفسيره للآية : " التواصي بالصبر يدخل فيه حمل النفس على مشقة التكليف في القيام بما يجب وفي اجتنابهم ما يحرم ؛ إذ الإقدام على المكروه والإحجام عن المراد كلاهما شاق شديد " [4]. وعلق أمر الطاعات على ذلك فقال : " وتواصوا بالصبر" إشارة إلى التعظيم لأمر الله ، وقوله " وتواصوا بالمرحمة " إشارة إلى الشفقة على خلق الله ، ومدار أمر الطاعات ليس إلا على هذين الأصلين " [5] .

وفي نفس السياق أكد ابن عاشور على التحلي بالصبر فقال: " والتخلق بالصبر ملاك فضائل الأخلاق كلها، فإن الارتياض بالأخلاق الحميدة لا يخلو من حمل المرء نفسه على مخالفة شهوات كثيرة ، ففي مخالفتها تعب يقتضي الصبر عليه حتى تصير مكارم الأخلاق ملكة لمن راض نفسه عليها " [6] .

---

1. سنن ابن ماجه : تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير (ابن ماجه) ، كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء ، ص 666 ، ح 4032 ، ط 1 ، مكتبة المعارف .
2. إحياء علوم الدين: 4 / 64 .
3. جامع البيان : الطبري ، 3 / 227 .
4. التفسير الكبير : 32 / 89 .
5. المرجع السابق: 31 / 87 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6. التحرير والتنوير: 30 / 533 .

ويُعد الصبر ضرورة للإنسان ؛ حيث إن " الصبر ضرورة للإنسان لما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية فهو ضرورة لازمة له ليرقى ماديًا ومعنويًا ويسعد فرديًا واجتماعيًا فلا ينتصر دين الله ولا تنهض أمة إلا بالصبر، فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر... [إلى أن قال] : والصبر ضرورة لازمة لأهل الإيمان لأنهم أشد تعرضًا للأذى والمحن والابتلاء في أموالهم وأنفسهم وفي كل عزيز لديهم " (1) .

والصبر سببٌ في تحقيق السعادة حيث يقول الماوردي : " اعلم أن من حسن التوفيق وأمارات السعادة الصبر على الملمات والرفق عند النوازل " (2) .

ولقد بين ابن القيم أن " الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه " (3) .

قلت : فالمسلم لا يدعي الصبر ثم يشتكي ويتأوه ، بل يجب عليه أن يصبر الصبر الجميل صبر يعقوب عليه السلام ، حيث قال تعالى : ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ [يوسف: 18] فالصبر ديدن المسلم ، سواء صبر على نفسه في مرض أو فقر، أو صبر على عدوه فهو يلزم الصبر حتى ينصره الله عليهم فلا يشتكي لأحد بل يهرع إلى الله بالدعاء .

وبالصبر يتحقق النصر والفرج ويظفر المسلم بعدوه ويُمكن له في الأرض ، كيف لا وهو صاحب الخُلق الحسن لا سيما خُلق الصبر الذي تُبنى عليه أموره كلها حيث قال ﷺ **(عجبًا لأمر المؤمن إنّ أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له .)** (4) ؟ .

و ما يزيد الأمر وضوحًا في أن النصر يتحقق بخُلق الصبر هو قوله تعالى : ﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال: 66] ، حيث بينت الآية " أن الله مع الصابرين والمقصود أن العشرين لو صبروا ووقفوا فإن نصرتي معهم وتوفيقي مقارن لهم " (5) . وليس أدل على ذلك من قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**

1. الأخلاق في الإسلام: د.كايد قرعوش ، خالد القضاة وغيرهم ، 135 ، ط 2 ، 1422 هـ – 2001 م ، دار المناهج .
2. أدب الدنيا والدين: أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، 294 ، ط 1 ، 1401 هـ – 1981 م ، دار اقرأ.
3. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية، 2 / 161 ، دار الحديث.
4 . صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير ، ص 1144 ، ح 2999 .
5. التفسير الكبير : الرازي ، 15 / 196 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ [آل عمران : 123 – 126] يقول الزمخشري في هذه الآيات: " إن الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم " [1] .

قلت : إن المتأمل في هذا السياق القرآني ليجد أن الله ﷻ وسّط الصبر بين نصرين ، حيث ذكر النصر في معركة بدر في بداية السياق ثم تابع القول في الحديث عن معركة أحد وبين لهم أن النصر من عند الله ﷻ وبين هذا وذاك جاء بذكر الصبر والتقوى ، فهذا إن دل فإنما يدل دلالة واضحة على أن الصبر لازم من لوازم الجهاد والقتال وبه يكون تحقيق النصر والغلبة، فمن صبر واتقى عجّل الله له بالنصر المُبين على الأعداء.

" والمؤمنون الذين يحسنون الظن بالله تعالى يدركون أن النصر آتٍ لا محالة، وأنه لا علاقة له البتة بالعدة والعتاد وكثرة العدد، إذا توافر لديهم الإيمان والقدر الكافي من الصبر على المكاره، قاموا بإعداد ما يستطيعون إعداده من العدة والعتاد مهما كان متواضعًا " [2] .

إذن خلاصة القول فيما سبق:

أن الأخلاق الإسلامية لها أهمية عظيمة في حياة الفرد والمجتمع وهي سببٌ لتحقيق النصر والغلبة والتمكين في الأرض، فالمسلمون في ميدان المعركة وإن كانوا قلة فإن الله ﷻ يكتب لهم النصر بأخلاقهم الحميدة من صبر وتواضع وثبات وصدق ورحمة، فالخُلق الحسن هو الذي يمنع صاحبه من الفرار من أرض المعركة ويبقى ثابتًا حتى يحرز الغلبة والظفر بالعدو ، ولذلك كان من دعاء المجاهدين قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [سورة البقرة : 250] . وهذا الذي نعنيه في اتصاف القِلة المؤمنة بالأخلاق الحسنة كونها سببًا في تحقيق النصر والغلبة على عدوها .

---

1. الكشاف : 1 / 187 .
2 . مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة:أحمد أبو الشباب ، 1 / 131 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا : الدعوة إلى الله ونصرة الدين :

إن الدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة الدين واجب من واجبات الأمة الإسلامية يؤدي إلى رقي المجتمع ورفعته، بحيث لو فقد المجتمع من يقوم بهذا الواجب لأدى إلى انتشار الفساد والانحلال فيه؛ لذلك كان صفة من صفات القلة المؤمنة حيث التزمت بواجب الدعوة إلى الله ونصرة الدين فكانت تستحق النجاة والمدح ، كما سيأتي لاحقًا.

أ) تعريف الدعوة إلى الله :

عرف ابن تيمية بقوله : " طلب اتباع ما جاءت به الشريعة والكف عما نهت عنه "[1] .

ب) تعريف نُصرة الدين :

عرفها الرازي في تفسيره بقوله: " والنصرة تحقيق مطلوب أحد المتعاديين عند الاجتهاد والأخذ في تحقيق علامته، فالشيطان عدو الله يجتهد في تحقيق الكفر وغلبة أهل الإيمان والله يطلب قمع الكفر وإهلاك أهله وإفناء من اختار الإشراك بجهله "[2] .

قلت : فإذا تحقق مطلوب أي من الطرفين يكون نُصرة له على الآخر .

ج) الدعوة والنُصرة صفة للقلة المؤمنة :

عندما كانت الدعوة إلى الله ﷻ ونصرة الدين صفة من صفات القلة المؤمنة قال الله ﷻ في كتابه : ﴿ **وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ** ﴾ [آل عمران : **164 – 165**] ، يبين الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ في هاتين الآيتين حال جماعة من الدعاة كانت تعظ المعتدين في السبت وتنهاهم عن معصية الله فيه ولقد كانت دعوتهم تلك تأدية لفرض الله ﷻعليهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يتقوا الله فيخافوه وينيبوا إلى طاعته ويتوبوا من معصيتهم إياه[3] .

ويوضح ابن عاشور خلاصة القول في الآيتين السابقتين فيقول: " فالمعنى أن صلحاء القوم كانوا فريقين فريق منهم أيس من نجاح الموعظة وتحقق حلول الوعيد بالقوم لتوغلهم في المعاصي وفريق لم ينقطع رجاؤهم من حصول أثر الموعظة بزيادة التكرار فأنكر الفريق الأول على الفريق الثاني استمرارهم على كلفة الموعظة واعتذر الفريق الثاني بقولهم " معذرة إلى ربكم

1. موسوعة فقه ابن تيمية:د.محمد رواس قلعجي، 1 / 308 ، دار النفائس.
2. التفسير الكبير: الرازي ، 28 / 49 .
3. انظر: جامع البيان : الطبري ، 9 / 112 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولعلهم يتقون" فالفريق الأول أخذوا بالطرف الراجح الموجب للظن، والفريق الثاني أخذوا بالطرف المرجوح جمعًا بينه وبين الراجح لقصد الاحتياط ليكون لهم عذرًا عند الله أن سألهم لماذا أقلعتم عن الموعظة ، ولما عسى أن يحصل من تقوى الموعوظين بزيادة الموعظة " (1) .

قلت: وحال القِلة المؤمنة الاستمرار على الدعوة وعدم اليأس والثبات رغم رفض المدعوين، فالداعية في كل زمان ومكان يجب عليه الاستمرار على الدعوة وإنكار المنكر ولو بأضعف الطرق كما قال رسولنا الكريم: (**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**)(2).

بل أثنى الله ﷻ على الفئة الداعية ومدحها بقوله: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [آل عمران : 110] " يخبر الله ﷻ عن الأمة الإسلامية بأنها خير الأمم في الوجود الآن ما دامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله إيمانًا صحيحًا صادقًا كاملاً، وإنما قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان لأنهما أدل على بيان فضل المسلمين على غيرهم ولأن الإيمان يدعيه غيرهم وتظل الخيرية والفضيلة لهذه الأمة ما دامت تؤمن بالله حق الإيمان وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر " (3) .

وترى الباحثة أن القِلة المؤمنة تجمع بين الدعوة إلى الله ﷻ بما فيها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين نُصرة الدين ؛ إذ إن نُصرة الدين جزء من الدعوة إلى الله ، كيف لا وبنُصرة الدين إظهار الحق وإبطال الباطل ونشر للدين في ربوع المعمورة ؟ ونُصرة الدين تشمل نصرة الله ودينه ورسوله وسنته وأوليائه وغيرهم ، وهذا ما قاله الله ﷻ في كتابه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد :7] " قال الطبري في تفسير هذه الآية : " أي يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إن تنصروا الله ينصركم بنصركم عليهم ويظفركم بهم فإنه ناصر دينه وأوليائه " (4) .

" أي إن تنصروا دينه ورسوله(ينصركم) على عدوكم " (5) .

وفسر الرازي النُصرة في الآية بقوله:" إن تنصروا دين الله وطريقه أو حزبه وفريقه ، أو المراد

1. التحرير والتنوير: 9 / 152 .
2. صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأنّ الإيمان يزيد وينقص وأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، ص 42 ، ح 49 .
3. التفسير المنير: وهبة الزحيلي ، 4 / 40 .
4. جامع البيان : : 25 / 53 .
5. أنوار التنزيل : البيضاوي ، 5 / 190 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نصرة الله حقيقة. فمن نصره الله فقد حقق مطلوبه، ثم بين أن المؤمن ينصر الله بخروجه إلى القتال وإقدامه والله ينصره بتقويته وتثبيت أقدامه وإرسال الملائكة الحافظين له من خلفه وقدامه " [1] .

قلت: ونُصرة الدين تكون أيضًا بإظهاره ، حيث قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً** ﴾ [الفتح : 28] بين الطبري المراد بالآية بقوله : " هو أن الله ﷻ أرسل رسوله محمدًا ﷺ بالبيان الواضح ودين الحق وهو الإسلام ليبطل به الملل كلها حتى لا يكون دين سواه فيظهر دين الإسلام على الأديان كلها وخاصة عندما ينزل عيسى – عليه السلام – فيقتل الدجال عندها تبطل الأديان كلها غير دين الله " [2] .

قلت: هذا هو نُصرة الدين على كل الرسالات السماوية الأخرى ولقد تكفل الله ﷻ بالعناية والنصرة لمن ينصره وينصر دينه ، حيث قال تعالى﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ** ﴾ [الحج : 40] أي " وليعينن الله من يقاتل في سبيله لتكون كلمته العليا على عدوه ، فنصر الله عبده: معونته إياه ونصر العبد ربه : جهاده في سبيله لتكون كلمته العليا " [3] . والمراد بمن ينصر الله أي من ينصر دينه ونبيه وأولياءه ، ولقد أنجز الله وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم ؛ حيث مكنهم في الأرض فقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾ [الحج : 41] ، فهي وصف من الله ﷻ للذين أُخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حُسن السيرة عند تمكينه إياهم في الأرض وإعطائه إياهم زمام الأحكام " [4] .

قلت : حيث قاموا بما أمرهم الله ﷻ من الدعوة ونُصرة الدين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فجزاهم بذلك الثواب الجزيل بالتمكين في الأرض ووراثتها .

والنصرة لا بد فيها من التأييد الفعلي ، فهي لا تتوقف عند حد إثبات موقف التأييد لها والعداء لأعدائها ، بل تتجاوزه إلى التأييد الفعلي عند القدرة عليه ومن أدلة ذلك قول الحجر للمسلم آخر الزمان ورائي يهودي تعال فاقتله ، وذلك في الحديث الشريف حيث قال ﷺ **(لا تقوم الساعة**

---

1. انظر: التفسير الكبير : 28 / 49 .
2. انظر: جامع البيان : 25 / 127 .
3. المرجع السابق : 17 / 211 .
4. انظر: القرطبي : 12 / 49 ، وأبي السعود 4 / 22 ، والبيضاوي 4 / 129 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود) [1] [2] .

وترى الباحثة أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونُصرة الدين مستمرة إلى قيام الساعة؛ حيث إن الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها ، فيجب على المسلمين التمسك بدين الله والدعوة إليه والثبات على ذلك حتى ينصرهم الله ﷻ على أعدائهم ويظهر دينه على كل باطل ،وتلك هي صفة من صفات القِلة المؤمنة والآيات سالفة الذكر خير شاهد على ذلك.

يقول مصطفى مشهور – رحمه الله – : " سيظل الصراع بين الحق والباطل تتسع ميادينه وترتفع رايات الجهاد ويتنزل نصر الله على عباده المؤمنين ويتخذ الله شهداء حتى يتنزل نصر الله ويُمكن لدين الله في الأرض بإذن الله ، [... ثم يضيف قائلاً] : ولا يجوز أن يداخل شبابنا أي يأس في تحقيق النصر والتمكين بسبب كثرة الأعداء وقِلة المؤمنين، فقديمًا كان المؤمنون مع رسول الله قِلة في العدد والعدة ، والأعداء كثرة في العدد والعدة ولكن الله أيد رسوله والمؤمنين بجنده ولله جنود السموات والأرض " [3] .

د) خطورة ترك الدعوة والنُصرة :

ولقد حذر الله ﷻ من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال تعالى : ﴿ **فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ** ﴾ [هود : 116] ، حيث وصف الله ﷻ التاركين **للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بظلم النفس ، فقال الرازي :" وأراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتبعوا طلب الشهوات واللذات واشتغلوا بتحصيل الرياسات "** [4] **.**

وترى الباحثة : أن ما قاله الرازي يوضح حال كثير من المسلمين اليوم في زماننا ، فما إن تقلد أحدهم منصبًا تربع فيه أو كرسيًا جلس عليه، إلا ونسي تلك الفريضة وذلك الركن العظيم وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبحث عن شهوته وخشي على ملكه من الزوال

---

1. انظر: قدر الدعوة : رفاعي سرور، 209 ، 1412هـ – 1992 م ، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة.
2. صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، ص 1223 ، ح 2922 .
3. من فقه الدعوة (زاد على الطريق): مصطفى مشهور، 2 / 682 -683 ، 1416 هـ – 1995 م .
4. التفسير الكبير : 18 / 75 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والضياع وترك الأمة تضيع بضياعه، فمثل ذلك يحذر عذاب الله وعقابه لكونه ضيع القيام بتلك الفريضة وهي الدعوة إلى الله ﷻ ونُصرة دينه إلا أن يعود لرشده ويدرك الصواب فيدخل في مدح الله ﷻ: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [آل عمران : **110**] ، فكل مسلم مكلف بتلك الفريضة وذلك الواجب وهو متربع على عرشه وفي منصبه ، فهي فريضة مستمرة إلى قيام الساعة حتى لا يكون مع الذين ظلموا أنفسهم في قوله: ﴿ **فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ**﴾ [هود : **116**] .

ولقد وضح القرطبي أن السياق في الآية السابقة كان توبيخًا للكفار سائلاً إياهم : هلا كان من الأمم التي كانت قبلكم أصحاب طاعة ودين وعقل وبصر ينهون قومهم عن الفساد في الأرض لما أعطاهم الله تعالى من العقول وأراهم من الآيات ، ولكن قليل هم الذين نهوا عن الفساد في الأرض، أما الذين أشركوا وعصوا فهؤلاء اشتغلوا بالمال واللذات وآثروا ذلك على الآخرة وكانوا مجرمين [(1)] .

وعقب على ذلك د.عبد الله شحاتة في تفسيره مادحًا الفئة القليلة الداعية بقوله:" إن هؤلاء في كل أمة دليل حيويتها وسبيل بقائها وهم دعاة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أمثال مؤمن آل فرعون الذي حض قومه على الإيمان بموسى وعدم إيذائه ،بيد أن هؤلاء الدعاة لم يتواجدوا بكثرة،بل وجد قليل منهم نصحوا وآمنوا وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فنجاهم الله مع المرسلين، والآية تلقي اللوم على المكذبين وتحذر المسلمين أن يتهاونوا في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [... ثم يضيف قائلاً] : " إن القلة من العقلاء لم تستطع القضاء على الفساد ولكن الكثرة الظالمة انغمست في الترف والنعيم وأمعنت في الفساد والضلال وتابعت حلقات الشهوات والإجرام فاستحقت الهلاك والدمار" [(2)] .

قلت : وقول القرطبي وشحاتة السابقين يدلان على أن القلة المؤمنة هي الفئة التي التزمت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأخذت على نفسها الدعوة إلى الله ﷻ فاستحقت النجاة، أما الكثرة الكافرة فهي التي جرت وراء الترف فاستحقت الهلاك ، وهذا هو ما يتعلق بموضوع الدراسة عندنا.

1 . انظر : الجامع لأحكام القرآن :القرطبي، 9 / 75

2. تفسير القرآن الكريم: 12 / 2278 – 2279 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلاصة :

إن الدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونُصرة الدين ركن أساسي من أركان الدين فيجب على المسلم التمسك بهذا الركن فهو مستمر إلى قيام الساعة ،وعلى الداعي ألا ييأس، بل يستمر في دعوته قال تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : 104] وإن لم يجد الداعية استجابة من المدعوين يغير المنكر بالقلب (**فليغيره بقلبه وذلك أضعف الإيمان**) [1] ولقد ذم الله تاركي هذه الفريضة حيث ما فلحت أمة تركتها قال تعالى: ﴿ ...**وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ** ... ﴾ [هود : 116] وفي المقابل مدح الله ﷻ الفئة القليلة المؤمنة التي قامت بهذا الواجب حيث قال تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [آل عمران : 110] ، فالقيام به سببٌ في نجاتهم وعدم دمارهم حيث قال تعالى:﴿ **إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ** ﴾ [هود : 116] . ومن ثَم يحقق لهم النصر والغلبة على أعدائهم والتمكين في الأرض ، فالفئة القليلة المؤمنة هي التي تقوم بهذا الواجب وتبتعد عن توبيخ الله لها بترك الدعوة ونُصرة الدين .

خامسًا : الثبات رغم حالة الضعف :

أ) وجوب الثبات في أرض المعركة:

يُعد الثبات في أرض المعركة واجبًا على الفئة المقاتلة، ولو تتبعنا الآيات الواردة بهذا الشأن لوجدنا أن القِلة المؤمنة هي التي اتصفت بهذه الصفة ؛ إذ لا يجوز الفرار إلا في حالات سنبينها فيما بعد.

حيث قال تعالى إخبارًا عن القِلة المؤمنة المقاتلة عندما دعوا ربهم أن يثبتهم : ﴿ **قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [سورة البقرة : 250] والمعنى في هذه الآية أنهم دعوا الله ﷻأن يثبت أقدامهم في أرض المعركة أمام الأعداء ويقوي قلوبهم عند اللقاء معهم حتى ينهزم الأعداء أمامهم وطلبوا من الله أن يجنبهم الفرار والعجز.[2]

قلت : وبالفعل تحقق لهم النصر بذلك الدعاء ؛ حيث قال تعالى: ﴿ **فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ** ﴾ [سورة البقرة : 250] وهزيمة الأعداء تستوجب النصر للمؤمنين .

---

1. سبق تخريجه في ص 36 .

2. انظر : جامع البيان :الطبري ، 2 / 766 ، والتفسير العظيم :ابن كثير، 2 / 615 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول السعدي فيما يستفاد من هذه القصة : " إنه ينبغي عند حضور البأس تقوية المجاهدين وتشجيعهم وحثهم على القوة الإيمانية والاتكال الكامل على الله والاعتماد عليه وسؤال الله التثبيت والإعانة على الصبر والنصر على الأعداء [1] .

وفي قوله " وثبت أقدامنا " إن هذا عبارة عن القوة من عند الله والنُصرة وعدم الفشل، حيث يقال: ثبت قدمه فى الحرب إذا كان الغلب له والنصر معه ، ولقد وضع الظاهر موضع المضمر في قوله ﴿ **وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ وهم جالوت وجنوده ، إظهارًا لما هو العلة الموجبة للنصر عليهم وهي كفرهم، وذكر النصر بعد سؤال تثبيت الأقدام لكون الثاني هو غاية الأول. ولقد عقب سبحانه بقوله ﴿ **فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا** ﴾ أي بالنصر والظفر ﴿ **وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ** ﴾ بالأجر والمغفرة [2] .

وعلق الله ﷻ نصر المؤمنين وتثبيت أقدامهم على نصرتهم له حيث قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد : 7] " هذا أمرٌ منه – تعالى– للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه وجهاد أعدائه، وأن يقصدوا بذلك وجه الله ، فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم وثبت أقدامهم، أي يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات ويصبر أجسادهم على ذلك ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعدٌ من كريم صادق الوعد أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه وييسر له أسباب النصر من الثبات وغيره " [3] .

قلت : ويحصل ذلك للقلة المؤمنة وإن كانت ضعيفة أو قليلة يثبتها الله ﷻ حتى ينصرها على عدوها وسبب ذلك كله هو الإيمان ونُصرة دين الله ﷻ، وفي سياق الآية السابقة ذكر صاحب الظلال لفتة جميلة ، حيث قال: " إن الظن يذهب لأول وهلة أن تثبيت الأقدام يسبق النصر ويكون سببًا فيه ، وهذا صحيح ولكن تأخير ذكره في العبارة يوحي بأن المقصود معنى آخر من معاني التثبيت ، معنى التثبيت على النصر وتكاليفه فالنصر ليس نهاية المعركة بين الكفر والإيمان وبين الحق والباطل والضلال ، فللنصر تكاليفه في ذات النفس وفي واقع الحياة، للنصر تكاليفه في عدم الزهو به والبطر وفي عدم التراخي بعده والتهاون، وكثير من النفوس يثبت على المحنة والبلاء ولكن القليل هو الذي يثبت على النصر والنعماء وصلاح القلوب وثباتها على الحق بعد النصر منزلة أخرى وراء النصر" [4] .

---

1. تيسير الكريم الرحمن: 90 .
2 . انظر: فتح القدير:الشوكاني ، 1 / 333 ، و الوجيز: الواحدي، 236 .
3 . تيسير الكريم الرحمن : السعدي : 730.
4 . سيد قطب ، 6 ، 26 / 3289 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قلت : وقول سيد قطب : " ولكن القليل هو الذي يثبت على النصر والنعماء..." هو الذي نعنيه في هذه الدراسة من اتصاف القلِة المؤمنة بالثبات في أرض المعركة رغم ضعفهم حتى يتحقق لهم النصر على العدو.

والذي يزيد الأمر وضوحًا قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ** ﴾ [الأنفال : 45] ففي هذه الآية يأمر الله ﷻ القلِة المؤمنة إذا حاربت جماعة من الكفرة بالثبات للقائهم في مواطن الحرب [1] .

والأمر بالثبات عند قتال الكفار سبقه النهي عن الفرار فالتقى الأمر والنهي على سواء ، وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتجلد له. ثم ذكر في الآية ذكر الله ﷻ المعين على الثبات أمام العدو في الشدائد أو ثبات القلوب وذكر اللسان فإن القلب لا يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين ويثبت اللسان على الذكر... [2] ويؤيد هذا قوله تعالى : ﴿ **أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد : 28] .

وترى الباحثة : أن المسلم يجب عليه الثبات في أرض المعركة رغم ضعفه ، وعدم الفرار إلا في حالات . فالأمر في قوله (فاثبتوا) للوجوب على عمومه ما لم يُخصص ولقد خُصص بحالات ثلاث محددة فيبقى الوجوب إلا في تلك الحالات التي سنبينها في هذا البحث .

ب) تحريم الفرار من المعركة وعقابه :

لقد أمر الله ﷻ بالثبات رغم حالة الضعف، وحذر من الفرار إلا من حالات معينة حيث قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [الأنفال : 15 - 16] ؛ حيث يحذر الله ﷻ في هاتين الآيتين من الفرار من أرض المعركة وإن كان الأعداء كثيرين مجتمعين يزحفون فلا يجوز تولية الظهور إلا أن يكونوا مستطردين لقتال عدوه يطلبون عورة له يمكنهم إصابتها فيكروا عليه أو صائرين إلى حيز المؤمنين الذين يفيئون به معهم إليهم لقتالهم ويرجعون به معهم إليهم. وفي غير هاتين الحالتين حذر الله من الفرار حيث من يفعل ذلك سينال غضب الله ﷻ يوم القيامة [3] .

وفي الدر المنثور أن تلك الآيات نزلت في أهل بدر لا قبلها ولا بعدها عندما سأل نافع عبد الله ابن عمر فقال : إنا قوم لا نثبت عند قتال عدونا ولا ندري مَن الفئة أمامنا أو عسكرنا

---

1. انظر : إرشاد العقل السليم : أبي السعود ، 2 / 363 – 364 .
2. انظر: الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، 4 / 17 .
3. انظر : جامع البيان : الطبري ، م 6 ، 9 / 239 – 243 ، و تفسير الجلالين : السيوطي والمحلي ، ص 152.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقال لي : الفئة رسول الله فقال نافع إنّ الله تعالى يقول: ﴿ **إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ** ﴾ قال: إنما أنزلت هذه الآية في أهل بدر لا قبلها ولا بعدها.[1] وعرّف الزمخشري الزحف في قوله (زحفًا) وهو " الجيش الدهم الذي يُرى لكثرته كأنه يزحف " [2] .

قلت : وهذا إن دل فإنما يدل على أن الأعداء كانوا كثرة والمؤمنين كانوا قلة ورغم ذلك أمروا بالثبات فثبتوا ، وهذا ما يؤكده قوله تعالى ﴿ **فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ** ﴾ . فالمعنى : إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تولوهم أدباركم فضلاً عن الفرار، بل قابلوهم وقاتلوهم مع قتلكم فضلاً عن أن تدانوهم في العدد أو تساووهم فلا تنهزموا أمامهم، بل اثبتوا واصبروا ؛ لأن عاقبة التولية والفرار وخيمة ويحل عليكم سخط عظيم من الله ﷻ وتبوؤوا بجهنم و بئس المآل.[3]

ولقد حذر الرسول ﷺ أيضا من الفرار فقال: (**اجتنبوا السبع الموبقات [...وذكر منها] والتولي يوم الزحف**) . [4]

ج) الحالات المستثناة من الثبات :

1. التحرف للقتال : حيث قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [الأنفال : 16] ومعنى التحرف للقتال أن ينصرف المجاهد من جهة إلى أخرى أو من موضع لآخر حسب ما يقتضيه حال القتال كأن ينتقل من مكان ضيق إلى أرحب منه ، أو ينحاز من مواجهة الشمس أو الريح إلى استدبارهما وغير ذلك ، ويكون التحرف للقتال للمجاهد وللفئة من الجيش أو للجيش كله فالاستثناء في الآية دل على أنه يشمل الفرد ويشمل الأكثر من أولى للمصلحة [5] .

2. التحيز لفئة : حيث قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [الأنفال : 16] ومعنى التحيز إلى فئة

---

1 . انظر: الدر المنثور في التفسير المأثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، 4 / 36 ، 1414 هـ – 1993 م دار الفكر.

2. الكشاف : 2 / 412 .

3. انظر إرشاد العقل السليم: أبي السعود، 2 / 351 ، وصفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، 1 / 497 ، ط 9 ، دار الصابوني .

4. صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها ، ص93 ، ح 89 .

5. انظر: معالم الجهاد الحربي :جمال الهوبي ، 2 / 451 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو أن يتحيز أو يصير المجاهد إلى فئة من المسلمين ليكون معهم فيقوى بهم على عدوهم ، وسواء أكانت هذه الفئة قريبة أم بعيدة فإن كانت الحرب في الشام أو خرسان والفئة بالحجاز جاز التحيز لها [1] .

3. **الفرار مما زاد عن الضِّعف** : حيث يجوز الفرار إذا زاد الكفار على ضعف المسلمين ، فإن كانوا مثلين فما دونهما فإنه يحرم الفرار بدليل قوله تعالى : ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال : 66] ولقد روى الإمام البخاري عن ابن عباس قال : " لما نزلت ﴿ **إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ** ﴾ [الأنفال : 65] شق ذلك على المسلمين حين فُرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ، فجاء التخفيف فقال ﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ ...** ﴾ قال : فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم " [2] .

خلاصة القول فيما سبق : إنّ الثبات أمر ضروري بايع الصحابة –رضوان الله عليهم– رسول الله ﷺ على الصبر والثبات وعدم الفرار وذلك كان في بيعة الرضوان حيث غزوة الحديبية فقال تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ [الفتح : 18] " . هذه البيعة تؤدي إلى تحقيق الصبر والثبات وانعدام الفرار من الجنود حتى النصر أو الشهادة وهذا كله يقود إلى النصر والفتح المبين بإذن الله، يؤدي إلى اندفاع أسود الإسلام نحو العدو مقبلين غير مدبرين كالموت النافع المندفع بلا هوادة، مما يحتم تراجعه وتقهقره وانهزامه بإذن الله " [3] . ولقد ذكر أحدهم معنى جديدًا للثبات بقوله : " وقد يكون تثبيت القدم في المعركة مع النصر تثبيتًا في الآخرة على الصراط المستقيم ، وهذا جزاء لا يعدله جزاء إذ تثبيت القدم عمومًا هو التمكن من الأمر وهو دلالة على القوة والانتصار على الأعداء ورسوخ المكانة عند الله تعالى " [4] . **ويتضح لنا** أنّ الثبات واجب في أرض المعركة إلا في الحالات المستثناة الثلاث في الآية سواء كان العدو قليلاً أم كثيرًا وبالرغم من حالة الضعف حتى يتحقق لهم النصر المبين على العدو وتلك هي صفة من صفات القِلة المؤمنة .

---

1. انظر: المرجع السابق : 2 / 452 .
2. انظر المرجع السابق : 2 / 453 -454 .
3. انظر المرجع السابق : 2 / 655 .
4. ركن الثبات : د. علي عبد الحليم محمود ، تحليل وشرح أعده في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا ، 60 ،1418هـ – 1997 م ، دار التوزيع والنشر الإسلامية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : أقسام القلة المؤمنة :

أولاً :الرجال المستضعفون والولدان والنساء :

أخبر الله ﷻ في كتابه العزيز عن حال فئة قليلة كانت مستضعفة ولا تملك الدفاع عن نفسها وهي فئة الرجال والولدان والنساء ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ...** ﴾ [النساء : 75] ؛ حيث خاطب الله ﷻ في هذه الآية المؤمنين المأمورين بالقتال على سبيل الالتفات، وذلك بأن يقاتلون في سبيل الله ﷻ وسبيل المستضعفين حتى يخلصوهم من الأسر ويريحوهم مما هم فيه من الجهد [1] .

والمراد بالمستضعفين هم الذين يعدّهم الناس ضعفاء ، وأراد بهم مَن بقي من المؤمنين بمكة من الرجال الذين منعهم المشركون من الهجرة بمقتضى الصلح الذي انعقد بين الرسول وبين سفير قريش سهيل بن عمرو ، ومن المستضعفين الوليد بن الوليد[2] وسلمة بن هشام [3] وعياش بن أبي ربيعة [4] ، وأما النساء فهن ذوات الأزواج أو مَن كان لهن ولي من المشركين ، اللواتي يمنعهن أزواجهن وأولياؤهن من الهجرة : مثل أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط [5]

---

1. انظر: فتح القدير :الشوكاني ، 1 / 615 .

2. الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، من أشراف قريش في الجاهلية ومن أجوادهم ، وهو أخو خالد بن الوليد ، أدرك الإسلام ، وثبت على وثنية قومه ، إلى أن كانت وقعة بدر فأسره المسلمون ففداه أخواه هشام وخالد بمال وفير وانصرف به فأسلم ، لحق بالنبي ﷺ ، وشهد عمرة القضية ، ومات بالمدينة . انظر : الأعلام : الزركلي ، 8 / 122 - 123 .

3.هو أخو أبي جهل من السابقين ، هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فحبسه أخوه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له ولعياش بن أبي ربيعة في القنوت ، ثم هرب مهاجرًا بعد الخندق . انظر : سير أعلام النبلاء : الذهبي ، 1 / 361 .

4. عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عياش المخزومي المدعو له في القنوت ، وروى عنه ابنه عبد الله ، وكان أخا أبي جهل لأمه . انظر: سير أعلام النبلاء : الذهبي ، 1 / 316 .

5. أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية (33هـ - 653م): صحابية ، هي أول مَنْ هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، أسلمت قديمًا ، ولما علمت بهجرة الرسول ، خرجت ماشية من مكة إلى المدينة تتبعه ، ولحقها أخوان لها لإعادتها فلم ترجع ، وكانت عذراء فتزوجها في المدينة زيد بن حارثة ، واستشهد في غزوة مؤتة (8هـ) ، فتزوجها الزبير بن العوام فولدت له زينب ، وفارقها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحميدًا . مات عنها فتزوجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهرًا في المدينة وماتت ، و هي أخت عثمان لأمه ، قال ابن سعد : ولا نعلم قرشية خرجت من بيت أبويها مسلمة مهاجرة إلا أم كلثوم انظر : الأعلام : الزركلي ، 5 / 231 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأم الفضل لبابة بنت الحارث زوج العباس [1] ، فقد كن يُؤذين ويُحقّرن ، أما الولدان فهم الصغار من أولاد المؤمنين والمؤمنات فإنهم كانوا يألمون من مشاهدة تعذيب آبائهم وذويهم وإيذاء أمهاتهم وحاضناتهم .[2] وإن ما يؤكد على تناهي ظلم المشركين واستضعافهم لتلك الفئة هو ذكر الله ﷻ للولدان مع الرجال والنساء ، فهذا إن دل فإنما يدل على أن أذاهم بلغ الصبيان لإرغام آبائهم وأمهاتهم من جهة ، وإيذانًا بإجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع إلى الله – **تعالى** – من جهة أخرى، وكل ذلك للمبالغة في الحث على القتال . [3] واحتمال أن يكون السبب في ذكر الولدان مع عدم التكليف لهم لقصد المبالغة في أمر الهجرة وإيهام أنها تجب لو استطاعها غير المكلف ، فكيف مَن كان غير مكلف [4] .

ولقد بين الطبري المراد بقوله تعالى : ﴿ **إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً** ﴾ **[النساء : 98]** بقوله " وهم العجزة عن العجزة بالعسرة وقلة الحيلة وسوء البصر والمعرفة بالطريق من أرضهم أرض الشرك إلى أرض الإسلام من القوم الذين أخبر – **جل ثناؤه** – أن مأوهم جهنم ... " [5] .

وقوله ﴿ **مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ** ﴾ لقصد التعميم والمقصد التنبيه على أن من الرجال مستضعفين ، فلذلك ابتدأ بذكرهم ثم ألحق بذكرهم النساء والولدان؛ لأن وجودهم في العائلة يكون عذرًا لوليهم إذا كان لا يجد حيلة [6] .

حيث كان أناس مسلمون بمكة لا يستطيعون أن يخرجوا منها ، ولقد كان ابن عباس – **رضي الله عنه** – يقول :(كنت أنا وأمي من المستضعفين) [7] .

1. لبابة بنت الحارث الهلالية ، الشهيرة بأم الفضل (30هـ – 650م): زوجة العباس بن عبد المطلب ، من نبيلات النساء ، ولدت من العباس سبعة أحدهم عبد الله بن العباس وهي التي ضربت أبا لهب بعمود فشجته ، حين رأته يضرب أبا رافع مولى رسول الله في حجرة زمزم بمكة على أثر وقعة بدر ، وكان موت أبي لهب بعد ضربة أم الفضل له بسبع ليال ، أسلمت بمكة بعد إسلام خديجة ، وكان رسول الله يزورها ويقيل في بيتها ، وروت 30حديثًا منها 3 في الصحيحين ، وتسمى لبابة الكبرى تمييزًا لها عن أخت لأبيها اسمها (لبابة) أيضًا وتعرف بالصغرى . انظر : الأعلام : الزركلي ، 5 / 239
2. انظر :التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 3 / 123 .
3. انظر: إرشاد العقل السليم : أبي السعود ، 2 / 202 .
4. انظر: فتح القدير : الشوكاني، 1 / 567 .
5. جامع البيان : م 4 ، 5 / 285 – 286 .
6. انظر :التحرير والتنوير :ابن عاشور ، 3 / 177 .
7. انظر :الدر المنثور : السيوطي، 2 / 593 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قلت : والذي يدلل على كونهم مستضعفين دعاؤهم الوارد في سياق الآية الكريمة ؛ حيث قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً** ﴾ [النساء : 75] حيث يوحي سياق الآية الكريمة أنهم طلبوا المُعين والنصير من الله ﷻ وأن يخلصهم من أيدي الظلمة الكافرين فاستجاب الله لدعائهم ويسر لهم أسباب الهجرة من مكة للمدينة ثم تم لهم النصر بفتح مكة وأنصف المظلوم من الظالم . وبين السعدي في تفسيره أنه نالهم أعظم الظلم من أعدائهم فهم يدعون الله أن يخرجهم من هذه القرية الظالم أهلها لأنفسهم بالكفر والشرك ، وللمؤمنين بالأذى والصد عن سبيل الله ومنعهم من الدعوة لدينهم والهجرة .[1] ولقد أشار ابن عاشور إلى ذلك المعنى وأنّ الله استجاب دعوتهم وهيأ لهم النصر بيد المؤمنين فقال : " ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ﴾ أي فجند الله لهم عاقبة النصر ، ولذلك فرع عليه الأمر بقوله ﴿ **فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾ " [2] .

وترى الباحثة أنّ الله ﷻ حقق لهم النصر بالفعل ،بعد أن طلبوا منه ﷻ العون والنصر فاستجاب لهم ونصرهم فهم القلة المستضعفة العابدة لله ﷻ الصابرة على أذى عدوها . والذي يؤكد على أنهم كانوا مستضعفين هو ما ورد في السيرة النبوية " أن هجرة المسلمين من مكة لم تكن في الحقيقة هجرة طوعية تمت بمحض إرادتهم واختيارهم ، بل إنهم هاجروا بعد ما ظُلموا أو فُتنوا في دينهم قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ** ... ﴾ [النحل : 41] وقال : ﴿ **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ** ﴾ [النحل : 110] " [3] .

حيث عَدُوا على مَن أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على مَن فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، و يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ومنهم من يثبته الله ويعصمه منهم [4] .

قلت : وهذه حال المسلمين المستضعفين في كل زمان ومكان وإلى قيام الساعة ؛ حيث وجد أناس متجبرون متسلطون من أعدائهم يهاجمونهم كمسلمين يحملون العقيدة الصحيحة في صدورهم، ولقد تنوعت أساليبهم في الاستضعاف إما بالسجن، وفيه من الضرب والبطش

---

1. انظر :تيسير الكريم الرحمن : 151 ، ط 1 .
2. انظر : التحرير والتنوير : 3 / 177 .
3. الوسيط في السيرة النبوية : د. هاشم يحيى الملاح ، 275 ، ط1 ، 1423هـ – 2003 م .
4. انظر: السيرة النبوية : ابن هشام ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا ، إبراهيم الأنباري وغيرهم ، 354 ، ط 3 ، 1421 هـ – 2000 م دار إحياء التراث العربي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحرمان والجوع ما فيه ، وإما بالقصف والحرق والهلاك وتدمير البيوت ، وهذه حالنا اليوم في فلسطين وغيرها من البلاد الإسلامية المستضعفة من قبل الأعداء اليهود والأمريكان ، وهذا الإجرام لم يقتصر فقط على الرجال ، بل شمل النساء والولدان والعجزة والرُضع حتى الأجنة في بطون الأمهات لم تسلم من بطشهم، ولكنَّ الله ﷻ وعدنا ووعد الطائفة المؤمنة بالنصر المؤزر إلى قيام الساعة وهذا ما نقصده في هذا المقام ، وما سيتم بيانه لاحقًا .

ثانيًا : الأنبياء والرسل وورثتهم :

أ) بيان المراد بالورثة :

لقد أرسل الله ﷻ الرسل والأنبياء ولم يقتصر فقط على إرسالهم ، بل جعل لهم ورثة من بعدهم يحملون همّ الرسالة والدعوة ويلاقون من أقوامهم الأذى والتعذيب والتكذيب والعناد وعن بيان المراد بالورَثة يقول ابن قيم الجوزية : " هم ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم ، وهم القائمون بما بُعثوا به علمًا وعملاً ودعوة للخلق إلى الله على طريقتهم ومنهاجهم ، وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة ،وهي مرتبة الصدّيقية ، ولهذا قرنهم الله في كتابه بالأنبياء ، فقال تعالى : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً** ﴾ [النساء : 69] " [1] .

وهذا ما دفعني إلى أن أقرن بين الأنبياء والورثة في رسالتي في هذا المقام .

ب) الرسل والأنبياء وورثتهم من أقسام القلة المؤمنة :

لقد بينت لنا الكثير من الآيات القرآنية أن الأنبياء والرسل هم من المستضعفين في الأرض وكيفية إيذاء الكثرة الكافرة لهم، رغم ذلك كتب الله ﷻ النصر والتمكين ووراثة الأرض لتلك القلة المؤمنة ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ** ﴾ [الأعراف : 137] والمعنى في هذه الآية يبينه الطبري بقوله : " وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم فيذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ويستخدمونهم تسخيرًا واستعبادًا من بني إسرائيل " . [2] حيث دمر الله ﷻ ما كان يفعله من القصور والعمارات وأورث الأرض لبني إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة ، وتمكنوا في نواحيها وكل ذلك بسبب صبرهم على الشدائد [3] .

---

1. انظر : طريق الهجرتين وباب السعادتين : ابن قيم الجوزية ، 614 ، مطابع الدوحة الحديثة .
2. جامع البيان : م 6 ، 9 / 51 – 52 .
3. انظر : الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، 4 / 173 – 174 ، وأنوار التنزيل : البيضاوي ، 3 / 54 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحول المراد **بالاستضعاف** يقول الرازي : " إنه كان يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم ، ويأخذ منهم الجزية ، ويستعملهم في الأعمال الشاقة " [1] وفي قوله تعالى : ﴿ **نُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴾ [القصص : 5] قال الشوكاني في تفسيره لهذه الآية : " وهذا وعدٌ من الله سبحانه بالنصر والظفر بالأعداء والاستيلاء على أملاكهم ." [2] وعلى نفس المعنى يؤكد الرازي ، حيث أنجز لهم وعدهم بإهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض بسبب صبرهم فهذا يدل على مَنْ قابل البلاء بالجزع وكَلَه الله إليه ، ومَنْ قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج . [3] **قلت** : وأولئك المستضعفون الذين أورثهم الأرض هم ورثة الأنبياء الذين التزموا شريعة الله ﷻ ومنهجه فعُذبوا وأوذوا لكونهم قلة لا يملكون دفع الضر عن أنفسهم فصبروا فأثابهم الله بالصبر نصرًا مبينًا واستخلافًا في الأرض وتمكينًا. ولعل الذي يؤكد على أن الأنبياء والرسل وورثتهم من أقسام القلة المؤمنة هو استضعاف الأعداء لهم وإلحاق الأذى والضر بهم وتدبير المكائد لقتلهم والبطش بهم ، فلو تتبعنا سيرة الأنبياء لوجدنا كيفية إيذاء الأعداء لهم وما حدث لسيدنا يحيى وزكريا – **عليهما السلام** – لا يخفى على كل قارئ . وهذه صورة من صور الاستضعاف في الأرض ، وهي استضعاف فرعون ، ذلك الملك المتجبر لطائفة مؤمنة وكيفية نصر الله لها حيث قال تعالى حاكيًا عن حالها : ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ** * ﴾ [القصص : 4 – 6] حيث يوضح ابن عاشور أن الطائفة التي استضعفها فرعون هم بنو إسرائيل كانوا قد سكنوا في الأرض (أرض مصر) من زمن يوسف – **عليه السلام** – ولهم حق العيش فيها كما لغيرهم ولكنه استضعف تلك الطائفة فكان يجعلها محقّرة مهضومة الجانب لا مساواة بينها وبين فرق أخرى ، ولا عدل في معاملتها بما يعامل به الفرق الأخرى، في حين أنهم استوطنوا ونشؤوا فيها، ونكتة إظهار الذين استضعفوا دون إيراد ضمير الطائفة للتنبه على ما في الصلة من التعليل فإن الله رحيم بعباده وينصر المستضعفين المظلومين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً [4] .

1. التفسير الكبير : 14 / 221 .
2. فتح القدير : 2 /349 .
3. انظر : التفسير الكبير : 14 / 221 – 222 .
4. انظر : التحرير والتنوير : 10 / 69 – 70 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبين الشيخ محمد الشعراوي – رحمه الله – أن الظالمين والأقوياء الجبابرة يهاجمون الرسل ويحاربون منهج الله الذي يقطع عليهم سبل الفساد ، حيث صناديد قريش الذين تصدوا للنبي ﷺ ودعوته فكل رسول يأتي فإن له مَنْ يعاديه من الجبابرة ومن أصحاب الفساد في الأرض مصداقًا لقول الحق : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ [الأنعام : 112] وحتى ينصر الله ﷻ نبيه محمدًا على صناديد قريش فإنه جعل النصر له وهو في المدينة المنورة ولم يجعله وهو في مكة ، حيث التف حوله المستضعفون في الأرض الذين لا يستطيعون حماية أنفسهم ثم هاجروا ونصرهم الله من بعد ذلك على الأقوياء [1] .

والذي يؤكد على النصر قوله تعالى : ﴿ **وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ [الأعراف : 86 – 87] ففي هاتين الآيتين يوضح ابن عاشور أن عدد المسلمين كان قليلاً ثم جعل في عددهم كثرة ، ومعنى تكثير الله إياهم تيسيره أسباب الكثرة لهم بأن قوّى فيهم قوة التناسل وحفظهم من أسباب الموت ويسر لنسلهم البقاء حتى كثرت مواليدهم وقلت وفياتهم فصاروا عددًا كثيرًا في زمن لا يعهد مثله مصير أمة إلى عددهم ،وذلك في مقابل عدد الكافرين الذين استأصل الله ﷻ عددهم وهو من تمايز الأشياء [2] .

ويبين صاحب الظلال أن القدرة الإلهية تضرب الظلم والطغيان والبغي ضربة مباشرة عندما يعجز عن ضربها البشر ، ويكون النصر للمستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة ، ونمكن للمعذبين الذين لا حيلة لهم ولا وقاية ، وهو المعنى الذي كانت القِلة المسلمة المستضعفة في مكة بحاجة إلى تقريره وتثبيته وكانت الكثرة الباغية الطاغية في حاجة إلى معرفته واستيفائه [3] .

قلت : فالله ﷻ لا يرضى الظلم لأحدٍ من عباده ، حيث إنه نصرهم على عدوهم بعد أن كانوا مستضعفين ، وهذا ما يختص بالفئة المستضعفة من ورثة الأنبياء ، وهم من أقسام القِلة المؤمنة وهو ما يختص بالأنبياء والرسل وورثتهم . فلقد تحمل الأنبياء ومَنْ تبعهم من المؤمنين الأذى والإعراض والمكابرة من قِبل الكفار ، وخير دليل على ذلك سيدنا نوح – عليه السلام – الذي دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا فما آمن معه إلا قليل ، فاتجه لربه أن ينصره على الأعداء واستجاب الله ﷻ له بقوله تعالى : ﴿ **فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ**

---

1 . انظر : قصص الأنبياء : محمد متولي الشعراوي ، 5 / 3122 – 3123 ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

2. انظر : التحرير والتنوير : 5 / 248 – 249 .

3. سيد قطب ، 5 / 2676 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْبَاقِينَ ﴾ [الشعراء : 119- 120] حيث أنجاه الله ﷻ ومَنْ جاء بعده من الأنبياء إلى محمد ﷺومَنْ معهم من القلة المؤمنة المستضعفة بعد صبرهم وثباتهم على الدعوة وبالفعل تحقق النصر بعد الأمر الرباني للمسلمين بالجهاد في سبيل الله على سيدنا محمد ﷺ حيث قال تعالى : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** * ﴾ [الحج : 39 – 41] فسياق الآيات السابقة كلها يؤكد على صبرهم على أعدائهم ثم أمرهم بالجهاد حتى لو كانوا قلة بقوله (**إلا قليل**) والقليل هم ورثة هؤلاء الأنبياء ، ومن ثَم تأييد الله لهم بالنصر على الأعداء والتمكين في الأرض ، كيف لا ومعية الله ﷻ حاضرة معهم في أرض المعركة ؟ حيث قال تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ [آل عمران : 126] وبذلك كتب الله النصر والتمكين والاستخلاف في الأرض للأنبياء وأتباعهم القلة المؤمنة بعد أن كانوا مستضعفين في الأرض وذلك النصر بما ميزوا به من صفات حيث إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقبل هذا وذاك الصبر على أذى الأعداء فكانوا بحق يستحقون نصرًا عظيمًا .

خلاصة القول فيما سبق :

بعد الحديث عن أقسام القلة كان ينبغي علينا أن نُجمل القول حوله ، وهو ما وضحه سعيد حوى حيث بيّن أن المتأمل لحال العرب قبل الإسلام وحالهم بعده والمتأمل لمعارك المسلمين مع غيرهم خلال التاريخ ، – والمراد بالمسلمين المسلمون الحقيقيون– يجد ظاهرة تتكرر وهي انتصار الفئة المؤمنة قليلة العَدد والعُدد على الفئة الكافرة كثيرة العَدد والعُدد ، ولله **جل جلاله** امتحاناته لأهل الإيمان ولكن العاقبة لهم ، فهذه الظاهرة تُري الناظر بجلاء أن شيئًا ما على خلاف العادة المعتادة في قوانين الصراع بين كفر وكفر يجري هنا وهناك ، وبين هذا وذاك يظهر التأييد الرباني بإظهار الدين ونصرة أهل الإسلام مهما بلغت أساليب الكفار في إطفاء نور الإسلام ، قال تعالى : ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [التوبة : 32] [1] .

وذلك هو موضوع الدراسة وينتهي بنصر القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة .

---

1. انظر : كتاب الإسلام : 711 – 712 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : صفات الكثرة الكافرة وأقسامها .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : **صفات الكثرة الكافرة .**

أولًا : الكفر .

ثانيًا : الفسق .

ثالثًا : الطغيان .

رابعًا : الضلال .

خامسًا : الترف .

سادسًا : الظلم .

سابعًا : الكِبر .

المطلب الثاني : **أقسام الكثرة الكافرة**

أولاً : أئمة الكفر .

ثانيًا : الملأ .

ثالثًا : القوم .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المبحث الثاني : صفات الكثرة الكافرة وأقسامها :

المطلب الأول : صفات الكثرة الكافرة :

بعد الحديث سابقًا عن صفات القِلة المؤمنة وأقسامها ، ونظرًا لطول موضوع الدراسة فقد رأت الباحثة الاقتصار على صفات بعينها للكثرة الكافرة ، وإن اتصافهم بهذه الصفات لا يعني نفي غيرها عنهم نحو الاستكبار والشرك والظلم وغيرها ، لذا فإننا سنقتصر على أخطر صفات للكثرة للكافرة ، **وهي كما يلي :**

أولاً : الكفر :

أ) تعريف الكفر :

1 . الكفر لغة : ستر الشيء ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص ، والزراع لستره البذر في الأرض ، ويقال كفر فلان : إذا اعتقد الكفر ، ويقال ذلك إذا أظهر الكفر وإن لم يعتقد ، وأكفره إكفارًا أي حكم بكفره . [1] ويقول ابن عاشور في تفسيره للكفر (إن الذين كفروا) " والكفر بالضم إخفاء النعمة ، وبالفتح الشر مطلقًا ، وهو مشتق من كفر إذا ستر ولمّا كان إنكار الخالق أو إنكار ما جاءت به رسله ضربًا من كفران نعمته على جاحدها أطلق عليه اسم الكفر ، وغلب استعماله في هذا المعنى " [2].

2 .الكفر اصطلاحًا :

هو " ستر نعمة المنعم بالجحود ، أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم " [3] .
وهو " تغطية ما حقه الإظهار ، وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو النبوة أو الشريعة " [4] .
وعُرف بأنه " تكذيب النبي ﷺ ما جاء به مما هو معلوم من الدين بالضرورة سواء كان تكذيبه صراحة أو ضمنًا " [5] .

أما تعريفه في الشرع فيقول ابن عاشور : " هو انكار ما دلت عليه الأدلة القاطعة وتناقلته جميع الشرائع الصحيحة الماضية حتى علمه البشر ، وتوجهت عقولهم إلى البحث عنه ، ونصبت عليه الأدلة كوحدانية الله تعالى ووجوده " [6] .

---

1. انظر : المفردات : الراغب ، 714 – 716 .
2. التحرير والتنوير : 1 / 248 – 249 .
3 . التعريفات :الجرجاني، ص 185 .
4 . التوقيف : ص606 . و انظر : المفردات : الراغب ، ص 434 .
5 . موسوعة فقه ابن تيمية : محمد قلعجي ، 2 / 1151 .
6. التحرير والتنوير : 1 / 248 – 249 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وترى الباحثة أنّ حقيقة الكفر من خلال التعريف اللغوي و الاصطلاحي هو الستر والتغطية والجحود لما جاء به النبي ﷺ سواء في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أو لبعض ذلك . وهي كما وضحها السعدي في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [سورة البقرة : 6] بقوله : "هو الجحود لما جاء به الرسول أو جحد به " [1] .

ب) الكفر صفة من صفات الكثرة الكافرة :

لمّا كان الإيمان صفة من صفات القلة المؤمنة كذلك كان الكفر صفة من صفات الكثرة الكافرة ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُوراً** ﴾ [الفرقان : 50] والمعنى كما وضح الطبري أن الله ﷻ بين للناس في القرآن من كلِ مثلٍ احتجاجًا بذلك كله عليهم ، وتذكيرًا لهم وحتى ينبههم على الحق ليتبعوه ، ويعملوا بما فيه ، ولكنّ أكثر الناس أبوا إلا الكفر والجحود والإنكار لحجج الله وأدلته [2] ؛ حيث إنهم صمموا على الكفر ولم يرجعوا عنه عندما عرضت عليهم من الناس أمور أو من خواطرهم فلم يقبلوا منها إلا الكفور والجحود فهم أبوا إلا الإشراك بالله وعدم التذكير ، فلقد جحدوا بالحق وردوا الصواب فكلما تتضح المحجة وينقطع الجدل بالحق الواضح يقابل ذلك كله بالجحود والإنكار [3] . فهم كفروا بالله وبنعمته ولم يكترثوا لها ، وكانوا يقولون (مطرنا بنوء كذا) فأشركوا به عظيم إشراك [4] . والذي يؤكد على صفة الكفر عندهم وإنكار النعمة ، قوله تعالى : ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [النحل : 83] . أي وأكثرهم جاحدون غير معترفين ولا مقرين بنعمة الله فهم بين اثنين إما إنسان يعترف بالنعم ولا يبني عليها الدخول الكامل في الإسلام ، أو إنسان يجحد أصلاً نعمة الله كهؤلاء الملحدين الذين لا يؤمنون بالله أصلاً فكيف سيدخلون في دينه ؟ وهي خاصة بالنعم ، وكأنهم يقولون النعم من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا ، فهم جميعهم كافرون بذلك منكرون لها . [5] وإنكار نعمة الله يستوي فيه جميع المشركين أئمتهم ودهماؤهم فقوله ﴿ **وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ يدل على أن الذين وصفوا بأنهم الكافرون هم غالب المشركين لا

---

1 . تيسير الكريم الرحمن : ص 24 ، دار الحديث .

2 . انظر: جامع البيان : الطبري ، 9 / 5587 .

3 . انظر: التحرير والتنوير :ابن عاشور، 9 / 50 ، و الأساس في التفسير :سعيد حوى، 6 / 3121 .

4 . انظر: تفسير النسفي : 3 / 797 ، والوسيط في تفسير القرآن المجيد : أبي الحسن النيسابوري ، 3 / 343 ، ط 1 ، 1415 هـ – 1994 م ، مكتبة دار الباز .

5 . انظر : الأساس :سعيد حوى، 6 / 2963 ، والجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، 10 / 106 – 107 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جميعهم ، فيحمل المراد بالغالب على دهماء المشركين فإن معظمهم بسطاء العقول بعداء عن النظر فهم لا يشعرون بنعمة الله ، ولقد حملهم على الكفر حب السيادة في قومهم [1] .

والمراد **بالكثير** هنا الجميع أي وجميعهم كفار فذكر الأكثر والمراد به الجميع [2] .

إذن مما سبق يتضح لدى الباحثة أن الكفر والإنكار وجحود النعمة صفة من صفات الكثرة الكافرة ، ألا تراه قال في كثير من الآيات ﴿ **وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ و﴿ **فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً** ﴾ ؟؟ فتلازُم لفظ الكثير مع الكفر دل دلالة واضحة على أن الكفر صفة للكثرة الكافرة، وهو ما نعنيه في هذا المقام ، وبالطبع أينما وجد الكفر وجدت الهزيمة ، وعندما تحل الهزيمة بالكثرة دل على أن الانتصار للقِلة المؤمنة ، فلقد قال الله ﷻ ﴿ **فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ** ﴾ ، ولا يخفى على كل ذي عقل أن الحديث في سياق المؤمنين والكافرين .

ثانيًا : الفسق :

أ) تعريف الفسق :

1. الفسق لغة :

فسق فلان إذا خرج عن حجر الشرع ، وذلك من قولهم فسق الرطُب إذا خرج عن قشره ، وهو أعم من الكفر ، والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير . وفسق عن أمر الله إذا خرج ، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرّبه ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضه ، ويعتبر الكافر الأصلي فاسقًا لكونه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة [3].

2. الفسق اصطلاحًا :

بيّن القرطبي تعريف الفسق بقوله : " الخروج من طاعة الله ﷻ فقد يقع على مَن خرج بكفر ، وعلى مَن خرج بعصيان " [4] .

وترى الباحثة أن الفسق هو الخروج عن القصد والشرع بالذنوب والمعاصي ، فالفاسق يخرج عن الدين وعن الشرع بأفكاره وتقاليده ، حيث قال تعالى : ﴿ **فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾ [الكهف : 50].

---

1. انظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور، 7 / 242–243 .
2. انظر: الوسيط :النيسابوري، 3 / 77 .
3 . انظر : المفردات : الراغب ، 636 . وأساس البلاغة : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ص 341 ، 1402 هـ – 1982م دار المعرفة بيروت – لبنان .
4. الجامع لأحكام القرآن : 1 / 170 ، وانظر فتح القدير : الشوكاني، 1 / 60 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب) الفسق صفة للكثرة الكافرة :

يعد الفسق صفة من صفات الكثرة الكافرة حيث قال تعالى : ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** ﴾ [المائدة : 49] فلقد وصفهم الله ﷻ في هذه الآية بأنهم خارجون عن طاعة الكتب والرسل فطاعة الكتب تنص على ضرورة الإيمان بالرسول النبي الأمي [(1)] .

والذي يؤكد على كونهم فاسقين قوله تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [آل عمران : 110] فهذه الآية توضح أن الذين كفروا من أهل الكتاب هم فاسقون لكونهم كفروا برسالة رسول الله فالواحد منهم ليس كافرًا عاديًا ، بل هو فاسق حتى في الكفر؛ لأنه عرف الحق ثم خرج وفسق عنه لذلك فليتربص الفاسقون وهم الأكثرية في اليهودية والنصرانية بالأقلية المؤمنة ليوقعوا بهم الأذى والضرر ، فالقليل منهم من يؤمن بالله وأكثرهم على الضلالة والفسق والعصيان [(2)] .

ولعل الذي يتمشى مع موضوع الدراسة من كون الكثرة الكافرة الفاسقة هي المهزومة هو قوله تعالى : ﴿ **لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ** ﴾ [آل عمران : 111] .

حيث جاءت هذه الآية عقب الآية السابقة التي تتحدث عن الفاسقين فبينت أن الفاسقين هم الكثرة الكافرة المنهزمة ، حيث لو حاولوا بكافة الطرق والوسائل إلحاق الضرر بالمسلمين فلن يضروهم إلا أذىً من طعن في الدين أو تهديد أو إلقاء الشبهات أو تحريف النصوص أو الخوض في النبي ﷺ أو إصابة بعض المسلمين ، ولكنهم لن يستطيعوا استئصال المسلمين ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ** ﴾ [آل عمران : 111] أي لن يستطيعوا أن يثبتوا أمام المسلمين لمقاتلتهم ، وإنما يولون الأدبار فهزيمتهم أمر لا مناص منه ، فالآية أعظم بشارة وتطمين للأقلية في أن الأكثرية تنهزم من غير أن تظفر من المسلمين شيئًا [(3)] ؛ حيث إنّ قوله ﴿ **ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ** ﴾ أكدت على وقوع ما أخبر الله به فإنهم لما قاتلوا المسلمين ولوا الأدبار ونصر الله المسلمين عليهم [(3)] .

---

1. انظر : تفسير الشعراوي : 5 /31 85.
2. انظر : في رحاب التفسير : كشك: 1 / 657 – 658 ، و تفسير الشعراوي ، 3 / 1678 -1679 ، و الأساس : سعيد حوى 2 / 850 – 851 .
3. تيسير الكريم الرحمن : السعدي ، 112 – 113 .

www.manaraa.com

و كما قال الشعراوي : " إنها تؤكد على أن أهل الكفر لا ينتصرون لا بذواتهم ، ولا يُنصرون بغيرهم أيضًا ، فهي قضية دائمة ، ليست المسألة مقصورة على عهد رسول الله فقط ، ولكنها ستظل إلى أبد الآبدين " [1] .

قلت : والهزيمة تلحق بالفاسقين إذا حافظت القلة المؤمنة على نصر دين الله ﷻ ، حيث قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد : 7] ؛ حيث إن مصير الفاسقين الهزيمة رغم كثرتهم أمام القلة المؤمنة ، وكل ذلك بتأييد الله ونصره لهم ، وهذا هو عين الموضوع الذي نتحدث عنه .

ثالثًا : الطغيان :

أ) تعريف الطغيان :

1 . الطغيان لغة :

من طغى وطغوت وطغيت طغوانا وطغيانًا وأطغاه كذا حمله على الطغيان وكذلك كل مجاوز الحد في العصيان طاغ ، وطغى السيل إذا جاء بماء كثير [2] .

2 . الطغيان اصطلاحًا :

عرفه ابن عاشور في تفسيره بأنه " الغلو في الظلم واقتحام المكابرة مع عدم الإكتراث بلوم اللائمين من أهل اليقين " [3] .

وترى الباحثة أن الطغيان هو تجاوز الحد في المعصية والذنب .

ب) الطغيان صفة للكثرة الكافرة :

يعد الطغيان صفة من صفات الكثرة الكافرة قال تعالى : ﴿ **وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [المائدة : 68] ؛ حيث أقسم الله ﷻ في هذه الآية على أن الكتاب المنزل على سيدنا ﷺ لا يزيد اليهود والنصارى إلا طغيانًا وتجاوزًا وغلوًا في التكذيب أما الأقلية فهؤلاء حافظوا على التوحيد ولم تحجبهم عن نور الحق شتى التقاليد فهم الذين يسارعون إلى الإيمان . [4] والذي يؤكد على هذا المعنى أيضًا قوله تعالى : ﴿ **وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [المائدة : 64]

---

1. تفسير الشعراوي : 3 / 1681 .
2 . انظر : المفردات : الراغب ، ص 520 ، وابن فارس : 583 .
3.. التحرير والتنوير : 4 / 267 .
4. انظر: جامع البيان ، الطبري : م 4 ، 5 / 382 ، و تفسير المراغي : م 2 ، 4 / 161.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذه الآية كما بينت معظم التفاسير أنها في سياق الحديث عن أهل الكتاب من اليهود فكان الأكثرية منهم على الطغيان وتجاوز الحدود في الكفر والحسد للعرب ولم يجذبهم ذلك إلى الإيمان ، فلم يقرب إلى الإيمان إلا عدد قليل منهم (1).

قلت : فالآيات السابقة تدلل دلالة واضحة على أن الأقلية هم الذين التزموا بالإيمان أما الأكثرية فهم الذين على الطغيان والمكابرة وبالطبع هم الذين تلحق بهم الهزيمة فالآية السابقة توضح ذلك وضوح الشمس ، ألا تراه – سبحانه – قال في سياق الآية : ﴿ **كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ **[المائدة : 64]** " أي كلما جمعوا للحرب جمعًا وأعدوا له العدة شتت الله جمعهم ، وذهب بريحهم فلم يظفروا بطائل ولا عادوا بفائدة ، بل لا يحصلون من ذلك إلا على الغلب لهم ، وهكذا لا يزالون يهيجون الحروب ويجمعون عليها ، ثم يبطل الله ذلك " (2) .

إذن مما سبق يتضح لدى الباحثة أن تشتيت الله لهم وإذهاب ريحهم ، وإبطال عدتهم للحرب دل دلالة واضحة على هزيمتهم أمام القِلة المؤمنة بسبب طغيانهم رغم كثرتهم ؛ لذلك جاء بالهزيمة رغم إعداد العُدة للحرب في سياق الطغيان .

رابعًا : الضلال :

أ) تعريف الضلال :

1 . الضلال لغة :

الضلال ضد الهدى والرشاد ويقال ضل يَضِلُّ و يَضَلُّ لغتان وضلالاً وضلالة ، وضل المسجد والدار لم يهتد إلى موضعها وأضل الرجل أضاعه وأهلكه ، وضل في الدين وهو ضال وضليل وصاحب ضلال وضلالة ومضلل وقد ضللته أي نسبته إلى الضلال ، وكل جائر عن القصد ضليل ومُضلَّلُ أي صاحب ضلالة وبطالة (3) .

2 . الضلال اصطلاحًا :

هو العدول عن الطريق المستقيم أو عن المنهج عمدًا كان أو سهوًا يسيرًا كان أو كثيرًا ، فإن الطريق المستقيم الذي هو المرتضى صعب جدًا ، والضلال له معان متعددة منها الغواية والفساد

---

1 . انظر: تفسير المراغي : 2 / 4 .

2 . فتح القدير : الشوكاني ، 2 / 72 .

3 . انظر: مجمل اللغة : ابن فارس ، 560 ، و أساس البلاغة :الزمخشري، 378 ، و الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب : سعود بن عبد الله ، 2 / 1091 ، دار الفجر للنشر والتوزيع .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنسيان والجهالة والخسارة والبطلان والزلل والخطأ [1] . **مما سبق يتضح** لنا أن الضلال هو العدول عن الطريق الحق والمنهج الصحيح بقصد أو بدون قصد .

ب) الضلال صفة من صفات الكثرة الكافرة :

يعد الضلال صفة من صفات الكثرة الكافرة حيث قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ** ﴾ [الأنعام : 119] أي وإن كثيرًا من الكفار ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام بأهوائهم الزائفة وشهواتهم الباطنة بغير مستند إلى وحي الله تعالى فكثير منهم متجاوزون لحدود الله وهذا ما نلحظه في كثير من الشعوب يقومون بتحريم الحلال من أشياء راجعة للهوى والجهل [2] .

وإن الضال من شأنه أن يُضل غيره حيث في (ليَضِلُون) قرئت فتح الياء على أنهم ضالون في أنفسهم وهي إشارة إلى كونه ضالاً ، وقراءة أخرى بضم الياء (ليُضلون) وهي إشارة إلى كونه مضلّ والمعنى واحد ؛ فالضال من شأنه أن يضل غيره والمضل لا يكون في الغالب إلا ضالًا إلا إذا قصد التغرير بغيره والمقصود التحذير منهم على كلٍ من القراءتين . والشخص المقصود بالإضلال هنا هو عمرو بن لحي[3] لأنه أول مَنْ غيّر دين إسماعيل [4] .

فتلك الآية تحذير من كثير من الناس الذين يضلون بأهوائهم بمجرد ما تهوى أنفسهم بغير علم ولا حجة فدعوتهم غير مبنية على حجة ولا برهان وإنما يوجد لهم شبه بحسب أهوائهم الفاسدة وآرائهم القاصرة . فليحذر الإنسان من أمثال هؤلاء [5] .

إذن ، مما سبق يتضح لنا أن الضلال صفة من صفات الكثرة الكافرة ؛ حيث بينت الآية أن الضلال ملازم للفئة الكثيرة أما الفئة المؤمنة القليلة لا ضلال لها ، وما إن اتصف أحدٌ بالضلال فمن المعلوم أنه لن يفلت من عقاب الله ﷻ كيف لا وقد حقت هزيمته على كل كافر طاغ ضال فاسق أمام القِلة المؤمنة ؟ والله أعلم .

---

1 . انظر : المفردات : الراغب ،509 ، و موسوعة الأخلاق والآداب:سعود عبد الله ، 2 / 1091 .

2 . انظر : القرآن العظيم :ابن كثير ، م 4 ، 7 / 1368 ، و في رحاب التفسير : كشك ، 2 / 1250 .

3 . عمرو بن لُحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي ، من قحطان أول من غير دين إسماعيل ، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان ، كنيته أبو ثمامة ، زار بلاد الشام ، ودخل أرض مآب كما يسميها العرب ، فأعجب عمرو بأصنام مآب فأخذ عددًا منها فنصبها بمكة ودعا الناس إلى تعظيمها والاستشفاء بها ، فكان أول مَنْ فعل ذلك من العرب . الأعلام : الزركلي ، 5 / 84 .

4. انظر: التفسير الكبير: الرازي، 13 / 166 و التحرير والتنوير : ابن عاشور، م 5 ، 8 / 35 – 36 .

5. انظر : تيسير الكريم الرحمن : السعدي ، 233 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا : الترف :

يعد الترف صفة من صفات الكثرة الكافرة ، ولقد حذر الله ﷻ منه عباده فأرسل إليهم الرسل كي ينذروهم ويدلوهم على الطريق الصحيح .

1. تعريف الترف لغة :

دلت كثير من كتب اللغة على معنى الترف أنه : الترفه والتوسع في النعم ويقال أترف فلان فهو مترف ، وأترفته النعمة أطغته ، والترف : التنعم ، والتُرفة : النعمة ، والمُترف : المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها (1).

2 . تعريف الترف اصطلاحًا :

لقد وردت عدة تعريفات للترف اصطلاحًا كلها تؤدي إلى نفس المعنى ونذكر منها ما يلي :

عرّف الشوكاني المُترف بقوله : " المترف المنعم ، يقال أترف فلان : أي وسع عليه في معاشه " (2) .

" المترفون جمع المترف وهو الذي أُعطي الترف أي النعمة " (3) .

"هو اللين وسعة العيش والتنعم " (4) .

" إراحة النفس ، والتمتع بالنعمة ، وسعة العيش " (5) .

" التنعم والتوسع في ملاذ الدنيا وبطر النعم والطغيان بسبب النعمة " (6) .

لذلك **مما سبق يتضح لنا** أنّ المعنى اللغوي نفس المعنى الاصطلاحي فنخلص بتعريف شامل للترف وهو : **راحة النفس وسعة العيش بما أنعم الله ﷻ و متّع به المترف مع ما يترتب على ذلك من جزاء أو عقاب المترف .**

---

1 . انظر : المفردات : الراغب الأصفهاني ، 74 ، و لسان العرب : ابن منظور ، 9 / 20 ، و مختار الصحاح : أبي بكر الرازي ، 54 . و السنن الإلهية في الكتاب والسنة بحوث المؤتمر الخامس لكلية الشريعة بجامعة الزرقاء الأهلية ، بحث الترف ، د . خالد محمد القضاة ، تحرير : د . جمال أبو حسان ، د. أنور الشلتوني ، 131 ، 1424 هـ - 2003 م .

2 . فتح القدير : 3 / 496 .

3 . التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 12 / 188 .

4 . السنن الإلهية في الكتاب والسنة بحث الترف ، د . خالد محمد القضاة 131 .

5. التوقيف :المناوي، 172 .

6 . تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين ، د. سيد العفاني ، 174 ، مكتبة معاذ بن جبل ، ط 2 ، 1422 هـ - 2002 م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3 . الترف صفة من صفات الكثرة الكافرة :

لقد بيّنت كثير من الآيات في القرآن الكريم عاقبة المترفين حيث قال تعالى : ﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ**﴾ [القصص : 58] حيث بيّن الله ﷻ في هذه الآية أنّ بطر النعمة سبب للهلاك وخاصة أنّ الله ﷻ يرسل الرسل للتحذير والبيان ، ولكنهم أبوا إلا العصيان والرفض فأهلكهم الله وأصبحت مساكن أهل القرية خاوية خالية تروي للمعتبرين قصة بطر النعمة حيث بقيت شاخصة تحدث عن مصارع أهلها ، وقد فنوا ولم يرثها بعدهم أحد [1] .

ومما يزيد الأمر وضوحًا حول ما يفعله المترفون قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾ [الزخرف : 23] يقول سيد قطب حول هذه الآية : " المترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ويجدون الراحة فينعمون بالدعة والراحة وبالسيادة حتى تترهل نفوسهم وتأسن وترتع في الفسق والمجانة وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات وتلغ في الأعراض والمحرمات ... " [2] ولقد قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾ [الإسراء : 16] ، فهذه الآية تبين أنّ الله ﷻ صب على الفاسقين النعمة صبًا فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات ، فلقد خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير والبر كما خلقهم أصحاء وأقدرهم على الخير والشر وأمرهم بإيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسق ، فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم [3] .

قلت : فالمترفون الذين يتنعمون بالنعمة على غير وجهها فإنّ الله ﷻ سيتغمدهم بعذابه سواء في الدنيا أو الآخرة ؛ لأنهم لم يستثمروا تلك النعمة فيما أحلّ الله وما أراد حسب وجوه الخير التي اقتضاها الدين الحنيف ؛ حيث إنهم استغلوها في المعاصي فحق عليهم العذاب . وفي ذلك عبرة ورسالة لكل زمان ولكل عصر أنْ يوجهوا النعمة وجه الحق وبما أحل الله تعالى حتى لا يأخذهم العذاب بغتة ، وأن يجعلوا الترف والنعم طريقًا لكسب قلوب الآخرين وجذبهم للدين الإسلامي بأي وسيلة كانت . وهلمّ نلقي النظر على تلك الدول التي خاضت بالفساد والعصيان بما أُعطيت من نعم ، واستغلت النعمة والأموال التي أعطاهم الله في سبيل محاربة الإسلام فلتنتظر قليلاً إنْ

---

1 . انظر : الظلال : 5 / 2704 .

2 . المرجع السابق ، 4 / 2217 .

3 . انظر : الكشاف : الزمخشري، 2 / 629 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم يكن العذاب عاجلاً فهو آجل أنْ تفوق من غفلتها . وليبصر كل معتبر ومتعظ وليضع صوب عينيه ﴿ **فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾ . ونؤكد القول بما قال الله ﷻ في كتابه ﴿ **فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ**﴾ [هود : 116] ؛ حيث بيّنت هذه الآية أنّ الذين ظلموا اتبعوا ما هم فيه من النعم والترف ظالمين باتباعهم ما أُترفوا فيه فلذلك حق عليهم العقاب واستأصلهم العذاب . [1] ويقول السعدي في نفس السياق : " وفي هذا حث لهذه الأمة أن يكون فيهم بقايا مصلحين لما أفسد الناس ، قائمون بدين الله يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى ويبصرونهم من العمى " [2] . **قلت** : فقول السعدي السابق **(بقايا مصلحين)** دليل على لزوم وجود تلك القلة المؤمنة التي تُبصر وتوضح الطريق أمام كل مَنْ لا يعرف النهج الصحيح هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنها تدل على أنّ الكثرة الكافرة هي التي تتبع ما أُترفت ، وأنّ القلة تبقى ثابتة على دينها أما الكثرة فلا تستغل ما أُوتيت من نعيم لتبغي وجه الله ﷻ فيكون عاقبتها الهلاك . **وأنوه** في هذه المقام إلى الأغنياء الذين يعطيهم الله ﷻ من نعيمه وفضله أن لا يبخلوا إذا طرق أبوابهم طارق فقير وأن يرأفوا بحالهم فما هو إلا مال الله وضعه في أيديهم ليعطوه للفقراء ولذلك فلنكن المبادرين بالعطاء حيث قال تعالى : ﴿ **لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ [آل عمران : 92] . وقال ﷺ: **(اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول . وخير الصدقة عن ظهر غنى ، ومَنْ يستعفف يُعفه الله ، ومن يستغنِ يُغنه الله)** [3].

خلاصة القول فيما سبق :

1. إنّ الترف صفة من صفات الكثرة الكافرة ، وعاقبة الترف النار؛ حيث قال تعالى : ﴿ **وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ** * ﴾ [الواقعة : 41 – 45] والبذل والعطاء صفة من صفات القلة المؤمنة .

2 . دعوة للإيثار والعطاء فقليل هم الذين يتفقدون الفقراء ويؤثرون غيرهم على أنفسهم ، لذلك فلنكن من الذين مدحهم الله في كتابه حيث قال : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ**

---

1 . انظر: تيسير الكريم الرحمن : 347 .

2 . المرجع السابق : 347 – 348 .

3. صحيح البخاري : كتاب الزكاة ، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ، ص 378 ، ح 1427 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : 9] حتى لا يُكتب علينا الهلاك والعقاب كالذين أُترفوا وغرتهم الحياة الدنيا ، وكذلك حتى لا يشملنا ذم الله ﷻ بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة : 34] . وقوله ﷺ: (... واتقوا الشحّ ، فإنّ الشحّ أهلك مَنْ كان قبلكم : حملهم على أنْ سفكوا دماءهم واستحلوا محارِمهم) [1] .

سادسًا : الظلم :

لقد وصف الله ﷻ كثيرًا من الأمم السابقة بهذه الصفة صفة الظلم ، لا سيما وقد اتصف بها الكثرة الكافرة وهذا ما سنتناوله في هذا المقام .

1 . تعريف الظلم لغة :

أصل الظلم " وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه " [2] . وظَلَمه يظلِمه بالكسر ظُلْمًا ، ويقال ظلمت السقاء إذا تناولته في غير وقته ، وظلمت الأرض حفرتها ولم تكن موضعًا للحفر ، والظلم ثلاثة أنواع : ظلم بين الإنسان وربه وأعظمه الكفر والشرك والنفاق ؛ حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : 13] ، وظلم بينه وبين الناس وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى : 40] ، وظلم بينه وبين نفسه وهي في قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ [فاطر: 32] [3] .

2 . تعريف الظلم اصطلاحًا (الشريعة) :

عرفه الجرجاني بقوله : " عبارة عن التعدي عن الحق وهو الجور " [4] .

وعرفه النووي بقوله : " مجاوزة الحد وعدم إيصال الغير إلى حقه " [5] .

خلاصة القول فيما سبق : إنّ جميع المعاني السابقة توضح بأنّ الظلم هو التجاوز والتعدي على حقوق الغير .

---

1. صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، ص 1000 ، ح 2578 .
2 . المفردات : الراغب ، 315 ، و التعريفات :الجرجاني، 147 ، ومختار الصحاح :الرازي، 225 – 226 ، و التوقيف :المناوي، 492 ، و فتح القدير :الشوكاني، 3 / 496 ، و نزهة المتقين : النووي ، 1 / 186 .
3. انظر: لسان العرب :ابن منظور، 12 / 433 – 441 ، و مختار الصحاح : الرازي،225 ، و المفردات :الراغب،315 – 316 .
4. التعريفات : 147 .
5. نزهة المتقين : 1 / 186 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3 . الظلم صفة من صفات الكثرة الكافرة :

لقد نفّر الله ﷻ من صفة الظلم وجعل عاقبتها وخيمة ؛ حيث قال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ** ﴾ [الأنعام : 129] .

قال الرازي في هذه الآية : " الآية تدل على أنّ الرعية كانوا ظالمين فالله تعالى يسلط عليهم ظالمًا مثلهم ، فإنْ أرادوا أن يتخلصوا من ذلك الأمير الظالم فليتركوا الظلم " [1] .

وهذا ما وضحه حديث المصطفى ﷺ حيث قال : (**إنّ الله ﷻ يُملي للظالم فإذا أخذه لم يُفلته**) ثم قرأ : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾ [هود : 102] [2] وكذلك قال ﷺ : (**مَنْ ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين**) [3] . ولقد بيّن الله ﷻ عاقبة الظالمين ممن كان قبلنا حيث قال : ﴿ **وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ** ﴾ [الأنبياء : 11 – 15] في هذه الآية يبين الله ﷻ أنه أوجد وأحدث بعد هلاك القرية قومًا ليسوا منها وأدركوا ورأوا العذاب ، ولكنهم خافوا وتوقعوا العذاب والانهزام ففروا وهربوا فقيل لهم ارجعوا إلى النعم التي كانت سببًا في بطركم وكفركم ، وارجعوا إلى مساكنكم التي كنتم تسكنون فيها وتفتخروا بها ولكنهم اعترفوا بأنهم مستوجبون لعذاب الله بسبب الظلم حتى قالوا ﴿ **يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ وبقوا على تلك الكلمة حتى أخذهم وأهلكهم وماتوا . [4] وكذلك يخبر الله ﷻ عن قوم ثمود حيث أرسل إليهم صالحًا فلما ظلموا وكفروا ومكروا دمرهم بظلمهم ، حيث قال تعالى : ﴿ **فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ *فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [النمل : 51 – 53] ؛ حيث إنهم أرادوا قتل صالح والفتك به فقد كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح عليه السلام أنه يفرغ منا إلى ثلاث ، فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث ، فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم ، فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادوا فطبقت الصخرة عليهم فم

1.التفسير الكبير : 13 / 194 توثيق ، وانظر تثبيت أفئدة المؤمنين :سيد العفاني، 176 – 177 .

2. صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، ص 1000 ، رقمه 2583 .

3. صحيح البخاري : كتاب المظالم ، باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض ، ص 462 ، ح 2453 .

4 . انظر : فتح القدير : الشوكاني، 3 / 496 – 497 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعب عندها لم يدر القوم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم ، حيث عذبهم الله كلاً منهم في مكانه ونجى صالحًا ومَنْ معه [1] .

قلت : فقولهم على أنهم لم يأخذوا منهم إلا ثلاثة أيام دل على كفرهم وظلمهم وكثرتهم هذا من جهة ، ومن جهة أخرى دل على نجاة القلة المؤمنة وإيمانها ، ألا تراه قال في الآية : ﴿ **وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [النمل : 53] ؟ ، وبذلك يكون الظلم صفة من صفات الكثرة الكافرة التي أهلكها الله ﷻ بظلمها ، وأنّ كل ظالم له نهاية فيجب علينا أن نبتعد عن الظلم ؛ لأنّ الظلم ظلمات كما قال ﷺ: (**اتقوا الظلم فإنّ الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشحّ ...**) [2] .

سابعًا : الكِبر :

لقد حذر القرآن الكريم في كثير من آياته من الكبر قال تعالى : ﴿ **فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [النحل : 29] ولقد حذر النبي ﷺ من مصير المتكبرين، حيث قال ﷺ: (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل : إنّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا ، قال : إنّ الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس**) [3]؛ لذلك فلا يجوز للإنسان أن يتكبر أو يتعالى؛ لأنّ التكبر مذموم في الإسلام .

1. تعريف الكِبر لغة :

الكِبْر : بالكسر والكبرياء العظمة والتجبر ، تكبر واستكبر وتكابر ، وقيل تكبّر من الكِبْر ، والتكبر والاستكبار : التعظم ، وليس لأحد أن يتكبر لأن الناس في الحقوق سواء فليس لأحد ما ليس لغيره فالله المتكبر .

والمتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده في حق الله ﷻ والكبرياء عظمة الله وملكه [4] .

2. تعريف الكِبر اصطلاحًا :

عرفه المناوي : " أن يتشبع [أي المرء] فيظهر من نفسه ما ليس له وهو مذموم " [5] . وعرّفه د. زكريا الزميلي بقوله : " هو فعل الإنسان نفسه بما يعادي نفسه والمجتمع والإنسانية جمعاء أو استخدام خسيس للقوة أو القدرة إلى مناهضة الحق إلى تعذيب البشر وسفك الدماء عن طريق

---

1. انظر الكشاف : الزمخشري، 3 / 862 .
2. سبق تخريجه في ص 63 (واتقوا الشُح ...) .
3. صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب تحريم الكِبر وبيانه ، ص 54 ، ح 91 .
4. انظر : لسان العرب : ابن منظور، / 148 – 155 .
5. التوقيف : 60 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصادرة حقوق الشعوب في العيش الكريم الهادئ والتدخل في الشئون الداخلية للشعوب واستغلال ثرواتها ثم استعمارها أخيرًا " [1] .

ولكني سأقف في التعريف الإصطلاحي للكبر على التعريف الذي ذكره النبي ﷺ في كلام هو من جوامع كلمه وهو الحديث السابق ، حيث قال : (**الكبر بطر الحق وغمط الناس**) .

يقول الإمام النووي في معنى هذا التعريف : " غمط الناس : احتقارهم ، وبطر الحق : فهو دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا " [2] .

" وللكبر أسباب كثيرة فقد تكون عن صفة كمال كالنعم والنسب والجاه والسلطان وربما نشأ عن غرور ووهم بحيث يعتقد أنه أكمل من غيره خطأ وجهلاً وهذا برهان على نقص عقله " [3] .

وأعظم أنواع الكِبْر الكِبْر على الله ﷻ وعلى رسله وهو شر أنواع الكبر [4]

قلت : وهذا الذي جعل الله ﷻ يعذبهم بكبرهم واستكبارهم ؛ حيث عذب فرعون وغيره بتكبرهم على الحق .

3 . الكِبر صفة من صفات الكثرة الكافرة :

يقول الله ﷻ واصفًا حال الذين استكبروا من قوم ثمود الذين بعث الله تعالى إليهم صالح فتكبروا؛ حيث قال تعالى : ﴿ **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ** ﴾ [الأعراف : 75 – 79] فالكثرة المستكبرة هم الذين يعاندون ويكابرون دائمًا حيث بيّنت هذه الآية أنّ الأشراف والرؤساء تكبروا عن الحق والمستضعفين آمنوا بالله وبما جاء به صالح – عليه السلام – ولقد كان بعض المستضعفين مؤمنين بما جاء به صالح من توحيد الله والخبر عنه ، وأمره ونهيه ، أما الذين استكبروا فحملهم الكبر على ألا ينقادوا للحق الذي انقاد له

---

1 . الاستكبار في الأرض : بحث د. زكريا الزميلي ، 26 ، 1224 هـ – 2004 م .

2 . صحيح مسلم بشرح الإمام أبي زكريا يحيى النووي ، 2 / 75، دار الفكر ، 1421 هـ – 2000 م وانظر: بحث الإستكبار في الأرض : د. زكريا الزميلي ، 6 .

3. موارد الظمآن لدروس الزمان : عبد العزيز المحمد السلمان ، 4 / 515 ، 1413 هـ – 1992 م .

4. انظر: المرجع السابق : 4 / 519 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الضعفاء فعقروا الناقة التي توعدهم الله ﷻ إن مسوها بسوء أن يعذبهم عذابًا أليمًا ، ولكنهم قسوا واستكبروا عن أمره فأذاقهم العذاب الشديد [1] .

ودعونا نضرب مثالاً لمن تكبر وعتا وعلا في الأرض ألا وهو فرعون الطاغية ، حيث يصور القرآن الكريم مشهده عندما تكبر حيث قال تعالى : ﴿ **وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** * ﴾ [القصص : 39 – 40] " فالاستكبار بالحق : إنما هو لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن " [2] . حيث إنهم عتوا في الفكر وجاوزوا الحد فيه وطرحه في البحر [3] . " فلما توهموا عدم الرجعة إلى الله استكبروا في الأرض بغير الحق ، وكذبوا بالآيات والنذر فنبذهم في اليم وأخذهم أخذَ شديدٍ ، فهي عاقبة مشهودة معروضة للعالمين وفيها عبرة للمعتدين ونذير للمكذبين وفيها كذلك يد القدرة تعصف بالطغاة والمتجبرين في لمح البصر وفي أقل من نصف سطر وهو ﴿ **فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴾ [4] حيث كانت عاقبة فرعون المتكبر الغرق ، وأنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارة وترفعه تارة أخرى ، وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده وكيف أغرقهم وما أحل بهم من البأس العظيم والخطب الجسيم ليقر بذلك أعين بني إسرائيل ويشفي نفوسهم ، فلما شاهد وعاين تلك الهزيمة بنفسه وباشر سكرات الموت عندها آمن، حيث لا ينفع الإيمان نفسًا لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا .[5] ويقول صلاح الخالدي حول تلك الآيات : " إنها تدعو كل مؤمن ذي بصيرة إلى أن يعتبر ويتعظ، وينظر كيف عاقبة الظالمين ليتخلى عن الظلم وليرى مصارع الظالمين على اختلاف الزمان والمكان " [6] .

والذي يؤكد على كونهم كثرة ما قاله صاحب الكشاف في نفس سياق الآية : " شبههم استحقارًا لهم واستقلالاً لعددهم ، وإن كانوا الكثر الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر" [7] .

---

1. انظر: تيسير الكريم الرحمن : السعدي ، 257 – 258 و الإستكبار في الأرض : د. زكريا الزميلي ، 15 .
2. الكشاف :الزمخشري 3 / 883 .
3. انظر : فتح القدير : الشوكاني، 4 / 216 .
4 . انظر : الظلال :سيد قطب، 5 / 2695 .
5. انظر : قصص الأنبياء : أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ،268 ، ط 1 ، 1421 هـ – 2001 م .
6. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : د. صلاح الخالدي ، 3 / 98 ، ط 1 ، 1419 هـ – 1998 م ، دار القلم دمشق – الدار الشامية بيروت .
7. الكشاف :الزمخشري، 3 / 883 ، وانظر : صفوة التفاسير :الصابوني، 2 / 435 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خلاصة القول فيما سبق :

1 . الاستكبار صفة من صفات الكثرة الكافرة ، والتواضع من صفات القِلة المؤمنة .

2 . مصير كل متكبر نار جهنم ، فعن حارثة بن وهب – رضي الله عنه – قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (... **ألا أخبركم بأهل النار ؛ كل عتل جواظ** [1] **مستكبر**) [2] .

3. الإيمان لا ينفع عند وقوع الهلاك والعذاب ، حيث قال تعالى مخبرًا عن فرعون : ﴿ **آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ** ﴾ [يونس : 90] ولكنّ الله ﷻ ردّ عليه بقوله : ﴿**آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [يونس : 91] .

---

1. عتل : الشديد الجافي والفظ الغليظ من الناس ، غريب الحديث : ابن الأثير ، ص 592 ، جواظ : الجموح المنوع ، وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته وقيل القصير البطين ، ابن الأثير ، ص173 .

2. صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن ، باب " عتل بعد ذلك زنيم " ، ص 970 ، ح 4917 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : أقسام الكثرة الكافرة :

أولاً : أئمة الكفر :

إن الله ﷻ ليبتلي عباده المؤمنين بوجود مَنْ هم أئمة للكفر والفساد ، وأعني بهم رؤوس الكفر الذين يصدون الناس عن عبادة الله ﷻ بل ويهاجمون ويقتلون كل مَن له اتصال بالله ﷻ .

ونرى أن المراد بأئمة الكفر هم مَنْ أعطاهم الله ﷻ زمام الحكم والملك ومن هم رؤوس الكفر الملوك والسلاطين والأمراء والسادة والقادة الذين أطاعهم عامة الشعب فيما يريدون لكونهم أئمة ينزل الجميع تحت سيطرتهم لتجبرهم وبطشهم وعربدتهم .

وهذا ما بينه كثير من الآيات القرآنية التي وضحت أفعال هؤلاء الأئمة من الكفار، حيث قال تعالى على لسان بلقيس [1] موضحًا فساد أئمة الكفر: ﴿ **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ [النمل : 34] فهذه الآية تعطي صورة للملوك حيث إذا دخلوا قرية أفسدوها بأساليب متنوعة بالقتل والأسر والنهب للأموال وتخريب الديار وجعل الرؤساء السادة أشراف الناس من الأرذلين [2].

ولقد وضح القرطبي بأنهم أهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الأمور، فصدق الله قول الملكة بلقيس؛ حيث إنها لو جاءت سليمان محاربة احتاجت إلى التخريب والإفساد فصدّقها الله – **سبحانه** – في قولها ﴿ **وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ فهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير؛ لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك وكلامها دل دلالة واضحة على أنها عازفة عن الحرب ومخطئة لطريقها .[3]

ولقد ذكر المراغي في تفسيره من أن قولها كان تحذيرًا شديدًا لقومها من مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم خوفًا من إذلال أهلها بالأسر والإجلاء عن موطنهم أو تقتيلهم ليتم لهم الملك والغلبة وتتقرر لهم في النفوس المهابة ، وحطموا القوة المدافعة عنها وعلى رأسها رؤساؤها وجعلوهم أذلة لأنهم عنصر المقاومة ، فهذا هو دأبهم الذي يفعلونه . [4]

قلت : فهي لم تكن تعرف سليمان – **عليه السلام** – مع كونه نبيًا ولكنها بنت قولها ﴿ **وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ على عِلم سابق علمته من قبل بأنهم يفسدون في الأرض وينتهكون القرية التي

---

1 . بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل ، من بني يعفر بن سكسك من حِمير ملكة سبأ ، يمانية من أهل مأرب . الأعلام : الزركلي ، 2 / 73 .

2. انظر : تيسير الكريم الرحمن : السعدي ، ص 554 .

3.انظر : الجامع لأحكام القرآن : م 7 ، 13 / 130 ، وانظر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : الواحدي ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، 2 / 803 ، ط (1) ، و الأساس : سعيد حوى ، 7 / 4012 .

4.انظر المراغي: 7 / 137 ، و الظلال :سيد قطب، 5 / 2640 ، ط (32) ، و في رحاب التفسير : كشك، 4 / 3514 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و يدخلونها ، وتلك هي صفة وديدن للكثرة الكافرة ولأئمة الكفر إذ لو لم تكن صفتهم ومنهجهم الإفساد والتدمير لما حكمت عليهم الملكة بلقيس من أول وهلة بأنهم كذلك .

إنَّ ما يزيد الأمر وضوحًا في هذا المقام هو قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا** ﴾ [الأحزاب : 67] وعن بيان المراد **بالسادة** يوضح علماء التفسير أنَّ السادة هم عظماء القوم والقبائل مثل الملوك ، وهي عامة في القادة والرؤساء في الشرك والضلالة وفيها زجرٌ عن التقليد ، أي فلقد أطعناهم في معصيتك فيما دعونا إليه فأضلونا عن سبيل التوحيد [1] .

فهذه الآية بيان لحال هؤلاء الكافرين في جهنم ؛ حيث إنهم أطاعوا كبراءهم في الضلالة والشرك فأضلوهم السبيل وأزالوهم عن محجة الحق وطريق الهدى من الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته والإخلاص في طاعته في الدنيا ؛ حيث تنطلق من نفوسهم النقمة على سادتهم وكبرائهم الذين أضلوهم وبالإنابة إلى الله وحده حيث لا تنفع الإنابة وفي هذا إحالة الذنب على غيرهم كما هي عادة المذنب يفعل ذلك وهو يعلم أنه لا يجد به نفعًا [2] .

فقولهم في هذه الآية شكوى منهم واعتذار وأنّى لهم أن تُقبل شكواهم وينفعهم اعتذارهم بعد طاعتهم للسادة والزعماء في الكفر والشرك والضلال ؛ حيث إنهم ضلوا السبيل فعاشوا ضالين وماتوا كافرين وحُشروا مع المجرمين [3] .

فهؤلاء تمنوا أن يجعل الله ﷻ عذاب سادتهم وزعمائهم ضعفي عذابهم ؛ لأنهم كانوا سببًا لضلالهم وطلبوا من الله أن يلعنهم أشد أنواع اللعن مرات عديدة تناسب فجورهم وطغيانهم ، فهم رؤوس الكفر والفتنة وزعماء البغي والضلال [4] .

" وهذا شأن الدهماء أن يسوِّدوا عليهم مَنْ يُعجبون بأضغاث أحلامه ويُغرُون بمعسول كلامه ، ويسيرون على وقع أقدامه ... " [5] .

وترى الباحثة أن أئمة الكفر هم قسمٌ من أقسام الكثرة الكافرة فهم بالفعل كانوا كثرة ؛ إذ إنهم فسدوا وضلوا ودعوا غيرهم إلى الكفر والشرك والفساد والضلال فكانوا بغيرهم وبمن أطاعهم

---

1. انظر: التحرير والتنوير :ابن عاشور، م 11 ، 22 / 118 ، و الجامع لأحكام القرآن :القرطبي ، م 7 ، 14 / 160 ، و الوجيز : الواحدي، 2 / 874 .
2. انظر : المراغي ، م 8 ، 22 / 42 ، و الظلال : سيد قطب ،5 / 2883 ، ط 32 .
3. انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : أبي بكر جابر الجزائري ، 4 / 296 ، ط 1 ، 1414 هـ – 1993 م .
4. انظر: قبس من نور القرآن الكريم : محمد علي الصابوني ، 5 / 210 ، ط 4 ، نشر دار القرآن الكريم – توزيع مؤسسة الريّان ، 1419هـ – 1998 م .
5. التحرير والتنوير : ابن عاشور ، م 11 ، 22 / 118 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كثرة فحقت عليهم الهزيمة بفسادهم وضلالهم ، كيف لا وقد قال الله ﷻ في كتابه ﴿ **وكانت عاقبة المفسدين** ﴾ فالعاقبة في الدنيا بالهزيمة وفي الآخرة بدخول النار ، فدخول مَنْ أطاعهم النار دل دلالة واضحة على دخولهم أيضًا النار ، ولمَ لا وهم الذين دعوا إلى الفساد والضلال ؟ فلذلك رجا مَنْ أطاعهم أن ينالهم ضعف العذاب ، وأن يلعنهم الله ﷻ بكافة أنواع وأشكال اللعن. وهذا إنْ دل فإنما يدل على أنَّ ما دعوا إليه هو باطل غاية البطلان . يوضح الغزالي أنّ مَنْ كانت هذه سياسته الظالمة يستحق أكثر من المقاطعة ؛ حيث قال : " إن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته ، وهو إما معزول أو واجب العزل ، فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس سلطانًا " [1] .

وهلمّ نقف وقفة متأنية بين يدي واقعنا المعاصر وكيفية تضامن جميع ولاة الدول العربية قبل الأوروبية مع اليهود والأمريكان ضد المسلمين في فلسطين وغيرها من البلاد الإسلامية ، فهم يتمالؤون مع بعضهم بعضًا ويخططون ويدبرون من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين بأساليب متنوعة من القتل والفساد والتخريب والدمار والقصف وهو واقع فلسطين اليوم ، وبالطبع هو ما أخبرت عنه بلقيس من حال الملوك عند دخولهم البلاد ، وهم الكثرة الكافرة متمثلين باليهود ومن والاهم فأصبحوا جميعهم أئمة للكفر وكاتفوا أيديهم وأفكارهم من أجل محاربة الدين، وأنّى لهم ذلك فمهما كثرت أعدادهم ومهما خططوا ودبروا ضد الإسلام فالإسلام هو المنتصر حتى ولو كان أبناؤه قِلة ، والكفر هو المهزوم ولو كان عدد المتمالئين معه مثل غثاء السيل ، حيث قال ﷺ : (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم مَنْ خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**) [2] . فالطائفة القليلة هي المنتصرة والكثيرة هي الكافرة المتمثلة بأئمة الكفر .

ثانيًا : الملأ :

بيّن سعيد حوى معنى الملأ وهم أشراف القوم وسبب التسمية ؛ لأنهم في موازين الناس يملؤون القلوب هيبة والمجالس أُبهة ، أو لأن الناس يعتبرونهم ملئوا بالأحلام والآراء الصائبة [3] . أو يملئون العيون بهجة ورُواء بتأنقهم في زيهم وتجميل منظرهم [4] . أو سُموا ملأ لأنهم مليون قادرون على ما يراد منهم من كفاية الأمور [5] .

---

1. إحياء علوم الدين : 2 / 139 .
2. سبق تخريجه في ص (ج) .
3. انظر : الأساس : 5 / 2553 .
4. انظر : المراغي ، م 3 ، 7 / 187 .
5. انظر : روح المعاني : الألوسي، 5 / 223 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن المتأمل للآيات القرآنية ليجد أن الملأ هم قسم من أقسام الكثرة الكافرة وأنهم أعوان للكفر؛ حيث إنهم حاولوا صد الناس عن عبادة الله ﷻ: ففي قصة صالح – عليه السلام – قال تعالى : ﴿ **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف : 75] بيّن السعدي المعنى في هذه الآية أن الرؤساء الأغنياء المتبوعين الذين جرت العادة باستكبارهم على الحق وعدم انقيادهم للرسل لم يكتفوا بذلك ، بل استكبروا عن الانقياد له وقدحوا فيه أعظم قدح ونسبوه إلى الضلال . [1] وفي قصة نوح ردوا الدعوة الإلهية بزعمهم أن نوح بشر مثلهم ، حيث قال تعالى : ﴿ **فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ** ﴾ [هود: 27] ، حيث رد أعوان الكفر دعوة نوح – عليه السلام – متمسكين بعذرٍ واحد وهو كون نوح – عليه السلام – بشرًا مثلهم فلم يكون نبيًا عليهم وكانوا يستهزئون بنوحٍ ومَنْ معه : ﴿ **ويقولون له وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ** ﴾ [هود: 27] أي ما نراك اتبعك إلا الأراذل والسفلة بزعمهم وهم في الحقيقة الأشراف وأصحاب العقول الذين انقادوا للحق ، واتبعوا دعوة نوح . [2] **قلت** : وهم لم يحكموا عليهم " أراذل " إلا لكونهم قلة مؤمنة اتبعت الحق ، أما الملأ فلقد كانوا كثرة لكونهم يصدون الناس عن اتباع أي نبي يأتي بدعوة إلهية جديدة ، ومن المعلوم أن الأنبياء لم يتبعهم في بداية الأمر إلا القلة المستضعفة التي لا حول لها ولا قوة أمام قوة الملأ وأتباعه ملكونهم كانوا كثرة يتفننون في أساليب الصد والضلال والتعذيب للقلة المؤمنة ، فهم دائمًا يحملون الرأي الخاطئ ففي قصة صالح قال عنهم الله تعالى : ﴿ **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف : 75] وقال عن الملأ في قصة هود : ﴿ **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [الأعراف : 66] ، وكذلك على عهد رسول الله ﷺ قال ﷻ : ﴿ **وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ** ﴾ [ص : 6] ، ولو تأملنا في قصة سليمان مع بلقيس عندما استفتت الملأ في أمر سليمان حيث قال تعالى : ﴿ **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ** ﴾ [النمل : 32] فهي عندما استشارتهم في أمرها وأمر سليمان أشاروا عليها بالحرب والقتال كونهم أصحاب القوة والبأس الشديد في الحرب ، ولكنهم أوكلوا الأمر إليها في

---

1. انظر : تيسير الكريم الرحمن : 255 .
2 . انظر : المرجع السابق : 336 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النهاية ولكنها لمّا أحست منهم الميل إلى القتال شرعت تبين لهم وجه الصواب وأنهم في غفلة عن قدرة سليمان وعظيم شأنه ؛ إذ مَنْ سُخر له الطير على الوجه الذي يريده ليس من السهل مجالدته والتغلب عليه .[1] **وترى الباحثة** : أنَّ الملكة بلقيس كانت على حكمة من رأيها وإطلاع فهي لم تقبل القتال ولا الحرب لكونها خشيت على ملئها وقومها من الهزيمة ، حيث قال تعالى على لسانها ﴿ **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ [النمل : 34] فقولها هذا ليدل دلالة واضحة على أن الهزيمة ستلحق بهم لو فكروا في القتال أو حتى لو فكروا في مقابلة سليمان فهم وإن كانوا كثرة وإن كانوا أصحاب القوة والبأس لكنّ الهزيمة ستكون حتفهم ، وكلام الله خيرُ شاهد على ذلك ، حيث قال : ﴿ **أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ [النمل : 34] أليست تلك الهزيمة بعينها وإن كانوا كثرة في عددهم ، وأكثر في عتادهم ؟.

ثالثًا : القوم :

وأقصد بهم أقوام رؤوس الكفر الذين يتبعون رؤساءهم الكفرة على باطلهم دون نظر واستدلال وتحري الحق والصدق . فلقد أرسل الله ﷻ الرسل لهداية أقوامهم وتحريرهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ولكنّ بعض الطغاة تجبروا وعتوا ومنهم فرعون – **لعنه الله** – حيث قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [القصص : 38] حيث خشي فرعون من كلام موسى على قومه وتصور أنه سيغيرهم بالكلية ، فأراد أن يذكرهم بألوهيته وأنه لم يتأثر بما سمع من موسى وحذرهم من تصديق كلام موسى – **عليه السلام** – [2] . ولقد استخف فرعون عقول قومه، حيث قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ** ﴾ [الزخرف : 54] ؛ حيث إنه استخف عقولهم بما أبدى لهم من الشبه التي لا تسمن ولا تغني من جوع ولا حقيقة تحتها وليست دليلاً على حق ولا على باطل ولا تروج إلا على ضعفاء العقول ، فلقد وجدهم فرعون لا عقول عندهم فكل شيء كان يقوله يتبعوه فيه ، وبسبب فسقهم قيض لهم فرعون يزين لهم الشرك والشر ، ولقد اتبع القوم فرعون وذلك لقلة أتباع موسى وثقل لسانه . [3] لذلك **يتضح مما سبق** أنّ القوم قسم من أقسام الكثرة الكافرة ، وهم الذين اتبعوا أئمة الكفر في كفرهم ، وهم في كل زمان لا يرغبون في اتباع الأنبياء والمرسلين في دعوتهم لكون الذين يتبعونهم قِلة وهم كثرة .

---

1. انظر : جامع البيان :الطبري ، م 11 ، 19 / 165 ، وفي رحاب التفسير :كشك، 4 / 3514 .
2. انظر :تفسير الشعراوي ، 18 / 10926 .
3. انظر : تيسير الكريم الرحمن: السعدي ، ص 851 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثانـي :

" أسباب الصراع بين القلِة المؤمنة والكثرة الكافرة "

وفيه مبحثان :

<u>المبحث الأول</u> : الصراع من أجل الدين .

<u>المبحث الثاني</u> : الصراع من أجل الدنيا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول : الصراع من أجل الدين .

و فيه مطلبان :

المطلب الأول : نصر القلِة المؤمنة للإسلام .

المطلب الثاني : نصر الكثرة الكافرة للكفر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

أسباب الصراع بين القلِة المؤمنة والكثرة الكافرة

المبحث الأول : الصراع من أجل الدين :

المطلب الأول : نصر القلِة المؤمنة للإسلام .

إن للقلِة المؤمنة دورًا عظيمًا في نصر الإسلام ، حيث تدافع عنه بكافة الوسائل والأساليب حتى لو كلفهم ذلك أرواحهم ، فعندما جاء الأمر الرباني بقتال المشركين لبوا ذلك أعظم تلبية حيث قال تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [الأنفال : 39] ففي هذه الآية يأمر الله – **سبحانه وتعالى** – المؤمنين بمقاتلة أهل الشرك قتالاً عنيفًا حتى لا يبقى شركٌ أبدًا ، ولا يعبد إلا الله وحده فيكون الدين كله لله وهو المقصود من الجهاد، فهو لم يجعل الكفار يعتدون على المسلمين ويأخذون أموالهم بالباطل ، فيكون المؤمنين أذلة مستضعفين ، والكفار عالين أقوياء فتحدث فتنة في الدين . [1]

وكذلك وصف الله تعالى المؤمنين في موضع آخر فقال : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾ [النساء : 76] حيث بينت هذه الآية أن الله – **سبحانه وتعالى** – استجاب دعوة المؤمنين ، وهيأ لهم أسباب النصر، فجند لهم عاقبة النصر بعد أن دعوا الله أن يخرجهم من القرية الظالم أهلها ، وطلبوا من الله الولي والنصير، حيث إنهم يقاتلون في سبيل طاعة الله ﷻ.[2]

قلت : أليس هو القائل مبينًا حالهم وهم مستضعفون : ﴿ **وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً** ﴾ [النساء : 75] فالله ﷻ يستجيب لدعائهم أن ينصرهم وقد وصفوه بالولي والنصير وهو القريب الذي يجيب دعوة الداعي، حيث

---

1 . انظر : تيسير الكريم الرحمن : السعدي : ص 282 ، و الشعراوي ، 8 / 4701 ، والتفسير المنير : الزُحيلي ، 9 / 322 – 323 .

2 . انظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور، م3 ، 5 / 121 – 122 . و الجامع لأحكام القرآن :القرطبي، م 3 ، 5 / 181 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة : 186] . والذي يؤكد على قِلتهم هو قول محمد عليان : " فلو تولينا حياة معظم هؤلاء المهاجرين لوجدنا أنهم ليسوا من ذوي المنعة والعزوة ، ولا هم من بطون قوية كثيرة العدة حتى تخشاهم قريش وتبتعد عن التصدي لهم ، ومحاولة إرجاعهم لعبادة آبائهم وفتنتهم في دينهم ... " [1] . **وترى الباحثة** أن المؤمنين كانوا على عهد رسول الله ﷺ قِلة مستضعفة ، حيث كانوا يعذبون في سبيل نُصرة الإسلام ، يعذبون بكافة الوسائل والأساليب بالروح والجسد ، ولكنهم ينطقونها بألسنتهم " أحدٌ أحدٌ " فكان الصراع بينهم وبين الكفار من أجل دينهم وهذا ما بينته السيرة النبوية عن حال الصحابة الكرام الذين كانوا قلة مستضعفة وهدفهم الأساسي هو الدفاع عن دين الله ، فلو وقفنا على أعتاب قصة بلال بن رباح – رضي الله عنه – لوجدنا كيف كان أُمية بن خلف يعذبه عذابًا شديدًا وكيف كان بلال صامدًا ثابتًا على دينه وهذا ما بينته سيرته – رضي الله عنه – حيث يقول منير الغضبان " وكان بلال مولى أمية بن خلف الجمحي ، فكان أمية يضع في عنقه حبلاً، ثم يسلمه إلى الصبيان ، يطوفون به في جبال مكة حتى يظهر أثر الحبل في عنقه ، وكان أمية يشده شدًا ثم يضربه بالعصا ، وكان يلجئه إلى الجلوس في حر الشمس ... [إلى أن قال] ثم يقول : [أي أمية] لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى . فيقول وهو في ذلك أحدٌ أحدٌ ... " [2] **قلت** : فصراع بلال وغيره من الصحابة مع الكفار لم يكن إلا من أجل المحافظة والثبات على الدين هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لو تأملنا الأسباب التي دفعت القِلة المستضعفة للهجرة إلى الحبشة لوجدنا أن الدين هو السبب الرئيسي لتلك الهجرة؛ حيث إنهم فروا نصرة لدينهم من كفار مكة، وتروي كتب السيرة الحوار الذي دار بين جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – وبين النجاشي [3] حيث قال له جعفر: " أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيئ الجوار ... [إلى أن قال] فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا ، وحرمنا ما حُرم علينا ، وأحللنا ما أُحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة

1 . الهجرة إلى الحبشة ومناقشة قضية إسلام النجاشي : د . محمد عبد الفتاح عليان ، ص 20 ، 1993 مكتبة دار التراث .
2 . المنهج الحركي للسيرة النبوية : د. منير الغضبان ، ص 45 ، ط 15 ، 1427 هـ – 2006 م ، دار الوفاء .
3. واسمه أصحمة ملك الحبشة ، معدود في الصحابة رضي الله عنهم ، وكان ممن حسن اسلامه ، ولم يهاجر ولا له رؤية فهو تابعي من وجه ، صاحب من وجه ، وقد توفي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه بالناس صلاة الغائب ، ولم يثبت أنه صلى على غائب سواه ، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى ، ولم يكن عنده مَنْ يصلي عليه ؛ لأن الصحابة الذين كانوا مهاجرين عنده خرجوا من عنده مهاجرين إلى المدينة عام خيبر . سير أعلام النبلاء : الذهبي ، 1 / 429 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأوثان عن عبادة الله – **تعالى** – ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على مَنْ سواك ... [إلى أن قال] ثم قال النجاشي إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يُكادون " [1] .

قلت : فكلمة جعفر " **وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك** " دل دلالة واضحة على أن السبب الرئيسي للصراع بين القِلة المؤمنة والكثرة الكافرة هو الدين، ولقد هيأ الله للقِلة أن تنتصر على الكثرة لكونهم يدافعون عن الدين الحق ، حيث رفض النجاشي تسليمهم لوفد قريش ، فهذا إنْ دل فإنما يدل على انتصار الدين على لسان جعفر وأنه بأسلوب الحوار والإقناع استطاع أن يقنع النجاشي بأن الدين الذي يدافع عنه هو الدين الحق .

والذي يدل على نصر الله للقِلة المؤمنة هو قوله تعالى : ﴿ **قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ **[البقرة : 249]** ، حيث بينت هذه الآية أن الله هو المعين للصابرين على الجهاد ، وغير ذلك من طاعته وظهورهم ونصرهم على أعدائه الذين يصدون عن سبيله ويخالفون منهج دينه [2] .

وبينت أيضًا أن لا نغتر بكثرة الأعداء فكثيرٌ ما غلبت الفئة القليلة العدد الفئة الكثيرة العدد بمشيئة الله وتأييده ونصره من جهة ، و قوة إيمانها من جهة أخرى ، بعد أن صبروا وثبتوا لقتال عدوهم جالوت وجنوده ، ولقد كان انتصار عظيم به نجاح بني إسرائيل في فلسطين وبلاد العمالقة مع قِلة عددهم . [3]

وفي نفس المقام يبين الشعراوي ذلك فيقول : " لكن الفئة السابقة عزلت نفسها عن ربها فرأوا أنفسهم قِلة فخافوا، لقد كان مجرد ظن الفئة المؤمنة أنهم ملاقو الله ، قد جعل لهم هذه العقيدة وإذا كان هذا حال مجرد الظن فما بالك باليقين " [4] .

نعم إذا كان هذا ظن الفئة القليلة أن الله سينصرهم فنصرهم الله على عدوهم بمجرد الظن ، فما بالنا إذا تعمق اليقين بقلوبنا أن الله ناصرنا ومؤيدنا ؟ .

---

1 . السيرة النبوية : ابن هشام ، 1 / 373 – 374 ، ط 3 ، 1421هـ – 2000 م ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت – لبنان ، وانظر الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركفوري ، ص 117 – 118 – 119 ، ط 4 ، 1422 هـ – 2001 م ، دار الوفاء ، و السيرة النبوية : محمد متولي الشعراوي ، ص 372 – 373 – 374 ، مكتبة التراث الإسلامي .

2 . انظر : جامع البيان : الطبري، 2 / 1501 .

3 . انظر : التفسير المنير :وهبة الزحيلي، 2 / 429 ، وتيسير الكريم الرحمن: السعدي ، ص 90 ، و التحرير والتنوير :ابن عاشور، 2 / 499 .

4.. تفسير الشعراوي : 2 / 1055 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذن خلاصة القول فيما سبق أن القِلة المؤمنة هي التي تنصر دين الله ﷻ بكل ما أوتيت من قوة رغم قِلتها ، وذلك بكافة الوسائل ، فهي التي صبرت وصمدت وثبتت في صراعها أمام الكثرة الكافرة من أجل المحافظة على دينها ورفعة الإسلام فكان لها الغلبة ،حيث قال تعالى : ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ** ﴾ [الحج : 40] .

المطلب الثاني : نصر الكثرة الكافرة للكفر.

بعد الحديث عن نصر القِلة المؤمنة للإسلام ، وبيان أن هدفها هو العقيدة الصحيحة، فإننا سنتحدث في هذا المقام عن نصر الكثرة الكافرة للكفر بكافة الأساليب والوسائل المادية والمعنوية سواء على نطاق المشركين أو على نطاق اليهود والنصارى ، فكلٌ منهما يحاول بطريقته أن يدعو لدينه المنحرف ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [البقرة : 109] فقد بينت هذه الآية أن الكثرة الكافرة تحاول الصد عن دين الله الحق حتى ولو بأقل شيء وهو التمنى حتى يُرجعوا المؤمنين إلى الدين الباطل ، حيث ما يودون أن ينزل على المؤمنين من خير من الله ، ولكنّ كثيرًا منهم ودوا أن يردوا المؤمنين من بعد إيمانهم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد أن تبين لهم الحق حيث أسند الحكم إلى الكثير منهم ؛ لأن تمنيهم أن لا ينزل دين إلى المسلمين يستلزم تمنيهم أن يتبع المشركون دين اليهود أو النصارى حتى يعم ذلك الدين جميع بلاد العرب ، حيث بلغ بعامة اليهود وجهلتهم الحسد والغيظ إلى مودة أن يرجع المسلمون إلى الشرك ولا يبقوا على الحالة الحسنة الموافقة لدين موسى – **عليه السلام** – في معظمه ، وذلك نكاية بالمسلمين وبالنبي ﷺ، ومن الذين حاولوا رد المؤمنين عن دينهم كعب بن الأشرف ، وحيي بن أخطب [1] وأخوه أبو ياسر أو نفر من اليهود، وذلك بعد وقعة أحد، ورغم ذلك كانت قلة تفكر في الإيمان بمحمد ﷺ، لو حكم الله على كل أهل الكتاب لسد الطريق أمام هذه القِلة أن يؤمنوا ،فالكثرة من اليهود هم الذين يردون عن الدين . [2]

قلت : ولكنّ أمر الله ﷻ آتٍ لا محالة بهزيمة الكثرة الكافرة أمام القِلة المؤمنة ، أليس هو القائل في نهاية الآية السابقة ﴿ **حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ** ﴾ ويكون أمر الله – **سبحانه** – بهزيمتهم أمام القلة

---

1 . حيي بن أخطب النضري : (5 هـ – 626 م) جاهلي من الأشداء العتاة ، كان يُنعت بسيد الحاضر والبادي ، أدرك الإسلام وآذى المسلمين ، فأسروه يوم قريظة ثم قتلوه . الأعلام : الزركلي ، 2 / 292 .

2 . انظر : جامع البيان : الطبري : 1 / 623 ، و التحرير والتنوير : ابن عاشور، 1 / 669 – 670 ، و تفسير الشعراوي ، 1 / 524 – 525 ، و البحر المحيط في التفسير : أبي حيان الأندلسي ، 1 / 557 ، دار الفكر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤمنة وإظهار دين الله ﷻ . ولم يقتصر الأمر على مجرد التمني ، بل علق الله ﷻ رضى اليهود والنصارى عن المسلمين باتباع ملة الكفر، حيث قال تعالى : ﴿ **وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾ [البقرة : 120] ، حيث جعل لهم في هذه الآية دينًا وهم مشركون كافرون ، فالدين الذي يدعون إليه هو الدين المحرف ورسول الله معه دين الهدى الكامل ، وبين الله أن اتباع ملة اليهود والنصارى مرفوض تمامًا تحت أي ظرف من الظروف ، ولقد ضرب الله –**سبحانه**– المثل برسوله حتى يقطع على المغرضين أي طريق للعبث بهذا الدين بحجة التقارب مع اليهود والنصارى ففي الآية كناية عن اليأس من اتباع اليهود والنصارى بشريعة الإسلام ، فإذا كانوا لا يتبعون ملته كان اتباع النبي ﷺ لملتهم مستحيلاً ، لذلك كان رضاهم عنهم حتى يلج الجمل في سم الخياط ، فهم يزعمون أن الدين الذي هم عليه هو الهدى ، وكيف ذلك وهو الهوى بعينه ؟. [1] والذي يؤكد على نصرهم للكفر قول الله ﷻ في سياق الكافرين : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ [محمد : 32] ،حيث بينت هذه الآية أن الكفار يقفون في وجه الحق ويصدون الناس عن الحق بالقوة أو بالمال أو أي وسيلة من الوسائل ، ومن ذلك مشاقة الرسول في حياته بإعلان الحرب عليه والمخالفة عن طريقه ، والوقوف في غير صفه ، أو بعد وفاته بمحاربة الدين والشريعة والمنهج والمتبعين لسنته والقائمين على دعوته ، فالكفار عرفوا أنه الحق ، ولكنهم اتبعوا الهوى والعناد ، فبين الله أنهم لن يضروا دينه ولا منهجه ولا القائمين على دعوته ، مهما بلغ من قوتهم ومهما قدروا على إيذاء بعض المسلمين فترة من الوقت ، فإن هذا بلاء وقتي يقع بإذن الله لحكمة يريدها وليست ردًا حقيقيًا للمسلمين ؛ حيث بين الله العاقبة لهم في قوله : ﴿ **وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ فتنتهي إلى الخيبة والدمار كما تنتهي الماشية التي ترعى ذلك النبات السام [2] .

قلت : وفاصلة الآية دلت دلالة واضحة على أنهم مهزومون بإذن الله ﷻ مهما بلغت قوتهم وعتادهم ، ومهما دبروا وكادوا للمسلمين من أجل أن ينصروا دينهم ، وهذا يلفت انتباهنا إلى ما نحن فيه اليوم من تآمر الكفرة على الإسلام والمسلمين ، ولكنهم رغم كثرتهم إلا أن الله سيهزمهم وسيحبط كافة وسائلهم فهم يحاولون بالإعلام والتعليم وغيرها من الوسائل أن ينشروا

---

1. انظر :التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 1 / 693 ، و تيسير الكريم الرحمن : السعدي ، 46 ، و الشعراوي ، 1 / 562 – 563 .
2. انظر : الظلال :سيد قطب ، 6 / 3300 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دينهم الباطل المُحرف ، ولكن هيهات هيهات ، وكيف ذلك والله مع المسلمين وسيحبط أعمال المدبرين والمتآمرين ، فالنصر لا محالة للقِلة المؤمنة والهزيمة للكثرة الكافرة .

وكما بينا سابقًا أن سبيل المؤمنين هو سبيل الله فإنّ سبيل الكافرين هو سبيل الطاغوت ، بل سبيل الشيطان ، حيث قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾ [النساء : 76] ، فهذه الآية تبين أن هناك فئتين فئة تقاتل في سبيل الله وفئة تقاتل في سبيل الطاغوت (يعني الكفر) فيأمر الله عباده المؤمنين بمقاتلة أولياء الشيطان ، فالذي يقاتل في سبيل الله معتمدًا على ركن وثيق وهو الحق والتوكل على الله يطلب منه الصبر والثبات مالا يطلب ممن يقاتل على الباطل الذي لا حقيقة له ولا عاقبة حميدة ، حيث لو فرض الله على المؤمنين القتال مع قِلة عددهم وكثرة أعدائهم لأدى إلى اضمحلال الإسلام فرُوعي جانب المصلحة العظمى على ما دونها ، ففي البداية أمرهم بالتوحيد والصلاة والزكاة ثم بعد ذلك يشفي الله صدور المؤمنين بنصرتهم على أصحاب الدين الباطل . [1] والذي يؤكد على كونهم يدعون لنُصرة دينهم الباطل ما ورد في السيرة النبوية ،حيث " ما روي عن عمار – **رضي الله عنه** – حين كانوا يعذبونه بالحر تارة ، وبوضع الصخر الأحمر على صدره تارة ، وبالتغريق أخرى ، وقالوا : لا نتركك حتى تسب محمدًا أو تقول في اللات والعزى خيرًا ، فوافقهم على ذلك مكرهًا ، وجاء باكيًا معتذرًا إلى النبي ﷺ ، فأنزل الله : ﴿... **مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النحل : 106] " [2] .

وترى الباحثة أن هذا هو منهج الكافرين في كل زمان ومكان ، حيث استخدام أساليب البطش والتعذيب من أجل نشر دينهم الباطل ، سواء كان على عهد النبي ﷺ أو مَنْ بعده ، أوحتى في زماننا هذا فيقومون بأساليب تعذيب فردية أو جماعية مادية أو معنوية ، فيومًا نعيش في قصف ويومًا في دمار ،وآخر قطع راتب ، وآخر نعيش في تدمير شامل ، وكل ذلك بسبب عنادهم واتباعهم الباطل ، وما تلك الأساليب إلا لكون المؤمنين يتبعون طريق الحركة الإسلامية من قريب أو من بعيد ، لذا **تخلص الباحثة** مما سبق بأن الصراع بين القِلة المؤمنة والكثرة الكافرة هو صراع على الدين وعلى العقيدة الصحيحة ، بل هو صراع بين الحق والباطل ، وفي النهاية ينتصر الحق على الباطل رغم قِلة عددهم وعتادهم ، وينهزم الباطل أمام الحق رغم كثرته وكثرة إمكاناته ووسائله وأساليبه . وأعظم تعبير حول ذلك هو قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ** ...﴾ [محمد : 3] .

---

1 . انظر. الشعراوي ، 4 / 2420 – 2421 ، وتيسير الكريم المنان: السعدي ، ص 44 ، وص 152 .

2 . المنهج الحركي : د. منير الغضبان ، ص 46 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : الصراع من أجل الدنيا .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التزام القِلة المؤمنة بالعدالة وحفظ الحقوق .

المطلب الثاني : احتكار الكثرة الكافرة لمصالحهم الدنيوية بالباطل .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : الصراع من أجل الدنيا :

بعد الحديث عن الصراع بين القِلة المؤمنة والكثرة الكافرة من أجل الدين ، فإننا سنتحدث في هذا المبحث عن ما يتعلق بالصراع من أجل الدنيا . **وإليك البيان في ذلك :**

المطلب الأول : التزام القِلة المؤمنة بالعدالة وحفظ الحقوق .

فلقد وردت الكثير من الآيات التي تتحدث عن التزام المستضعفين بالعدالة وحفظ الحقوق حيث قال تعالى : ﴿ **وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** ﴾ [الأعراف : 159] ، بينت هذه الآية أن من بني إسرائيل جماعة يستقيمون على الحق ويعملون به ، حيث يعطون ويأخذون وينصفون من أنفسهم فلا يجورون هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنهم يهدون الناس في تعليمهم إياهم وفتواهم لهم ويعدلون في الحكم بينهم في قضاياهم فهم إذا حكموا بين الناس فلا يتبعون هوى ولا يأكلون شحًا ولا رِشىً [1].

ولقد أمر الله ﷻ بالعدل في غير موضع ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الأنعام : 152] ، ففي هذه الآية أمر الله ﷻ بإيفاء الكيل وإتمامه ، وأمر بإيفاء الميزان في البيع والشراء فليكن ذلك وافيًا تامًا بالعدل ، والإيفاء يكون من الجانبين فيرضى المرء لغيره ما يرضاه لنفسه ، ولما قال ﷻ (بالقسط) دل على تحري العدل في الكيل والميزان حال البيع والشراء بقدر المستطاع من جهة ، ومن جهة أخرى فلا بد من القول الحق في الشهادة أو الحكم على أحد ؛ إذ بالعدل تصلح شؤون الأمم والأفراد فهو ركن في العمران ، وأساس في الأمور الاجتماعية فلا يحل لمؤمن أن يحابي فيه أحدًا لقرابة ولا غيرها ، فالعدل كما يكون في الأفعال كالوزن والكيل يكون في الأقوال [2] .

والعدالة لها مكانة عظيمة في الإسلام ، ويترتب عليها صلاح الدين واستقامة أمر الدنيا ، فهي بحق مجمع الفضائل [3] .

---

1. انظر : جامع البيان : الطبري : م 6 ، 9 / 106 ، وانظر تيسير الكريم الرحمن : السعدي ص 268 – 269 ، و تفسير المراغي : 7 / 86 – 87 .
2 . انظر : المرجع السابق : 7 / 70 – 71 .
3. انظر :أخلاق النبي في القرآن والسنة ، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد ، 3 / 1275 ، ط 1 ، 1996 دار الغرب الإسلامي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذن فالأصل في البيع والشراء هو العدل ، وهذا من صفات والتزامات القلة المؤمنة في معاملتها، أما من أخطأ في الكيل والميزان والله تعالى يعلم بنيته فلا مؤاخذة عليه ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الأنعام : 152]، فقوله (**لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**) المقصود من هذا الاحتراس أن لا يترك الناس التعامل بينهم خشية الغلط أو الغفلة فيقضي ذلك إلى تعطيل منافع جمة [1] .

قلت : وإنّ الإلتزام بالعدل في المعاملة بين الناس من صفات المؤمنين فالعدالة تعني " الاستقامة في السلوك فتشمل القيام بالواجبات واجتناب المحرمات" [2] . فالإسلام يحرص أشد الحرص على المحافظة على حقوق الناس ودمائهم وأعراضهم وأموالهم ، ويتخذ لذلك جميع الوسائل التي تحفظ هذه الحقوق وتصونها ، ومن هذه الوسائل إقامة الحق والعدل بين الناس ؛ لأن إقامة الحق والعدل هي التي تشيع الطمأنينة وتنشر الأمن وتشد علاقات الأفراد ببعض وتقوي الثقة بين الحاكم والمحكوم ، وتنمي الثروة ... [3] ولقد وردت الآيات التي تأمر المؤمنين بأداء الأمانة ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ [المعارج : 32] ، حيث وصف الله المؤمنين أنهم إذا أؤتمنوا لم يخونوا وإذا عاهدوا لم يغدروا [4] . وإنّ الحكم بالقسط والعدل لا يقتصر بين المؤمنين فقط ، بل أمر الله نبيه أن يقسط بين المشركين حيث قال تعالى : ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة : 8] ، فبين أن من صفات القلة القسط والحكم بالعدل حتى مع المشركين وبين المؤمنين حيث قال تعالى : ﴿ **وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ** ﴾ [الشورى : 15] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [المائدة : 42] ،هذا من جهة ، وأما من جهة التزام المستضعفين بحفظ الحقوق فهم يقومون بتأدية الأمانة على أكمل وجه ، حيث وصفهم الله ﷻ في غير موضع بأداء الأمانة

---

1. انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن : أبي الطيب القنوجي البخاري ، 4 / 277 ، دار إحياء التراث الإسلامي ، و التحرير والتنوير : ابن عاشور ، ج 8 ، 5 / 165 .
2. عدالة الشاهد في القضاء الإسلامي : شويش هزاع المحاميد ، رسالة علمية منشورة ، ص 99 ، ط 1 ، 1416 هـ ، 1995 م دار الجيل بيروت .
3 . انظر: عناصر القوة في الإسلام : سيد سابق ، ص 147 .
4 . انظر : القرآن العظيم :ابن كثير، 4 / 1945 ، و في رحاب التفسير :كشك، 8 / 7433 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المعارج : 32] ، فقد وصفهم الله أنهم إذا أؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا [1] .

قلت : ولقد فاضت الأحاديث عن النبي ﷺ بأمر المؤمنين بالعدل وحفظ الحقوق ، حيث قال ﷺ : **(إنّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ، وكلتا يديه يمين ، الـذين يعدلون في حكمهم وأهليهم ما وَلُوا)** [2] .

وفي موضع آخر قال النبي ﷺ : **(وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متـصدق موفّـق ، ورجل رحيم رقيـق القلـب لكـل ذي قُربـى ، ومـسلم عفيـف متعفـف ذو عيـال)** [3] .

ولقد نفّر رسول الله ﷺ من صفات المنافقين حيث قال ﷺ: **(آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان)** [4] .

وعلى صعيد آخر فقد بينت السيرة النبوية خُلقًا للنبي ﷺ فهو أعظم مَنْ التزم بالعدالـة وحفـظ الحقوق حيث قصة المرأة المخزومية التي سرقت ، وأهمَّ قومها شأنها ، وقالوا ومن يكلم فيهـا رسول الله ومن يجترئ عليه غير أسامة حِب رسول الله ، فكلم رسول الله ، فقال : أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب ثم قال : إنما أهلك الذين قبلكم إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سـرقت لقطعت يدها) [5] .

وترى الباحثة أن التزام الحقوق التي يقوم بها الإنسان المسلم لا تقتصر على الأمانة في أداء ما أؤتمن عليه من مال ، وإنما الأمانة تشمل تبليغ الدين والعقيدة ممن أعطاه الله العلم فقـد حمـل أمانته ، فعليه أن يبلغه على أكمل وجه ، فمن تعلم شيئًا ولو كان قليلاً يجب عليه أن يبلغه للناس وبالطبع فإن هذا ليس إلا من صفات القِلة المؤمنة التي تلتزم بالعدالة وحفظ الحقـوق ، والـذي يحافظ عليها تضمن له النصر على العـدو كمـا قـال سـيد قطـب ،بعـد أن أورد بعـض الحقوق : " والنصر من عند الله لمن يؤدون هذا الحق ويقومون بواجبهم للمجتمـع فيـستحقون التمكين في الأرض " [6] ؛ لذا ، فقد تبين لنا أن النصر حليـف لمـن التـزم بـأداء الحقـوق

---

1 . انظـر : القـرآن العظـيم :ابـن كثيـر، 4 / 1945 ، و فـي رحـاب التفـسير : كـشك، 8 / 7433 .

2 .صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية ، ص 732 ، رقمه 1827.

3. صحيح مسلم : كتاب الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، ص 1203 ، ح 2865 .

4 . صـحيح البخـاري : كتـاب الإيمـان ، بـاب علامـة المنـافق ، ص 30 ، ح 33 .

5.المرجـع الـسابق : كتـاب أحاديـث الأنبيـاء ، بـاب حـديث الغـار ، ص 669 ، ح 3475 .

6 . العدالـة الإجتماعيـة فـي الإسـلام : سـيد قطـب ص 76 ، ط 5 ، 1377 هــ – 1958 م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث قال تعالى : ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾ [الحج : 40 – 41] ، نعم فالقِلة المؤمنة هي التي التزمت بالعدالة وحفظ الحقوق فكانت بحق تستحق النصر على الكثرة في صراعها من أجل الدينا .

ومما ورد في سيرته ﷺ لرعاية وحفظ الحقوق ، والتي يبلغ بها المجتمع مبلغًا عظيمًا في المثل العليا ، وذلك بعد غزوة بني النضير ، حيث أراد النبي ﷺ أن يوقف عملية التضحية من الأنصار لإخوانهم المهاجرين ؛ إذ تركوا أرضهم وديارهم فطلب النبي ﷺ من ثابت بن قيس أن يأتي بقومه الأنصار كلهم من الأوس والخزرج فتكلم رسول الله إليهم وحمد الله وأثنى عليه [إلى أن قال] : (**إن أحببتم قسمتُ بينكم وبين المهاجرين مما أفاء الله تعالى عليّ من** بني النضير ، **وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دياركم ... ولكن يقول سعد بن عبادة وسعد بن معاذ : يا رسول الله بل نقسمه بين المهاجرين ويكونوا في دورنا كما كانوا ونادت الأنصار وقالوا رضينا وسلمنا يا رسول الله ، فقال رسول الله (اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار)** [(1)] .

ففي قول الرسول ﷺ السابق تعليم لكل مسلم في حفظ الحقوق والالتزام بها ، ولكن خلق الإيثار يظهر عند الصحابة الكرام ، وفي هذا النموذج يضرب النبي ﷺ لنا أروع الأمثلة في حفظ الحقوق ، ويعلم صحابته الكرام خاصة وكل مسلم عامة هذا الخُلق الحسن حتى يسيروا عليه من بعده .

المطلب الثاني :

احتكار الكثرة الكافرة لمصالحهم الدنيوية بالباطل (استعباد الناس) :

لقد وردت وسائل وأساليب المستكبرين لاحتكار كل ما يتعلق بمصالحهم الدنيوية وذلك بالباطل حيث قال تعالى مخبرًا عن أهل الكتاب : ﴿ **وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [النساء : 161] فأخبر تعالى أنه حرّم على أهل الكتاب كثيرًا من الطيبات التي كانت حلالاً عليهم ، وهذا تحريم عقوبة بسبب ظلمهم واعتدائهم وصدهم الناس عن سبيل الله ومنعهم إياهم من الهدى وأخذهم الربا وقد نهوا عنه، فمنعوا المحتاجين ممن يبايعونه عن العدل فعاقبهم الله من جنس عملهم ،حيث منعهم من كثير من

---

1. انظر : التربية القيادية ، المنهج التربوي للسيرة النبوية : د. منير الغضبان ، 3 / 473 ، ط 4 ، 1426 هـ – 2005 م ، دار الوفاء .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطيبات التي كانت حلالاً لهم ، فالربا محرم عليهم بنص التوراة وأكلهم أموال الناس بالباطل أعم من الربا فيشمل الرشوة المحرمة عندهم وأخذهم الفداء على الأسرى من قومهم ، وغير ذلك من السرقة والغش في السلع ، فكل ذلك أخذ مال من الناس بغير حق ، وما أُخذ بغير حق فهو باطل [1] .

ومن ضمن احتكارهم أيضًا قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران : 75] ، فهذا هو التاريخ الصادق لمن طغت عليهم المادية فلا يرد الإنسان منهم ما عليه إلا بعد الملاحقة والمطاردة والتدافع وإقامة البينة فلا يبعد منه الخيانة مع الله بكتمان ما أمر بإظهاره طمعًا في إبقاء الرئاسة [2] .

قلت : ويدخل من ضمن احتكار المستكبرين لمصالحهم الدنيوية بالباطل استعباد الناس ، ولقد استهزأ المحتكرون المستكبرون بالعقيدة لكونها تصحح عندهم مفاهيم خاطئة حول مصالحهم الدنيوية وذلك في قوله تعالى : ﴿ **قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾ [هود : 87] ، فهم رفضوا العقيدة لكونها لا تقوم إلا بتنفيذ شرائع الله في التجارة وفي تداول الأموال وفي كل شأن من شؤون الحياة والتعامل في لحمة واحدة لا يفترق فيها الاعتقاد عن الصلاة عن شرائع الحياة وأوضاعها . [3]
فهم يستنكرون دعوته في العبادة وفي إصلاح المعاملات التي كانت بينهم وذلك من مبادئ الأخلاق الكريمة [4] .

قلت : فهم لا يريدون عقيدة تقيدهم بالحلال والحرام ، بل يريدون أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون من رشوة وربا واحتكار ، وذلك حسب ما تقتضيه أهواؤهم وعقولهم بعيدًا عن العقيدة الصحيحة .

وأذكر في هذا المقام نموذجًا حيًا لفرعون – لعنه الله – حيث قال تعالى : ﴿ **وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ **[الزخرف : 51]** ، حيث يتفاخر أمام قومه وقبطه بالنعيم والخير، وما فيه

---

1 . انظر : تيسير الكريم الرحمن: السعدي ، 177 ، والتحرير والتنوير : ابن عاشور، م 4 ، 6 / 28 ، و الشعراوي: 5 / 2811.

2 . انظر : الشعراوي : 3 / 1548 ، و محاسن التأويل : القاسمي ، 3 / 867 ، وفتح القدير: الشوكاني، 1 / 393 ، ط 1 .

3. انظر : الظلال :سيد قطب، 4 / 1919.

4. انظر : زهرة التفاسير : محمد أبو زهرة ، 7 / 3740 ، دار الفكر العربي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موسى من الفقر، فيفتخر فرعون بملكه على مصر وما قد مُكن له من الدنيا استدراجًا من الله له . [1] ولقد تجبر فرعون في ملكه وحاول استعباد الناس وإقناعهم أنه هو الإله و الرب فقال تعالى : ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [القصص : 38] وقوله كذلك : ﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** ﴾ [النازعات : 24] ، فالمدة الزمنية لقوله ﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ﴾ وقوله﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** ﴾ أربعون سنة ، وخلاصة هذه المقالة أي لا علم له برب غيره فيعبده الناس ويصدقوا قول موسى فيما جاء به من أن لهم وله رب غيره ومعبود سواه [2] .

وترى الباحثة أن فرعون نسي أو تناسى أن المُلك كله لله تعالى وأن ما أوتي من قوة ومنعة ومال ونعيم كله استدراج له في العذاب ، حيث قال تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [آل عمران : 26] ، حيث لا أحد يأخذ الملك غصبًا من الله تعالى إنما الملك يريده الله لمن يؤدب به العباد ، وإن ظلم المَلك في التأديب فإن الله يبعث له مَنْ يظلمه ، ومن رأى ظلم هذا المَلك أو ذاك الحاكم فمن الجائز أن يريه الله هذا الملك أو ذاك الحاكم مظلومًا ، ثم نخرج بالحقيقة الكبرى أنه سبحانه مالك الملك وحده [3] .

وإنّ ما يؤكد على ذلك قوله ﷺ : (**يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا المَلك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرض بشماله ، ثم يقول : أنا المَلك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟**) [4] .

قلت : فمن ذلك نخلص أنه لا بد أن يكف المستكبرون عن ظلمهم في احتكارهم لمصالحهم بالباطل عن طريق الربا والرشوة ، وأن لا يستعبدوا الناس بتملكهم القصور الفارهات وليضعوا نصب أعينهم ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ** ﴾ فلو دامت لغيرك ما وصلت إليك ، و أن لا يستغل الإنسان منصبه وملكه من أجل تحقيق مصالحهم الدنيوية على حساب الشعوب والأفراد، فمن فعل ذلك فهو ظالمٌ لنفسه ومجتمعه .

---

1. انظر :جامع البيان : الطبري ، م 3 ، 25 / 92 .
2. انظر : النكت والعيون : أبي الحسن عليّ بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، 4 / 253 ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، وتفسير المراغي : 7 / 60 .
3. انظر: تفسير الشعراوي : 3 / 1395 .
4. صحيح مسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، قبل الباب الأول ، ص 1179 ، ح 2788 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد بيّنت السيرة النبوية أن النبي ﷺ ألغى الربا الذي كان منتشرًا في الجاهلية يتحكم أغنياؤها بفقرائها ، ليزداد الغني غنى والفقير فقرًا وفاقة ، فألغاه النبي ﷺ وذلك عندما قام بإعلان الدستور الإسلامي [1] .

إذن ، مما سبق يتضح للباحثة أن من صفات المستكبرين احتكار المصالح بكافة الوسائل بالباطل ولقد نهى عنه الدين الحنيف ونفّر منه .

خلاصة القول :

إنّ الصراع بين القِلة المؤمنة والكثرة الكافرة صراع ديني عقائدي وصراع دنيوي ، وأن القِلة المؤمنة هدفها الدفاع عن الدين الإسلامي بكل ما آتاها الله من قوة ، وأما الكثرة الكافرة فهدفها الدفاع عن الشرك ونشر الكفر في الأرض بكل ما أوتيت من وسائل وأساليب هذا من جهة الصراع من أجل الدين ، وأما من جهة الصراع الدنيوي فالقِلة المؤمنة هي التي تحاول أن تنشر العدالة وتحفظ الحقوق للناس ، وتؤدي ما أمرها الله ﷻ به ، أما الكثرة الكافرة المستكبرة فهي تستخدم كافة السُبل من أجل أن تحتكر وتُخضع الناس تحت سيطرتها ، وتنشر منهيات حرمها الإسلام من الربا والرشوة والغش ، وكل ذلك حسب ما تقتضيه مصلحتها بغض النظر عن ظلم الناس ، وهذا بالطبع باطلٌ غاية البطلان ، فالقِلة المؤمنة هي المنتصرة بعقيدتها وأفكارها على الكثرة الكافرة المستكبرة التي حاولت أن تحتكر ، وتقدم مصالحها على المصلحة العامة حتى لو أدى ذلك إلى استعباد الناس فحتمًا سيكون نتيجة ذلك الهلاك والهزيمة من الله ﷻ كما حدث لفرعون وغيره .

---

1. انظر : التربية الجماعية : د . منير الغضبان ، 1 / 432 ، دار الوفاء .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ *الفصل الثالث :*

" أسباب انتصار القلة المؤمنة وهزيمة الكثرة الكافرة "

ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الأسباب البشرية للنصر .

المبحث الثاني : الأسباب الإلهية للنصر.

المبحث الثالث : *أسباب هزيمة الكثرة الكافرة .*

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

<u>المبحث الأول</u> : الأسباب البشرية للنصر .

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : نصرة الله ﷻ.

المطلب الثاني : طاعة الله ورسوله والأمير.

المطلب الثالث : الإعداد .

المطلب الرابع : الصبر والتوكل .

المطلب الخامس : بذل الجهد .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

أسباب انتصار القِلة المؤمنة وهزيمة الكثرة الكافرة

المبحث الأول : الأسباب البشرية للنصر :

المطلب الأول : نصرة الله ﷻ .

لقد تحدثنا فيما سبق عن نصر القِلة المؤمنة للإسلام وكيف كانوا مستضعفين ولكنهم دافعوا عن دينهم بكل الوسائل والسبل . (1) وسنذكر في هذا المقام موجزًا مختصرًا عن نصرة الله ﷻ ، وهنا تبرز الإشارة إلى أنّ مَنْ يدافعون عن دين الله ﷻ كان حقًا على الله أن ينصرهم تحقيقًا لشرطه ﷻ ، حيث إنّ الدفاع عن دين الله هو نصرة لله ﷻ ،هذا وإنّ نصرة الدين الإسلامي نصرة لله ﷻ ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ** ﴾ [محمد : 7] ، أي إن تطيعوا الله بنصرته ونصرة دينه ونبيه ﷺ والجهاد في سبيله ينصركم على أعدائكم ويظفركم بهم ، فإنّ الجزاء من جنس العمل وهو ناصرٌ دينه وأولياءه . (2) والذي يؤكد على تحقق النصر قوله تعالى في سياق الآية : ﴿ **وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ ،وذلك بعد أن ذكر نصرتهم الله ، حيث قال : ﴿ **...إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ...** ﴾ وتثبيت الأقدام في أرض المعركة " عبارة عن النصر والمعونة في مواطن الحرب . " (3)
ويقول سيد قطب في سياق قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ [محمد : 4] ، وقوله : ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد : 7] : " وفي كلتا الحالتين حالة القتل وحالة النصرة يشترط أن يكون هذا لله وفي سبيل الله وهي لفتة بديهية ، ولكن كثيرًا من الغبش يغطي عليها عندما تتحرف العقيدة في بعض الأجيال وعندما تمتهن كلمات الشهادة والشهداء والجهاد وترخص ، وتتحرف عن معناها الوحيد القويم ، إنه لا جهاد ولا شهادة ولا جنة إلا حين يكون الجهاد في سبيل الله وحده والموت في سبيله وحده ، والنصرة له وحده ، وفي ذات النفس وفي منهج الحياة " . (1)

---

1 . انظر : المطلب الأول نصر القِلة المؤمنة للإسلام من الفصل الثاني ص 76 .

2 . انظر : جامع البيان : الطبري م 13 ، 25 / 53، الكشاف : 4 / 1148 ، وفتح القدير : الشوكاني ، 5 / 31 ، وصفوة التفاسير: الصابوني، 3 / 207 ، ومختصر ابن كثير ، 3 / 331 ، ومعالم الجهاد الحربي : د. جمال الهوبي، 1 / 310 .

3 . فتح القدير : الشوكاني ، 5 / 39 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي يؤكد على هذا المعنى ما روي عن أبي موسى –رضي الله عنه – قال: سئل رسول الله عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ، ويقاتل رياءً ، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : (**مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**) [1] .

ونذكر هنا نموذجًا حيًا لنصرة الله يوم غزوة أحد ؛ حيث قال تعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب : 23] ، حيث بينت هذه الآية بالفعل الذين صدقوا مع الله ونصروه ونصروا دينه ، أورد الواحدي سبب نزول هذه الآية فعن ثابت قال : (غاب عمي أنس بن النضر–رضي الله عنه وبه سميت أنسًا ، عن قتال بدر فشق عليه ، وقال : غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ ! لئن أشهدني الله – سبحانه – قتالاً ليرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون ، وأعتذر إليك فيما صنع هؤلاء ، يعني المسلمين ، ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ ، فقال : أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد فقاتلهم حتى قُتل ، قال أنس : فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم ، وقد مثلوا به وما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه ، ونزلت هذه الآية : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب : 23] قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه رضي الله عنهم [2] .
فتلك الآية رسمت لنا ، بل صوّرت مشهدًا لأولئك الصحابة العظام الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل نصرة الله ﷻ فحقق الله لهم أمانيهم بالشهادة أو بالنصر، نعم بالنصر ، كيف لا وقد قال بعد ذكر هذه الآية ﴿ **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً** ﴾ [الأحزاب : 25] ؟ حيث كفاهم الله ﷻ القتال وحقق لهم النصر وهزم أعداءهم في معركة الخندق .

خلاصة القول فيما سبق :

مما سبق يتبين لنا أنّ نصرة الله ﷻ سبب من الأسباب البشرية لنصر القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، وأنوه هنا أن نصرة الله لا تقتصر عليه فقط ، بل تشمل نصرة دينه بالجهاد في سبيل

---

1 .الظلال : 6 / 3288 .

2 . سبق تخريجه في ص 18 .

3. أسباب النزول : ص 265 وانظر الظلال : سيد قطب ، 5 / 2844 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله وإعلاء كلمته وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفاظ على كتابه القرآن الكريم ، وتشمل نصرته نصرة رسله وأنبيائه والدفاع عن سنة النبي محمد ﷺ من أن يعتريها أي تبديل أو تغيير أو تأويل باطل في حياته وبعد مماته ، وخاصة بعدما حاول الكثير تشويه صورته ﷺ برسم صور كاريكاتيرية ، فمثل ذلك تحتاج إلى وقفة الصادقين المخلصين من أجل الدفاع عن الدين الإسلامي حتى ينصرنا الله ﷻ كما نصر المؤمنين الصادقين في بدر (وسيأتي بيانه بالتفصيل لاحقًا في الأسباب الإلهية للنصر) ، وفي الأحزاب ومؤتة واليرموك وغيرها فهم دافعوا ونصروا الله فنصرهم الله ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج : 40] ، فكان حقًا عليه ﷻ أن يحقق وعده بالنصر للقِلة المؤمنة .

المطلب الثاني : طاعة الله ورسوله والأمير .

تعد الطاعة أمرًا مهمًا في تحقيق النصر ، لا سيما طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ وأولي الأمر من المؤمنين ، ولقد وردت الكثير من الآيات التي تحث على الطاعة وتأمر المؤمنين بها وتنهى عن التولي والمعصية ، حيث قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ** ﴾ [الأنفال: 20] ووضحت أيضًا الآيات التزام المؤمنين بالطاعة عند أي أمر من الأمور حيث قال تعالى : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [سورة البقرة : 285] وقال أيضًا : ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : 51] ، ولقد دلت بعض الآيات على وجوب طاعة الله ورسوله وأنّ طاعتيهما متلازمتان فلا يجوز فصل أي طاعة عن الأخرى ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [التوبة : 71] ، واستجاب المؤمنون لأمر الله ﷻ، حيث قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران : 172] ، وذلك بعد مخاطبتهم بالطاعة والاستجابة في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنفال : 24] ، حيث خاطب المؤمنين المصدقين أن يستجيبوا للطاعة ويتجنبوا عما نهى الله ويكفوا عنه ، ففيه الحياة الأبدية والنعمة السرمدية ؛ لذلك يجب عليهم المبادرة إلى الإيمان والدعوة إليه [1] .

---

1 . انظر : الجامع لأحكام القرآن : القرطبي: 4 / 247 ، و تيسير الكريم الرحمن : السعدي، 280 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال ﷻ آمرًا المؤمنين بطاعة أولي الأمر : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء : 59]. يقول محمد سيد طنطاوي في المراد بأولي الأمر : " والمراد بأولى الأمر على الراجح الحكام وطاعتهم إنما تكون في غير معصية الله فإذا أمروا بما يتنافى مع تعاليم الدين فلا سمع لهم على الأمة ولا طاعة . وإنما أمرنا الله – تعالى – بطاعاتهم في غير معصية ؛ لأنهم هم المنفذون لتعاليم الشريعة ، وهم الذين بيدهم مقاليد الأمة التي يقومون على رعاية مصالحها ؛ ولأنّ عدم طاعتهم يؤدي إلى اضطراب أحوال الأمة وفسادها " . [1] وإذا عدل الوالي والأمير فحق على الرعية أن تسمع وتطيع، ويوضح ابن تيمية أن الأمير إذا أمر بأمر فإن كان حقًا وجبت طاعته وإن كان معصية حرمت طاعته ، وكذلك إذا كانت طاعة الإمام واجبة فلا يجوز الخروج عنها لأجل معصية أو مخالفة ارتكبها من ظلم ونحو ذلك ، بل يجب الصبر عليه ومناصحته ، فهو بذلك فاسق والمام لا يقاتل بمجرد الفسق ولا يخرج عليه إلا بالكفر البواح [2] .

وتعتبر الطاعة لله ورسوله والأمير سببًا لتحقيق النصر ، لا سيما إذا ابتعدوا عن التنازع والخلاف اللذين يؤديان إلى الفشل ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال : 46] ، فأمرهم بالطاعة في جميع أقوالهم وأفعالهم وأن لا يخالفوا أمر الله ورسوله في شيئ وحذرهم ونهاهم عن التنازع واختلاف الرأي في الحرب مثل ما وقع لهم بأُحد لمخالفتهم رسول الله من فشلهم وذهاب ريحهم ؛ لأنّ التنازع يوجب تشتيت القلوب وتفرقها حتى لا تنحل عزائمهم وتتفرق قوتهم ويرفع ما وعدوا به من النصر على طاعة الله ورسوله ، ولقد أمرهم بالصبر على شدائد الحرب وأهوالها فبالصبر يتحقق النصر والعون [3] .

ويقول سيد قطب عن الطاعة وعدم التنازع في ميدان المعركة : " وأما طاعة الله ورسوله فلكي يدخل المؤمنون المعركة مستسلمين لله ابتداء ، فتبطل أسباب النزاع التي أعقبت الأمر بالطاعة فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه ، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار ، فإذا استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم ... [إلى أن قال] ومن ثَم هذا التعليم بطاعة الله ورسوله عند المعركة ، إنه من علامات (الضبط) التي لا بد منها في المعركة ، إنها طاعة القيادة العليا

---

1. القصة في القرآن الكريم : محمد سيد طنطاوي ، 2 / 351 ، نهضة مصر .
2. انظر : موسوعة فقه ابن تيمية : محمد رواس قلعجي ، 1 / 298 ، ويوثق أيضًا من مجموع الفتاوى 14 / 472 .
3. انظر :الكشاف : الزمخشري 2 / 422 . وصفوة التفاسير : الصابوني ،1 / 508 . والسعدي : 283 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيها ، التي تنبثق منها طاعة الأمير الذي يقودها . وهي طاعة قلبية عميقة لا مجرد الطاعة التنظيمية في الجيوش التي لا تجاهد لله ولا يقوم ولاؤها للقيادة على ولائها لله أصلاً..والمسافة كبيرة كبيرة " [1] .

" كما أنّ الطاعة لأولي الأمر، تمنح الجيوش المحاربة قوة عظيمة ، وتعتبر عاملاً أساسًا من عوامل النصر، أما العصيان فإنه يفضي إلى الهزيمة وهو أخطر على المسلمين من عدوهم ليس في ذلك أدنى ريب " [2] . ولقد حذر الله ﷻ من التولي وعدم الطاعة ، حيث جعل حزب الله المطيع هو الغالب والمنصور فقال : ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ **[المائدة : 56]** قال ابن كثير في ذلك : " فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة ... " [3] . ويقول الشوكاني : " وعد الله – **سبحانه** – من يتولى الله ورسوله والذين آمنوا بأنهم الغالبون لعدوهم ... وقد وقع ولله الحمد ما وعد الله به أولياءه وأولياء رسله وأولياء عباده المؤمنين من الغلب لعدوهم بأنهم غلبوا اليهود بالسبي والقتل والإجلاء وضرب الجزية حتى صاروا أذل الطوائف الكفرية وأقلها شوكة مازالوا تحت كلكل المؤمنين يطحنونهم كيف شاؤوا ، ويمتهنونهم كما يريدون من بعد البعثة الشريفة المحمدية إلى هذه الغاية " [4] .

وللطاعة أثر كبير في استنزال النصر، حيث (**كان رسول الله إذا أمّر أميرًا على جيش أو سرية ، أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيرًا ...**) [5] ولقد أوصى النبي ﷺ بطاعة الأمير المسلم ، حيث قال : (**مَنْ أطاعني فقد أطاع الله ومَنْ عصاني فقد عصى الله ، ومَنْ أطاع أميري فقد أطاعني ومَنْ عصى أميري فقد عصاني**) [6] .

وهلم نلقي الضوء على المعصية وكيف أثرت في جلب الهزيمة لصف المسلمين ، وذلك في غزوة أحد فبعد أن امتن الله ﷻعلى عباده المؤمنين بالنصر في بداية المعركة جاءت الهزيمة من غلطة فظيعة من فصيلة الرماة ، حيث بعد أن شدد النبي ﷺعليهم الأوامر بلزوم موقفهم من الجبل في كل حال من النصر والهزيمة ، ولكن على الرغم من ذلك فقد غلبت عليهم أثارة من

---

1. الظلال : 3 / 1528 – 1529 .
2. مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة : د. أحمد أبو الشباب ، 1 / 317 .
3. مختصر تفسير ابن كثير : 1 / 528 .
4. فتح القدير : 2 / 64 – 65 ، وانظر معالم الجهاد الحربي : جمال الهوبي 1 / 312 .
5. صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء وتحريمها في المعصية ، ص 736 ، رقمه 1835 ، وانظر معالم الجهاد الحربي :جمال الهوبي 1 / 313 .
6. صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ، ص 829 ، ح 1835 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حب الدنيا ، فقال بعضهم لبعض : الغنيمة الغنيمة ، ظهر أصحابكم ، فما تنتظرون ؟ ولقد ذكرهم عبد الله بن جبير بأوامر الرسول وقال لهم : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ ولكن الغالبية لم تلق بالاً لذلك التذكير وذهبوا لجمع الغنائم ، حيث فارق حوالي أربعون أو أكثر منهم مواقعهم والتحقوا بالجيش الذي يجمع الغنائم ، ولم يبق إلا القليل في مواقعهم والتزموا موقفهم كما أمرهم النبي ﷺ ، وبذلك ترك الرماة مواقعهم منفسًا لدخول الأعداء إلى المسلمين ، فما كان من خالد بن الوليد إلا وانتهز تلك الفرصة ليدور من خلف جبل الرماة إلى مؤخرة الجيش فأباد عبد الله بن جبير وأصحابه إلا بعض الذين لحقوا بالمسلمين ثم انقض على المسلمين من خلفهم وصاح صيحة أشعر بها المشركين بأن هناك تطورًا جديدًا بعد الهزيمة التي لحقت بهم في بداية المعركة فانقلبوا على المسلمين واجتمعوا عليهم ، وثبتوا بعد الهزيمة للقتال ووقع المسلمون في هذه اللحظات بين شقي الرحى (1) .

قلت : فتلك اللحظات التي أوقعت الهزيمة بالمسلمين وكادت أن تودي بحياة خير البشرية لولا عصمة الله له ما هي إلا من مخالفة أوامر القائد الفذ رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ؛ إذ لمّا أمرهم وشدد عليهم بعدم ترك أماكنهم كان ينطق بالحق من رب العالمين ، ولكنها النفس البشرية التي تغتر بمتاع الدنيا وملاذّها .

وفي هذا المقام يقول د . جمال الهوبي : " يجب على المجاهدين أن يحرصوا كل الحرص على طاعة الله في كل شيء حتى ينظر الله إليهم بعين الرحمة، فيربط على قلوبهم ، ويثبت أقدامهم ، ويلهمهم رشدهم ، وينصرهم على عدوه وعدوهم في مواطن تزيغ فيها الأبصار ، وتبلغ فيها القلوب الحناجر ، وتزل الأقدام ، ويحدق الموت من كل مكان ...[إلى أن قال] إذا التزم المجاهدون طاعة ربهم واتصفوا وتخلقوا بالأخلاق الإسلامية الحميدة ، فإن الله – **تعالى**– سيعينهم ويرحمهم ويتفضل ويتكرم عليهم بنصره ، فهو ذو الفضل العظيم " (2) .

ويتبين لدى الباحثة أن الطاعة حتى تحقق النصر لا بد أن تتوفر **عدة أمور ونذكر منها ما يلي :**

1 . **المحافظة على أركان الإسلام والطاعات** حيث بها تتحقق معيته ﷻ قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ** ﴾ [المائدة : 12] .

2 . **الذكر** : فإن للذكر أثرًا عظيمًا في تحقيق النصر لا سيما إذا التقى الصفان،

---

1. انظر : الرحيق المختوم : صفي الدين المباركفوري ، 278 – 279 .
2 . معالم الجهاد الحربي : 1 / 313 – 314 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ﴾ [الأنفال : 45] ، سواء كانوا ذاكرين الله بألسنتهم أو الدعاء بالنصر والظفر ؛ لأنّ ذلك لا يحصل إلا بمعونة الله ﷻ [1] .

3 . **الدعاء** : فلقد رأينا غالب المعارك والحروب وخاصة أول معركة خاضها المسلمون مع المشركين وهي معركة بدر ، فقد كان الدعاء سببًا رئيسًا للنصر حيث قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال : 9] ، وقال أيضًا ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴾ [النساء : 75] وقال واصفًا حال أولئك الذين طلبوا الصبر والثبات من الله لاجئين إلى الدعاء حيث قال : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : 250] ، ولقد أخبر الله ﷻ عن نوح – عليه السلام – عندما دعاه كيف تحقق له ولمن آمن معه من القلة الثابتة على دينها النصر ، وكيف ألحق الهزيمة بالكافرين حيث دعا نوح ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ *وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ *﴾ [القمر : 10 – 16] ، وكان قد أخبر نوح ربه أنه لا قدرة له على الانتصار من الكفار ؛ لأنه لم يؤمن معه إلا القليل النادر ولا قدرة له على مقاومتهم فاستجاب الله ﷻ وانتصر له من قومه فأنزل الماء من السماء وتفجرت الأرض عيونًا وغرق قوم نوح بالطوفان . [2] **قلت** : ألا تراه قد دعا عليهم في سورة نوح حيث قال تعالى : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾ [نوح : 26] ، فاستجاب الله دعاءه ونصره ومن معه وهزمهم بغرقهم بالطوفان .

4 . **التقوى والصبر** : فتقوى الله ﷻ سبب لحصول النصر، حيث قال تعالى : ﴿ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران : 125] ، ففي سياق الآية ذَكَرَ بعد التقوى والصبر إمداد الملائكة، والتي كانت سببًا حقيقيًا للنصر ولها دور أساسي في ذلك ، وبالتقوى تتم النجاة في الآخرة من النار، حيث قال تعالى : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر : 61] .

---

1. انظر: التفسير الكبير : الرازي ، 15 / 171 .
2. انظر: تيسير الكريم الرحمن : السعدي ، 765 ، والتفسير المنير : وهبة الزحيلي ، 27 / 156 ، والتحرير والتنوير : ابن عاشور ، 13 / 27 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأنوه في هذا المقام بأنّ ذكر تلك الأمور لا يعني نفي غيرها ، فهناك الكثير من الأشياء التي لو فعلها الإنسان تعد طاعة في حد ذاتها وتجلب النصر ومنها الشفقة على اليتامى والمساكين ، وبر الوالدين ، والعدل ، والإنفاق ، ...غيرها .

خلاصة القول فيما سبق :

1 . الطاعة سبب من الأسباب التي تؤدي إلى تحقيق النصر ، والتنازع والاختلاف سبب للفشل والهزيمة كما بينا سابقًا .

2 . الطاعة تشمل طاعة الله ﷻ وطاعة الرسول ﷺ ، وأولي الأمر من المؤمنين . ولا يجوز الخروج عن أي طاعة منها . حيث قالﷺ: (**عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك**) . [1] وورد عن ابن عمر قوله : (**كنا نبايع رسول الله ﷺعلى السمع والطاعة ، يقول : فيما استطعت**) [2].

3 . الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة لمن أطاع الله ورسوله حيث قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [النور : 52] ، وقال أيضًا ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً** ﴾ [النساء : 69] .

4 . التنفير من عدم الطاعة والخروج عن الجماعة ، قال رسول الله ﷺ : (**من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، مات ميتة جاهلية**) [3] .

5 . النصر يتحقق بطاعة الضعفاء والتزامهم أوامر القادة ، حيث قالﷺ: (**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم**) [4] .

6 . الطاعة تكون بإقامة الأركان من صلاة وزكاة وكذلك بتأدية حقوق المسلمين لمن أولاه الله ﷻ أمورهم وغير ذلك مما ذكرنا سابقًا .

---

1 . صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ، ص 736 ، رقمه 1836 .

2. المرجع السابق : باب البيعة على السمع والطاعة فيما استطاع ، ص 747 ، ح 1867 .

3. المرجع السابق : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال ، ص 740 ، رقمه 1848 .

4. صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير ، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب ، ص 557 ، ح 2896 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث : الإعداد :

أولاً : الإعداد في ظلال آية :

ليس لأحد أن يخوض أي حرب من الحروب إلا بعد الإعداد لها والأخذ بالأسباب ؛ إذ كيف بشعب يخوض معركة كبيرة مع الأعداء وقد تستغرق أيامًا ، بل شهورًا دون أن يعد العدة لها ، فالإعداد بكافة أنواعه له أهمية عظمى في تحقيق النصر فهو سبب من الأسباب البشرية لذلك ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال : 60] ، حيث يأمر الله ﷻ عباده المؤمنين أن يعدوا العدة بما هو في حدود طاقتهم وقدرتهم من الآلات التي تكون قوة لهم من السلاح والخيل للكافرين الذين خانوا ونقضوا العهد مع الله ورسوله فيخيفون بهذا الإعداد عدو الله وعدوهم .[1] أما عن تفسير معنى القوة الواردة في الآية ، فقد روى الإمام مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر : قال الله : ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ** ﴾ [الأنفال : 60] **ألا إنّ القوة الرمي ، ألا إنّ القوة الرمي ، ألا إنّ القوة الرمي)**[2] فالقوة هي كل ما يتقوى به في الحرب من عُددها من أنواع السلاح والآلات ،وأطلق عليه القوة مبالغة ، ولقد ذكر ذلك ؛ لأنه لم يكن لهم في بدر استعداد تام فنبههم على أنّ النصر من غير استعداد لا يتأتى في كل زمان ، ولقد دلت الآية على وجوب إعداد القوة الحربية حتى يتقي المسلمون بأس العدو وهجومه .[3] وكذلك دلت الآية على أنّ الاستعداد للجهاد ، يكون بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي ، فريضة ولكن من فروض الكفايات ويعد رباط الخيل من أقوى آلات الجهاد .[4] وتخصيص القوة بالرمي : " لا ينفي كون غير الرمي معتبرًا "[5] ومعنى الرباط : (الخيل المربوط في سبيل الله)[6] .

---

1 . انظر : جامع البيان : الطبري ، 9 / 4143 .

2 . صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه ، ص 763 ، ح 1917 .

3 . انظر : تفسير القاسمي : 8 / 3024 ، والتفسير الكبير : الرازي ، 15 / 185 ، والكشاف : الزمخشري ، 2 / 424 – 425 .

4 . انظر : التفسير الكبير : الرازي ، 15 / 185 .

5 . التفسير الكبير : الرازي : 15 / 185 .

6. المرجع السابق : 15 / 186 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإعداد يشمل كل ما يقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية والنفسية وأنواع الأسلحة وكل ما يعين على القتال ، ويدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات والمدافع والرشاشات والبنادق والطيارات الجوية والمراكب البرية والبحرية والقلاع والخنادق وآلات الدفاع والرأي والسياسة التي يتقدم بها المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم وكذلك تعلم الرمي والشجاعة والتدبير ، وإذا كان شيء موجودًا أكثر من ذلك إرهابًا كالسيارات البرية والهوائية المعدة للقتال التي تكون النكاية بها أشد ، فلقد كان مأمورًا بالاستعداد بها وينبغي السعي لتحصيلها حتى إنه إذا لم توجد إلاَّ بتعلم الصناعة وجب ذلك ؛ لأنّ (ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب) . [1] وإنّ القصد من إعداد القوة هو إرهاب العدو حتى لا يطمع فيهم ؛ لأنّ مجرد الإعداد للقوة هو أمر يسبب رهبًا للعدو ولقد كان على عهد رسول الله أول ما تبدأ الحرب يضربون العدو بالنبال، فإذا زحف العدو وتقدم استخدموا الرماح وعند التحام الصفين كان ذلك بالسيوف ، ولقد كان أحسن قوة في الحرب هي السهام التي يُرمي بها الخصم حيث نناله وهو بعيد عنا ، ولا يستطيع أن ينال منا أو يقترب ، أما رباط الخيل فهو القوة التي تحتل الأرض فمهما بلغت القدرة في الرمي فلا يستطيع الإنسان أن يستولي على أرض العدو، ولكن راكب الخيل هو الذي يحتل الأرض ، حيث كانوا في الماضي يدخلون المعركة بعد الرمي . فالمسلون مكلفون أن يكونوا أقوياء وأن يحشدوا ما يستطيعوا من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض وحتى تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله ﷻ [2] .

عن أبي هريرة –رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ: **(من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعةً أو فَزْعةً طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه)** [3] .

وينبه الصابوني في سياق الآية عن سبب مجيء التعبير عامًا في قوله (من قوة) وذلك : " ليشمل القوة المادية والقوة الروحية وجميع أسباب القوة ، وكيف لا يطمع العدو بالممالك الإسلامية وهو لا يرى عندنا معامل للأسلحة وذخائر للحرب ، بل كلها مما يشتريه المسلمون من بلاد العدو ؟ فلا بد لنا من العودة إلى تعاليم الإسلام إذا ما أردنا حياة العزة والكرامة " [4] .

---

1. انظر تيسير الكريم الرحمن : السعدي ، 285 – 286 .
2. انظر : تفسير الشعراوي : 8 / 4775 / 4780 . و الظلال : سيد قطب ، 3 / 1544 .
3. صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب فضل الجهاد والرباط ، ص 849 ، ح 1889 .
4. صفوة التفاسير : 1 / 512 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتطلب الإعداد إعداد الطعام والشراب والسلاح والثياب والركائب والأدوية والعلاج والمجاهدين المدربين المؤهلين بكل ما يتطلبه الجهاد من الإعداد الديني ، والإعداد العلمي والحربي والعسكري كالتدريب على أنواع السلاح وعلى قيادة المركبات والسفن والطائرات وعلى استخدام أجهزة الاتصال ونحو ذلك [1] .

ثانيًا : أهمية الإعداد :

إنّ للإعداد أهمية كبرى لا تخفى على كل صاحب عقل ؛ حيث بدون الإعداد والأخذ بالأسباب للمعركة فإنّ أي جيش لا يستطيع خوض أي المعركة ، ولقد جهز النبي ﷺ لكافة المعارك التي خاضها المسلمون على عهده ، وكذلك جهز أبو بكر جيش العسرة لقتال المرتدين وجهز جميع الخلفاء الراشدين الجيوش والإعدادات اللازمة لخوض غمار الحروب مع الأعداء ، وكان للإعداد دور عظيم في تحقيق النصر . " ولا يخفى على الدارس لتاريخ المسلمين ، أنّ النبي ﷺ لم يغفل جانبًا من الجوانب الروحية والنفسية والبدنية والعسكرية ، كما لم يهمل أي شريحة من شرائح المجتمع خلال عمليات الإعداد المختلفة ، وهذا أمر له أهميته القصوى في تحقيق النصر . وثمة مقومات مادية عني بها النبي ﷺ قبل أن يخوض غمار الحروب ، وبذلك استوت عملية الإعداد على سوقها وآتت أكلها وثمارها الطيبة من خلال الانتصارات الساحقة التي حققها ... [إلى أن قال] ؛ إذ لا بد من إعداد الجندي المسلم إعدادًا كاملاً حتى يصبح مؤهلاً لخوض غمار الحروب بجدارة عالية وثقة واطمئنان " [2] .

ونظرًا لأهمية الإعداد فقد شجع الرسول ﷺ على تصنيع والاشتغال في الأشياء التي يحتاج إليها المجاهدون في المعركة وتعدّ من ضمن الإعداد ؛ حيث قال : (**مَنْ رمى العدو بسهم فبلغ سهمه العدو ، أصاب أو أخطأ ، فعدل رقبة**) [3] . وقال أيضًا : (**... وكل ما يلهو به يلهو المرء المسلم باطل إلا رميه بقوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته امرأته**) [4] . ولقد حثّ أيضًا على الرمي فقال : (**رميًا بني إسماعيل ! فإنّ أباكم كان راميًا**) [5] .

---

1. انظر : معالم الجهاد الحربي : د . جمال الهوبي : 2 / 719 .
2. مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة : د . أحمد عوض أبو الشباب ، 2 / 12 .
3. سنن ابن ماجه : أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، كتاب الجهاد ، باب الرمي في سبيل الله ، ص 478 ، ح 2812 ، ط 1، مكتبة المعارف ، صحيح .
4. المرجع السابق : ص 478 ، ح 2811 . (هذه الفقرة من كامل الحديث صحيحة) .
5. المرجع السابق : ص 478 ، ح 2815 . صحيح .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنّ كل حرب تقام يكون هدفها حفظ الأنفس ورعاية حقوق الناس والعدل بينهم . وعن حكم الإعداد يقول الجزائري : " وجب على المسلمين سواء كانوا دولة واحدة أو دولاً شتى أن يعدوا من السلاح ويهيئوا من العتاد الحربي ويدربوا من الرجال على فنون الحرب والقتال ما يمكنهم لا من رد هجمات العدو فحسب ، بل من الغزو في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ونشر العدل والخير والرحمة في الأرض " [1] .

ويشدد في موضع آخر فيقول : " كما وجب أيضًا على المسلمين أن يكون التجنيد إجباريًا بينهم . فما من شاب يبلغ الثامنة عشرة من عمره إلا يُضطر إلى الخدمة العسكرية لمدة سنة ونصف ، يحسن خلالها سائر فنون الحرب والقتال ، ويسجل بعدها اسمه في ديوان الجيش العام ، ويكون بذلك مستعدًا لداعي الجهاد في أية لحظة يدعوه فيها ، ومع صلاح نيته قد يجري له عمل المرابط في سبيل الله ، ما دام اسمه في ذلك الديوان العام " [2] .

وأنوه في هذا المقام إلى أنه ينبغي السرّية والكتمان عن وضع حالة الإعداد التي أعدها المسلمون حتى لا يتفشى الخبر إلى جيوش الأعداء فتبوء خطط المسلمين بالفشل ، ولقد كان هذا ديدن النبي ﷺ في المعارك ، حيث قال ﷺ : (**استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان ، فإنّ كل ذي نعمة محسود**) [3] .

إذن مما سبق يتضح لنا أهمية الإعداد وأنّ له دورًا عظيمًا في تحقيق النصر بكافة أشكال وأنواع الإعداد من الصناعات القديمة والحديثة المتطورة من التكنولوجيا التي توصل إليها المخترعون فلكلٍ دوره وفضيلته في جلب النصر وإنزال الهزيمة بالإعداد .

---

1. منهاج المسلم : 303 .

2.. المرجع السابق : 303 .

3. المعجم الصغير : الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، ص 416 ، ح 1152 ، ط 1 مؤسسة الكتب الثقافية .قال العجلي : لا بأس به . والعجلي هو الإمام المحدث المتقن ، مفيد همذان أبو عليّ ، أحمد بن سعد بن عليّ بن الحسن بن القاسم بن عِنان ، العِجْليُّ الهمداني ، المعروف بالبديع ، ولد سنة 58 وتوفي سنة 535 هـ ، وقبره يزار ، هو إمام ثقة جليل القدر واسع الرواية له نظم ، فاضل يرجع إلى علوم فقه وأدب ، وحدّث ووعظ . انظر : سير أعلام النبلاء : الذهبي ، 20 / 144 – 145.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا : أنواع الإعداد :

وللإعداد أنواع عديدة منها :

1 . **الإعداد الإيماني والروحاني :** وهذه خاصة بالجندي في ميدان المعركة فلا بد أن يكون الجندي ربانيًا مخلصًا مراقبًا لربه يتقي الله ويخشاه ويذكر الله في ساحة المعركة ويتضرع إليه ويجدد توبته باستمرار طالبًا للآخرة [1] .

2 . **الإعداد السلوكي والأخلاقي :** فالجندي يتصف بعدة صفات منها الصدق والحذر واليقظة والوفاء بالعهد والأمانة وكذلك الحرص على مكارم الأخلاق [2] .

3 . **الإعداد الدعوي والحركي :** فالجندي لا بد أن يكون داعية إلى الحق والمعروف ويحرص على نفع الناس ودفع الضر عنهم متوكلاً على الله ﷻ ويأخذ بالأسباب مؤمناً بالعمل الجماعي متوازناً معتدلاً [3] .

4 . **الإعداد النفسي :** من الصفات التي ينبغي على الجندي أن يتصف بها : الإيثار وحماسة القلب وسكينة النفس ، واجتناب العجلة والتسرع ، والتواضع [4].

5 . **الإعداد العسكري للجندي المسلم :** وهو الذي نعنيه في هذا المطلب ، حيث يجب على الجندي أن يكون مدربًا حتى يستطيع أن يحقق أفضل النتائج بأقل الخسائر في الجيش ، فمطلوب منه أن يتدرب على الرماية والقنص وعلى استخدام الأسلحة الحديثة وعلى ركوب الخيل وقيادة العربات المختلفة ، ولا بد أن يكون الجندي منضبطًا ، ومن أبرز مظاهر الانضباط الطاعة ، فهي التي تميز المسلمين عن غيرهم ، وكذلك لا بد أن يكون عند الجندي دهاء وقوة مكر بالأعداء ، ولكنه مضبوط عند المسلمين بضوابط محدودة شرعية ولا يجوز تخطيها ، ومن صور الدهاء (ما كان يوم الخندق من فعل نعيم بن مسعود ؛ حيث أتى رسول الله فقال يا رسول : إني قد أسلمت ، وإنّ قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت ، فقال رسول الله : (**إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذّل عنا إن استطعت ، فإنّ الحرب خدعة ، وصنع ما صنع من زرع**

---

1. انظر النظريات العسكرية بين الإعداد والتخطيط (دراسة قرآنية موضوعية) إعداد الطالب : عبد الهادي سعيد الأغا : إشراف د. جمال الهوبي ، ص 85 – 91 ، 1426هـ – 2005 م .
2. انظر : المرجع السابق : 91 – 99 .
3. انظر : المرجع السابق : 100 – 106 .
4. انظر : المرجع السابق : 107 – 114 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بذور الشك والريبة في صفوف الأحزاب) [1] . وكذلك فإنّ الجندي بحاجة إلى اللياقة البدنية والقوة الجسمية ؛ فسلامة جسمه تؤهله لأداء دوره على أكمل وجه ، وهذا سر تقديم طالوت على غيره ليكون قائدًا للجند [2] .

حيث قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [سورة البقرة : 247] .

لذا حتى يتحقق لا بد للجندي أن يراعي جميع الأنواع السابقة ، فكل واحدة منها لها دور عظيم في جلب النصر ؛ حيث لا غنى عن الإعداد الروحي والدعوي والعسكري وغيرها .

رابعًا : النصر بين الإعداد والعقيدة السليمة :

من الطبيعي أنه عندما يلتقي أي جيشين فإنّ النصر والغلبة تكون للجيش الأكثر عددًا ، والأقوى عدة ، ولكن الحقيقة التي يؤمن بها كل مسلم أن العقيدة السليمة لها الأثر الكبير في تحقيق النصر حتى ولو كانت الإعدادات قليلة وبدائية للغاية . وغزوة بدر خير شاهد على ذلك (والتي سنتحدث عن تفاصيلها لاحقًا) ، ولقد وضح هذا المفهوم محمد باشميل ، حيث بيّن أنه بالرغم من ضرورة الاهتمام بالإعداد المادي من رجال وخيل وسلاح فقد أثبت أبطال مؤتة المسلمون من صحابة رسول الله أنّ القوة المادية ليست كل شيء في كسب النصر إنما الشرط الرئيسي للنصر أو الصمود والثبات لمنع وقوع الهزيمة ، هو توفر العقيدة السليمة الصادقة وتغلغلها في قلب المؤمنين ، فالقتال دائمًا بين فريقين من طينة واحدة هي طينة البشر تكون الغلبة والنصر للأكثر عددًا والأحسن تدريبًا والأكثر علمًا بفنون الحرب ، فكل هذه العناصر مطلوب توفرها لكسب النصر الساحق ؛ حيث كانت متوفرة لدى القيادة في الجيش الروماني الذي تصادم مع جيش الإسلام في مؤتة ، فالجيش الإسلامي كان صغيرًا في مؤتة رغم ذلك قلب كل الموازين التي تقول إنه لكي تضمن النصر يجب الإعداد المادي الكامل من حيث التسليح والتدريب والإلمام بالعلوم العسكرية وفنونها والتفوق في العدة والعدد ، ولكن جيش مؤتة أثبت الصمود الرائع رغم عدم تكافؤ القوتين المتحاربتين ، ولكنه وصف بأنه أعلى نموذج للنصر ؛ حيث أثبت أن التفوق في القوة المادية ، بل وحتى العلوم والفنون العسكرية ، ليس هو كل شيء لكسب المعارك ، ولكن العامل الأساسي والأول لكسب النصر في المعارك هو العقيدة السليمة [3] .

---

1 . انظر : السيرة النبوية : لبن هشام ، 3 / 253 .

2 . انظر : النظريات العسكرية : عبد الهادي الأغا ، 115 – 124 .

3. انظر : الكتاب السابع من معارك الإسلام الفاصلة غزوة مؤتة : محمد أحمد باشميل ، 391 – 394 ، ط 2 ، 1394 هـ – 974 م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قلت : فالعقيدة السليمة هي التي نصرت المسلمين في بدر ومؤتة وهي التي نصرتهم في معركة الفرقان على أرض غزة ، فلقد نصرهم الله ﷻ رغم أنّ إعداداتهم بسيطة لا تساوي شيئًا إلى جانب الأسلحة والمعدات الحديثة المتطورة التي استخدمها الصهاينة في مقاتلة المسلمين ورغم ذلك انتصر المسلمون فيها على ألد أعداء الله وهم اليهود و سيأتي بيانها لاحقًا كلٌ حسب موضعه من تأييدات الله للمسلمين فيها .

الخلاصة :

مما سبق يتضح لنا ما يلي :

1 . أهمية الإعداد والتجهيز لخوض أي حرب من الحروب .

2 . للإعداد دور عظيم في تحقيق النصر وإنزال الهزيمة بالأعداء .

3 . متابعة التطورات الجديدة والتكنولوجيا الحديثة التي تتناسب مع طبيعة الهجوم مع الأعداء حيث الرمي والنبال والسهام وركوب المركبات والسفن البرية والبحرية قديمًا ، والطائرات وغيرها من معدات التكنولوجيا المتطورة حديثًا ، ولا نغفل دور الخيول في الحروب حيث قال ﷺ: **(الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم)** [1] .

4. للسرية والكتمان والتمويه دور كبير في تحقيق النصر ، فعلينا أن نخفي عن الأعداء ، وبكافة السبل ، الإعدادات والخطط التي يفكر بها المسلمون وكذلك كل ما يملكه المسلمون من معدات وأجهزة تساعد في القضاء على العدو ، وأن نحذر من تسريب أي خبر للعدو حول إمكانات المسلمين ونياتهم للقضاء على العدو حتى لا نؤخذ على غرة وغفلة .

5. دور المال في الإعداد وأنوه إلى ضرورة النفقة حتى يستوفي المسلمون إمكاناتهم وتجهيزاتهم لخوض غمار الحرب مع العدو في أي بلد من البلاد الإسلامية ؛ حيث إنّ طبيعة أي معركة تحتاج إلى الأموال حتى تستكمل معداتها وأسلحتها فخوض أي معركة مكلف للغاية؛ لذلك فلو نظرنا وتأملنا إلى آية الإعداد لوجدنا أنّ الله ﷻ عقّب بعد ذكر الإعداد بالنفقة ؛ حيث قال : ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال : 60] ،فهذا إن دل فإنما يدل على أن الإعداد بحاجة إلى نفقة أهل الخير أو حتى نفقة كل مستطاع سواء كان على صعيد الجنود أنفسهم أو غيرهم من أبناء الشعب أو الدول المجاورة .

---

1 صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، ص 749 ، ح 1873.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6. ضرورة إعداد الجندي الكُفء في كافة المجالات الروحية والدعوية والسلوكية والنفسية، لا سيما العسكرية ، سواء كان صامدًا في أرض المعركة أم مرابطًا على الحدود مواجهًا لخط الموت في أي لحظة ، فنحن بحاجة إلى ذلك الجندي المخلص الذي يدافع عن دينه وبلده بكافة الوسائل ، ومن هنا نؤكد على أهمية الرباط في سبيل الله ﷻ خاصة ونحن في بلد فلسطين تلك البلد المقدسة أرض الرباط التي تحتاج إلى مَنْ يحررها ويدافع عن قدسيتها ويحرر عاصمتها القدس الشريف حيث قال ﷺ: **(لرباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)** [1] .

7. ضرورة الاعتماد على النفس في اختراع المعدات اللازمة لخوض الحروب ولا مانع من الاستفادة والمتابعة لما تخترعه الدول الأخرى من التكنولوجيا المتطورة والأسلحة الحديثة ، فنحن ، على نطاق الشعب الفلسطيني معركتنا مع العدو معركة طويلة مستمرة إلى قيام الساعة ؛ حيث قال ﷺ: **(لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على الحق لا يضرهم مَنْ خالفهم)** [2] .

المطلب الرابع : الصبر والتوكل .

الصبر والتوكل سببان من الأسباب البشرية للنصر ، ولقد تحدثنا عن الصبر في الفصل الأول كخلق من الأخلاق الحسنة التي يجب على القِلة المؤمنة الاتصاف بها ، فهما عمدة للجهاد وبدون الصبر والتوكل لا يتحقق النصر ، إذ كيف يذهب المجاهد لأرض المعركة دون التوكل على الله والأخذ بالأسباب ؟ وكيف يذهب لأرض المعركة دون أن يهيئ نفسه بأنه قد يتعرض لأمور تستوجب منه الصبر ، لذلك أمر الله ﷻ بالاتصاف بهما في غير موضع من القرآن الكريم ، حيث قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : 200] فهذه الآية دعوة للصبر والمصابرة ، الصبر على مشاق الطاعات وما يصيب من الشدائد ، والمصابرة أي غلبة أعداء الله بالصبر على أهوال القتال وشدائد الحروب وكذلك ملازمة الثغور مستعدين للكفاح والغزو وذلك للفوز بسعادة الدارين . [3]
" فالمصابرة يعدّ عاملاً أساسيًا في تحقيق النصر ، فالخصمان كلاهما يتألمان والأكثر صبرًا وتحملاً هو الذي سينتصر في النهاية ، وإن كان أهل الباطل يصبرون على ما أصابهم فأهل الحق أجدر بالصبر والمصابرة " [4] . فالقوة القتالية حتى يتحقق بها ولها النصر لا بد أن

---

1 . صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير ، باب فضل رباط يوم في سبيل الله ، ص 556 ، ح 2892 .

2 . سبق تخريجه في ص (ج) .

3. انظر : صفوة التفاسير :الصابوني ، 1 / 254 .

4. عوامل النصر : أحمد بحر ، 27 ، 1424 هـ – 2003 م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكون قـوة صـابرة قوية فـي إيمانهـا قـادرة علـى تحمـل شـدة القتـال وعنفـه [1] .

ويعدّ الصبر سببًا للإمداد بجند من جنود الله وهم الملائكة التي تجاهد مع المـؤمنين فـي أرض المعركة فيحصل النصر، حيث قال تعالى : ﴿ **بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ** ﴾ [آل عمـران : 125] ، فهذه الآية تصديق للوعد بالإمداد بالملائكة إن صبروا في المعركة واتقوا الله وأطاعوا أمره . [2] وقال الله في موضع آخر تأكيدًا على نصرهم وعدم مسهم الضر من الأعداء : ﴿ **وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ [آل عمران : 120] ، حيث اشترط الله علـى المـؤمنين بنفـي ضـرر المـشركين عـنهم وذلـك بالـصبر والتقـوى [3] .

" فبالصبر يثبت المقاتل في ساحة المعركة وبه يلقي الوهن من قلبه ، ليقذف بـه فـي صـدور الأعداء ، لا يرهب الموت ، بل يستقبله بصدر رحب ، دون خوف من المجهول ؛ لأن الرؤيـة قد اتضحت بصيرته ولو انكشف الحجاب عن عينيه ، ما زاد في إيمانه شيئًا ؛ ولأنه يـدرك أنّ الحياة الحقيقية هناك بعد الموت ، وأنّ الحياة الدنيا ليست إلا جسرًا يعبر عليه المقاتل المسلم إلى الآخرة " [4] .

ولقد حث النبي ﷺعلى الصبر فـي مـواطن الحـرب فعنـدما قـال رجـلٌ مـن الأنـصار للنبي ﷺ يا رسول الله : ألا تستعملني كما استعملت فلانًا ؟ فقـال : (**سـتلقون بعـدي أثـرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**) [5] .

ويحفز النبي ﷺ الصحابة الكرام على الصبر بذكر جزاء الصابرين ، حيث إنّ الرسـول فـي بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال : يا أيهـا النـاس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموه فاصبروا واعلموا أنّ الجنـة تحـت ظـلال السيوف) ثم قال النبي ﷺ: (**اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب ، اهـزمهم وانصرنا عليهم**) [6] .

---

1. انظر : تفسير : الشعراوي : 8 / 4795 .
2 . انظر : صفوة التفاسير :الصابوني ، 1 / 228 .
3 . انظر : المرجع السابق : 1 / 226 .
4. مقومات النصر : أحمد أبو الشباب، 1 / 130 .
5. صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار ، باب قول النبي للأنصار " اصبروا حتى تلقوني على الحـوض " ص 721 ، ح 3792 .
6. صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقـاء ، ص 691 ، ح 1742 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد قال ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال : 65] ، حيث يحث الله عباده المؤمنين على الصبر في مرحلة القتال حتى تكون لهم الغلبة ، فالله تعالى لم يوجب هذا الحكم إلا بشرط كونه صابرًا قاهرًا على ذلك ويحصل الشرط عندما يكون شديد الأعضاء قويًا جلدًا وقوي القلب شجاعًا غير جبان ، وأن يكون غير منحرف إلا لقتال ، أو متحيزًا إلى فئة ، فعندما تحصل هذه الشرائط كان يجب على الواحد أن يثبت أمام العشرة [1] .

ولأهمية الصبر فقد جمع الله بين الأمر بطاعة الله ورسوله وبين الصبر في مواطن الحرب ، حيث قال : ﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال : 46] فهي حث من الله ﷻ على الصبر على شدائد الحرب وعلى مخالفة الهوى الداعي إلى التنازع ، وأنّ الصبر مستلزم للنصر، حيث ختم الآية بقوله ﴿ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ أي بالنصر ، ولكنه لما أمرهم تعالى بالثبات والصبر عند اللقاء كذلك أمرهم بالإخلاص في ذلك . [2] وكما أمر الله بالصبر فقد أمر بتوكيل الأمور جميعها إليه –سبحانه – ،فهو مطلع على كل ما يهم المسلمين حيث قال تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال : 61] ، ففي هذه الآية أمر الله نبيه بتفويض الأمر إلى الله ، وذلك في ما عقده مع العدو ليكون عوضًا له على السلامة ولكي ينصره الله عليهم إذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء ، فهو لما بين ما يرهب به العدو من القوة والاستظهار بيَّن بعده أنهم عند الإرهاب إذا جنحوا ومالوا إلى الصلح فالحكم في ذلك قبول الصلح وأن يتوكل على الله في ذلك، ولا يخف من مكرهم إذا عزموا على نقض الصلح ؛ لأنّ الله يعصمه منهم فيأخذهم بما يستحقون ويرد كيدهم في نحرهم . [3] وفي قوله ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ ﴾ إشارة إلى أنه لا يتكل على ما أعد من قوة ؛ لأنّ كل أمر لا بد أن ننتهي فيه إلى التوكل على الله فهو الحامي من الأعداء [4] .

وأنوه هنا إلى عدم الخلط بين التوكل والتواكل " فالتوكل محله القلب والجوارح تعمل ، فلا تترك عمل الجوارح وتدعي أنك تتوكل على الله ... " [5] .

---

1 . انظر : التفسير الكبير: الرازي ، 15 / 192 ، وانظر القاسمي : 8 / 3032 .

2. انظر : القاسمي : 8 / 3011 – 3012 .

3. انظر : التفسير الكبير: الرازي، 15 / 187 – 188 ، وصفوة التفاسير : الصابوني، 1 / 513 ، والقاسمي : 8 / 3027 .

4. انظر : الشعراوي : 8 / 4782 .

5. تفسير الشعراوي : 3 / 4783 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك " إنّ الأمة اليوم مطلوب منها أن ترجع إلى دينها ، إلى عقيدتها ، إلى مفهوم اليقين بالله والتوكل على الله ﷻ والذي يعتبر من أهم مصادر القوة " [1] .

هذا ولقد فهم الرعيل الأول من صحابة رسول الله معنى اليقين والتوكل على الله – **تعالى**- ، فاستأهلوا النصر ودانت لهم الأمم والشعوب . [2] ولقد مدح الله ﷻ عباده المؤمنين المتوكلين عليه ، حيث قال : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ** * ﴾ [آل عمران : **173 – 174**] ، و ويبين ابن عباس –رضي الله عنهما– فضل هذه العبارة فقال : ﴿ **حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ **إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ [3] فهذا الحديث يدل على فضل التوكل على الله ﷻ وضرورته في المواقف الحرجة ، وينبغي علينا أن نتأسى بالأنبياء والصالحين في دعائهم وتوكلهم على الله تعالى . [4] ويعدّ التوكل شرطًا أساسيًا للنصر حيث قال تعالى : ﴿ **إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [آل عمران : **160**] ، والمعنى في ذلك : إن الله أراد أن ينصر عباده المؤمنين فلا يمكن لأحد أن يغلبهم ، وإن أراد خذلانهم وترك معونتهم فلا ناصر لهم ، فحينما وقع لهم من النصر **كيوم بدر** أو من الخذلان **كيوم أحد** كله بمشيئة الله ، فالأمر كله لله بيده والعزة والنصرة والخذلان كذلك بيده ، فعليه الاعتماد وحده في كل شيء .

قلت : فالآية السابقة مدح للمؤمنين المتوكلين على الله – **تعالى** – في أشد الظروف وهي الحرب؛ لأنهم علموا أنّ كل شيء بيد الله تعالى فما عليهم إلا الاتكال و الاعتماد عليه .

مما سبق نخلص إلى ما يلي :

1 . الصبر والتوكل من الأسباب البشرية لنصر القِلة المؤمنة على الكثرة الكافرة .

2 . جمع المسلمون في غزوة **بدر** بين الصبر والتوكل على الله فكانوا بحق يستحقون النصر على الأعداء .

3 . حاجة المجتمع الفلسطيني الراهنة إلى الصبر والتوكل بعد الأخذ بالأسباب ،وذلك لأنّ معركتهم مع العدو طويلة .

---

1. عوامل النصر : أحمد بحر ، 9 .
2. انظر : مقومات النصر : أحمد أبو الشباب ، 1 / 98 .
3. صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن ، باب " إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم " ، ص 865 ، ح 4563 .
4. انظر : نزهة المتقين : النووي ، 1 / 90 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس : بذل الجهد :

لقد أمرت الكثير من الآيات القرآنية ببذل الجهد استعدادًا للقاء العدو وخوض الحروب معهم ، ويعدّ بذل الجهد سببًا من الأسباب البشرية للنصر ، بل يشمل أكثر الأسباب المؤدية للنصر، ومنها جهاد النفس والمال والوقت فكلها وغيرها من إعداد العدة والعتاد من أسباب تحقيق النصر . أما عن الإعداد فقد تحدثنا عنه في المطلب الثالث من هذا الفصل ، وبينا أن له أنواعًا عديدة ، كلها من أسباب تحقيق النصر [1] .

أما عن بذل الجهد بالتضحية بالنفس قال تعالى : ﴿ **انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة : 41] " فيه الأمر بالجهاد بالأنفس والأموال وإيجابه على العباد ، والفقراء يجاهدون بأنفسهم والأغنياء بأموالهم وأنفسهم ، الجهاد من آكد الفرائض وأعظمها " [2] .

ونضرب هنا نموذجًا للتضحية بالنفس في سبيل الله وهو حنظلة بن أبي عامر من الأبطال المغامرين يوم بدر ، كان حديث عهد بالعرس ، فلما سمع هواتف الحرب وهو على امرأته انخلع من أحضانها ، وقام من فوره إلى الجهاد ، فلما التقى الصفان في ساحة القتال أخذ يشق الصفوف حتى خلص إلى قائد المشركين أبي سفيان صخر بن حرب ، وكاد يقضي عليه لولا أن أتاح الله له الشهادة ، حيث شد على أبي سفيان ، فلما استعلاه وتمكن منه رآه شداد بن الأسود فضربه حتى قتله [3] .

نعم فلقد صدق ربه في خروجه للقتال فصدقه الله ﷻ كان حقًا فيهم قوله تعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب : 23] وقال أيضًا : ﴿ **إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة : 111] . كذلك إنّ الجهاد لا بد له من بذل كل ما في وسع الإنسان من الأموال والعدة والعتاد من أسلحة ومعدات حتى يتحقق النصر ، قال تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ**

1. راجع المطلب الثالث من الفصل الثالث : الإعداد ، 100 – 107 .
2. فتح القدير:الشوكاني ، 2 / 464 .
3. انظر : الرحيق المختوم : صفي الدين المباركفوري ، 276 – 277 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : 60] ، ففي الآية حث على الإنفاق في سبيل الله ، وخاصة أنها جاءت في سياق الإعداد فكل شيء ينفقه الإنسان في سبيل الله مدخر له مادام أنفقه لله ، أما الإنفاق الذي للشهرة والحصول على الثناء والتفاخر أو لقضاء مصالح فهذا إنفاق خارج عن الإنفاق في سبيل الله ، أما الإنفاق في سبيل الله فإنّ الله يرده للمؤمنين لا ينقص مما معهم شيئًا ، حيث يدخر لهم أجورهم على ذلك في الدنيا من الفيء أو الخراج أو الجزية أو الغنائم ، وفي الآخرة بالثواب المقيم يوفيها لهم أضعافا مضاعفة على التمام والكمال [1] .

ولقد مدح الله ﷻ نبيه ﷺ والمؤمنين لكونهم ينفقون في سبيل الله ، فقال : ﴿ **لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *** ﴾ [التوبة : 88 – 89]، وفي المقابل ذم المنافقين الذين كرهوا بذل النفس والمال في سبيل الله حيث قال : ﴿ **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ** ﴾ [التوبة : 81] ، فهذه الآية تبين أنّ الجهاد في سبيل الله مع كونه من أجّل الرغائب وأشرف المطالب التي ينبغي على المؤمنين أن يتنافسوا فيها ، فهؤلاء المنافقون كرهوا الإنفاق وفرحوا بالقعود خلاف رسول الله ، بل وصوا إخوانهم تواصيًا فيما بينهم بالشر والفساد أن لا ينفروا في الحر ، فرد الله عليهم أنّ نار جهنم أشد حرًا مما يحذرون من الخروج للقتال [2] .

ونعيش في هذا المقام مع بذل الصحابة الكرام في غزوة تبوك حيث حض النبي ﷺ على الإنفاق فتسابق أهل اليسر في بذل أموالهم فأنفق عثمان بألف دينار، وذهب بدعوة النبي له (**اللهم ارض عن عثمان فإني راضٍ عنه**) وكذلك جاء أبو بكر الصديق بماله كله ، وجاء عمر بنصف ماله ، وجاء العباس بمالٍ كثير ولم يبخل أحد بماله إلا المنافقون ، ولا تقتصر النفقة على الرجال ، بل شملت النساء حيث بعثن ما قدرن عليه من أساور وخلاخل وقُرط وخواتم [3] .

---

1 . انظر : جامع البيان : الطبري ، 9 / 39 ، وفي رحاب التفسير : الشعراوي : 8 / 4781 ، والقاسمي : 8 / 3026 ، والسعدي : 286 .

2 . انظر : صفوة التفاسير : الصابوني ، 1 / 553 .

3. انظر : الرحيق المختوم : المباركفوري 436 ، والنظريات العسكرية : عبد الهادي الأغا ، 224 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك عن أبي مسعود الأنصاري قال : جاء رجل بناقة مخطومة [1] فقال هذه في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : (**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة ، كلها مخطومة**) [2] .
إذن ، شتان بين من ينفق أمواله في سبيل الله فله بها الأجر، وبين من ينفقها فتكون عليه حسرة وندامة .

ولم يقتصر الجهاد في سبيل الله ﷻ بالتضحية بالنفس والمال ، بل يشمل أيضًا التضحية بالوقت وهى عن طريق الرباط ، حيث يخرج المجاهد للرباط في سبيل الله تاركًا الوالدين والزوجة و الأولاد ، ولقد أمر الله بذلك فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : 200] ، فقوله ﴿ **وَرَابِطُواْ** ﴾ " أي أقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها كما يربطها أعداؤكم " [3] .

كما حثت الكثير من الأحاديث النبوية على الرباط وفضله ، حيث قال ﷺ : (**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**) [4] .

وقال أيضًا : (**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجري عليه رزقه وأمِن الفتّان**) [5] .

وعندما سئل ﷺ أي الناس أفضل ؟ قال :(**رجل يجاهد في سبيل الله بماله و نفسه ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ربه ويدع الناس من شره**) [6] .

مما سبق يتضح لنا :

1 . أنّ الجهاد بحاجة إلى بذل الجهد والوسع من أجل تحقيق النصر .
2. أنّ البذل والتضحية تشمل أنواعًا عديدة منها بذل النفس والمال والوقت .
3 . أنْ على الموسرين الإنفاق في سبيل الله والمساهمة بنصيب كبير لتجهيز معدات الحروب ومستلزمات الجهاد في سبيل الله . وخاصة أننا في الشعب الفلسطيني معركتنا مع العدو مستمرة

---

1. مخطومة : الخطم ، خطام البعير أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أوكتان فيجعل في أحد طرفيه حلقة ثم يُشد منه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة ، ثم يُقاد البعير ، ثم يثنى على مخطمه ، النهاية في غريب الحديث : ابن الأثير ، ص 272 .
2. صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها ، ص 850 ، ح 1892 .
3. فتح القدير :الشوكاني ، 1 / 522 .
4. سبق تخريجه في ص 107 .
5. صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل ، ص 762 ، ح 1913.
6. المرجع السابق : باب فضل الجهاد والرباط ، ص 754 ، ح 1888 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى قيام الساعة وبحاجة إلى تجهيز المعدات والأسلحة باستمرار هذا من جهة ، ومن جهة أخرى القيام على رعاية المرابطين بتقديم الطعام والشراب وكل ما يحتاجونه فهم الرجال المخلـصون والعيون الساهرة على حماية البلاد .

4 . دعوة لغير المجاهدين أن يتولوا أهالي المجاهدين والمرابطين وأبناءهم بخير من بعـدهم ، حتى لا يتركوهم عرضة لأصحاب النفوس المريضة في المجتمع لعدم وجود من يرعاهم ويتولى شؤونهم ، وفي هذا المقام يقول ﷺ : (**مَن جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا ، ومَنْ خلفه في أهله بخير فقد غزا**) [1] . وفي المقابل حذر من مخالفة ذلك فقال : (**مَنْ لم يغـزو أو يجهـز غازيًـا أو يخلـف غازيًـا فـي أهلـه بخيـر : أصـابه الله بقارعـة** [2]) [3] .

1. صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير ، ص 756 ، ح 1895 .

2 . بقارعة : أي بداهية تهلكه ، يقال قرعه أمر إذا أتاه فجأة ، وجمعها قـوارع ، النهايـة : ابـن الأثيـر ، ص 745 .

3 . سنن أبي داوود : أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني ، كتاب الجهاد ، باب كراهية تـرك الغـزو ، ص 380 ، ح 2503 ، ط 1 ، مكتبة المعارف ، حديث حسن .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : الأسباب الإلهية للنصر .

وفيه تسعة مطالب :

المطلب الأول : معية الله .

المطلب الثاني : الإمداد بالملائكة .

المطلب الثالث : التغشية بالنُعاس .

المطلب الرابع : المطر .

المطلب الخامس : إلقاء الرعب.

المطلب السادس : الرمي بالتراب أو الحصى .

المطلب السابع : تأييد الله بالنصر والمؤمنين وتأليف قلوبهم .

المطلب الثامن : توهين كيد الكافرين .

المطلب التاسع : التقليل والتكثير في الأعين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : الأسباب الإلـهية للنصر :

مدخل المبحث الثاني :

لقد أيد الله ﷻ المؤمنين بأسباب النصر العديدة في كثير من المعارك والغزوات ، ونظـرًا لكثرة تلك الأسباب ، وطول موضوع الدراسة فإننا سنقتصر في هذا المقام على الأسباب التي أيد الله بها عباده المؤمنين في غزوة بدر فقط ، وذكرها في هذه الغزوة بالذات لا يعني نفي غيرها في باقي الغزوات .

والتفصيل كما يلي :

المطلب الأول : معية الله .

لا يمكن للإنسان أن يحقق أي أمر إلا بأمر الله ﷻ ومعيته ، وهذا ما نلحظه من خلال غزوة بدر ، حيث قال تعالى : ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُـلَّ بَنَـانٍ** ﴾ [الأنفال : 12]، فمعية الله نعمة من النعم التي أيد الله بها المؤمنين في قتالهم مع عدوهم . **والمراد بالمعية :** " معية الإعانة والنصر والتأييد في مواقف القتال الشديدة " (1) . والمعية هنا مستحيلة إذ تُحمل على المعية اللائقة بالله وهي المعية المجازية ، فيكون المعنى توجه عنايته إليهم وتيسير العمل ، وفي قوله ﴿ **مَعَكُمْ** ﴾ تشريف للملائكة وللعمل الذي سيقومون به ، وهو مقدمة للتكليف بعمل شريف ، فهو معهم في عملهم الذي يكلفهم به . (2) ومعية الله ﷻ للملائكة هي من النعم الخفية التي أظهرها الله لهم ليشكروه عليها حيث ألهم الملائكة أنه معهم معية إعانة ونصر وتأييد حينما أرسلهم ردءًا للمسلمين لينصروهم ويثبتوهم (3). وأمرهم أن يقووا عزائم المؤمنين ، ويصححوا نياتهم فلا يخافوا أية أغيار من عدوهم ومن ثَم يبين لهم أن النصر ليس بكثرة العدد وقوة العُدد بل النصر دائمًا من عند الله تعالى القائل : ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : 249] . (4)

" فحركة العصبة المسلمة في الأرض بهذا الدين أمر هائل عظيم أمر يستحق معية الله للملائكة

---

1 . التفسير المنير : وهبة الزُحيلي ، 9 / 269 .

2 . انظر: التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 281 .

3 . انظر : التفسير المنير : وهبة الزُحيلي ، 9 / 269 .

4. انظر : جامع البيان : الطبري ، 9 / 236 ، و تفسير الشعراوي : 8 / 4600 ، والجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، 4 / 240 ، والسعدي : 278 ، والجلالين : السيوطي والمحلي ، 152 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في المعركة ، واشتراك الملائكة فيها مع العصبة المسلمة " [1] . هذا وإن الإمداد بالملائكة دون معية الله لا يحقق نصرًا ، حيث إن وجود الملائكة بدون عون الله ﷻ ، فإنها عاجزة عن تحقيق النصر وهي مفتقرة إلى معية الله ﷻ الذي يحقق النصر وهو رب العالمين ، فهم وإن ثبّتوا قلوب المؤمنين وقاتلوا معهم فلا بد لهم من معية الله ﷻ ليلقي الرعب في قلوب الكافرين ، فهو الذي يدير المعركة بجنده من البشر والملائكة ضد المحادين لله ورسوله . [2] ورغم كثرة الجنود التي أيد الله ﷻ بها في المعركة والأسباب الداعية للنصر إلا أن النصر مرتكز عليه ﷻ فهو من عنده فقط حيث قال تعالى﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ** ﴾ [الأنفال : 9] ، فليس للمقاتل أن يغتر بكثرة العدد والعدة ، بل لا بد أن يضع صوب عينيه أن النصر لا يكون إلا من عند الله وبمعيته ، أليس هو القائل – سبحانه – : ﴿ **لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [الأنفال : 8] . وتؤكد الباحثة على ذلك فيما حدث في غزوة حُنين حيث كان عدد المسلمين كثيرًا قال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ...** ﴾ [التوبة : 25] ؛ حيث بين د. منير الغضبان أنّ الله أراد أن يُربي الجيش المسلم كله وبأعداده الضخمة الوافدة الجديدة على مبدأ النصر مترفقًا بكثرة العدد والعدة ، وإن كانت هذه أسباب يُكلف المسلم بها من حيث الإعداد والتهيؤ . [3] فلذلك يجب على المسلم أن يستشعر معية الله ﷻ في كل شيء ، وخاصة أنه أمدهم من عنده بالملائكة فسخرهم لنُصرة المؤمنين في الجهاد ، ومَنْ كان الله معهم والملائكة إلى جانبهم فما ظنهم ؟ . [4] ولقد تجلت معية الله ﷻ وتجلى تأييده للمجاهدين ، بل للناس أجمعين في معركة الفرقان في غزة في صورة واضحة لا ينكرها أحد فأكرمهم الله ﷻ بعدة كرامات . وسنذكر كل كرامة عند ورود موضعها ؛ حيث بدأت هذه المعركة يوم السبت **27 / 12 / 2008** م ظهرًا وانتهت **يوم الإثنين 19 / 1 / 2009** م وفي هذا المقام ذِكْر لما حدث في قرية المغراقة ، الذي يدلل على أنّ الله ﷻ كان مع عباده المؤمنين ، حيث قصفت الطائرات أحد المنازل بقذيفة أشعلت فيه نارًا عظيمة توشك أن تمتد إلى البيوت المجاورة فتلتهمها ، فوقف أحد المجاهدين يناجي ربه ويدعوه باكيًا " يا مَنْ جعلت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم أطفئ النار بقدرتك ، فلم يمض

---

1. في ظلال القرآن : سيد قطب ، 3 / 1485 .
2. انظر : التربية الجهادية : د. منير الغضبان ، 1 / 76 ، والمنهج الحركي للسيرة النبوية : منير الغضبان ، ص 319 .
3. انظر: فقه السيرة : منير الغضبان ، ص 369 ، ط 1 ، 1417هـ – 997 م ، دار الوفاء .
4. انظر : معالم الجهاد الحربي : د. جمال الهوبي ، 1 / 340 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سوى ثلاث دقائق وإذا بالنار تنطفئ فأجهش المجاهدون بالبكاء ، لأنهم شعروا بتأييد الله واستجابته للدعاء ومعيته معهم . [1]

إذن مما سبق يتضح لنا :

1. معية الله ﷻ نعمة من نعم الله وسبب لتحقيق النصر على الأعداء .
2. مهما أعد الإنسان الأسباب المحققة للنصر ، فعليه ألا يغتر بما أعد ؛ لأن النصر لا يكون إلا بيد الله ، فلا يجوز أن نركن للعدة والعتاد ، وحُنين خير شاهد على ذلك .

المطلب الثاني : الإمداد بالملائكة :

يعدّ الإمداد بالملائكة من النعم التي أنعمها الله ﷻ على عباده المؤمنين ؛ حيث كانت الملائكة سببًا للنصر فقال تعالى : ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ **[الأنفال : 9]** .

فالاستغاثة هي " طلب الغوث وهو الإعانة على رفع الشدة والمشقة ، ولما كانوا يومئذ في شدة ودعوا بطلب النصر على العدو القوي كان دعاؤهم استغاثة فاستجاب لكم أي وعدكم بالإغاثة " [2] .

وهو إبقاء الحياة ، حيث يطلب المقاتلون الغوث من الله ﷻ في حالة الحرب التي قد يفنى فيها الجميع ، وعبر عنها بضمير الجمع كأنهم جميعًا يستغيثون في وقت واحد [3] .

أما **إعطاء المدد** فهو الزيادة من الشيء النافع ، وخاصة التي تجيء للجيش ؛ لأنّ الجيش إذا وجه بمعارك لا يستطيع أن يقوم بها للعدد الموجود من الرجال أو السلاح ، حينئذ يطلب قائد الجيش إرسال المدد من الرجال والعتاد . [4] فالمسلمون لما نزلوا ببدر رأوا كثرة المشركين وعلموا أنه لا بد من قتال الطائفة ذات الشوكة وهمَّ النفير ورأوا كثرة عدد النفير وقلة عددهم استغاثوا واستجاروا بالله ﷻ من عدوهم ودعوه لينصرهم عليه ، فأجاب دعاءهم وأمدهم بألف من الملائكة يردف بعضهم بعضًا ، ويتلو بعضهم بعضًا ، فيتقدم بعضهم ويعقبه الآخر، وهكذا

---

1. لمعرفة المزيد عن الكرامات انظر : مجلة معركة الفرقان من إصدارات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية : آيات الرحمن في معركة الفرقان : بقلم د. عبد الرحمن الجمل ، ص 4 – 7 ، 1430 هـ – 2009 م .
2. التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 275 .
3. انظر : تفسير الشعراوي : 8 / 4587 .
4. انظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 275 ، وتفسير الشعراوي : 8 / 4588 – 4589 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتابع الملائكة وهذه هي الطليعة ثم تبعها آخرون فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف . [1]
ولقد كان حلول الملائكة بكيفية يعلمها الله تعالى ، فهو إما بتجسيم المجردات فيراهم مَنْ أكرمه الله برؤيتهم ، وإما بإراءة الله الناس ما ليس من شأنه أن يرى عادة ، وفائدة التبشير بإمداد الملائكة أن يوم بدر كان في أول يوم لقي فيه المسلمون عدوًا قويًا وجيشًا عديدًا فبشرهم الله بكيفية النصر الذي ضمنه لهم ، حيث أمدهم بجيش من الملائكة ؛ لأنّ النفوس أميل إلى المحسوسات ، فالنصر معنى من المعاني يدق إدراكه ، وسكون النفس تتصوره بخلاف الصور المحسوسة من تصوير مدد الملائكة ورؤية أشكال بعضهم .[2] ولقد وضحت الآية الكريمة أنّ الملائكة كانت أمام المسلمين ، لأن جيش المسلمين كان قليل العدد وجيش الكفار كان كثير العدد وجاءت الملائكة لتكثير عدد جيش المسلمين ، فلو كان العدد مكونًا من ألف مقاتل ، فقد أرسل الله ملائكة بنفس العدد ويزيد بذلك جيش المؤمنين بعدد الملائكة ، ولو أرسل الله ملكًا واحدًا لكان يكفي، حيث إنّ جبريل – **عليه السلام** – بريشة من جناحه اقتلع مدائن قوم لوط ، وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة (3) .
وعن قتال الملائكة فقد ذهب البعض أنّ الملائكة لم تقاتل وإنما كان لهم تقوية معنوية ، فكانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين [4] .
ولقد أمد الله ﷻ المؤمنين بالملائكة وخاصة بعد دعاء النبي ﷺ لذلك حيث ثبت من حديث عمر بن الخطاب – **رضي الله عنه** – أن عدد المشركين **يوم بدر** ألف وعدد المسلمين ثلثمائة وسبعة عشر رجلاً ، فلما رأى ذلك استقبل القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه (**اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آتني ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**) [5] [6] .
وفي سيرة ابن هشام عن ابن عباس – **رضي الله عنهما** – قال : كانت سيما الملائكة **يوم بدر** عمائم بيض قد أرسلوها على ظهورهم ، **ويوم حُنين** عمائم حُمرا ، إلا أنّ جبريل –**عليه السلام**– فإنه

---

1. انظر : جامع البيان : الطبري ، 9 / 226 ، وفتح القدير : الشوكاني ، 2 / 370 ، والجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، 4 / 370 ، والتحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 275 ، والتفسير المنير : وهبة الزحيلي ، 9 / 263 ، والسعدي : 278 .
2. انظر :التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 276 – 277 .
3. انظر : تفسير الشعراوي : 8 / 4589 – 4588 ، والتفسير المنير ، وهبة الزُحيلي : 9 / 263 .
4. انظر : التفسير المنير : وهبة الزُحيلي ، 9 / 263 .
5. صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ، ص 700 ، ح 1763 .
6. انظر : فتح القدير : الشوكاني : 2 / 370 ، والتربية الجهادية : منير الغضبان ، 1 / 308 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانت عليه عمامة صفراء ، والملائكة لم تقاتل في يوم من الأيام سوى بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددًا ومددًا لا يضربون . [1] وعنه أيضًا قال : (وأمد الله نبيه والمؤمنين بـألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنِّبة ، وميكائيل في خمسمائة مجنِّبة) [2] .

وهذه الرواية في السيرة النبوية توضح الإمداد بالملائكة : (وأغفى رسول الله إغفاءة واحدة ثم رفع فقال : أبشر يا أبا بكر ، هذا جبريل على ثناياه النقع (أي الغبار) ، وفي رواية ابن اسحاق قال رسول الله : (**أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده وعلى ثناياه النقع**) [3] .

وروي أنّ أبا جهل قال لابن مسعود : (من أين كان الصوت الذي نسمع ولا نرى شخصًا : قال هو من الملائكة ، فقال : هم غلبونا لا أنتم) [4] .

ولقد كان إبليس يقاتل في صف المشركين ، وكان في صورة سراقة بن مالك فلما رأى ما تفعل الملائكة والمؤمنون فر ناكصًا على عقبيه حتى ألقى بنفسه في البحر [5] .

هذا وإنّ قتال الملائكة مع المؤمنين لا يقلل من أهمية قيام المؤمنين بواجبهم في القتال على أتم وجه وأكمله ، فإنهم قاتلوا قتالاً مستميتًا استحقوا به كل تقدير، حيث ورد في الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال لعمر لمّا شاوره في قتل حاطب بن أبي بلتعة [6] (**إنه شهد بدرًا ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**) [7] .

ولقد كان إرسال الملائكة لتكثير العدد أمام العدو وذلك ليزداد العدو رهبة من المؤمنين ، ويزداد

---

1. انظر : سيرة ابن هشام : 2 / 245 .
2. انظر : التفسير المنير : وهبة الزُحيلي ، 9 / 264 .
3. انظر : الرحيق المختوم ، 237 ، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية : مهدي أحمد ، 353 ، ط 1 ، 1412هـ – 1992 م . ومقومات النصر في ضوء القرآن والسنة ، د. أحمد عوض أبو الشباب ، 1 / 256.
4 . انظر : التفسير المنير : الزُحيلي : 9 / 264 ، وفي رحاب التفسير : الشعراوي ، 8 / 4590 .
5. انظر :السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية : مهدي أحمد ، 353 .
6. حاطب بن أبي بلتعة اللخمي : (586 – 650 م) (35ق هـ – 30هـ) صحابي ، شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان من أشد الرماة في الصحابة ، وكانت له تجارة واسعة ، بعثه النبي ﷺ، بكتابه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، ومات في المدينة وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية . الأعلام : الزركلي ، 2 / 159 .
7. صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة ، ص 1074 ، ح 2494 .، وانظر التفسير المنير : وهبة الزحيلي ، 1 / 265 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤمنين قوة في صفوفهم [1] . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالأمر للمؤمنين أنْ لا يفتنوا حتى بالملائكة لأنّ النصر لا منهم ولا من الملائكة ، ولكنّ النصر من عند الله ﷻ فهو الذي ينصر فلا بد أن يكون المؤمنون على ثقة من نصره سبحانه ، فالبشر مع البشر يظنون الانتصار من قبل الحرب ، ومن الجائز أن يغلب الطرف الآخر ، لكن النصر الحقيقي من العزيز القاهر الغالب الذي لا يُغلب وهو الله ﷻ حيث قال تعالى : ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ**﴾ [الأنفال: 9] ، ولقد نبه أنّ النصر من عنده وحده لا من الملائكة فلولاه لما انتُفع بكثرة العدد والعُدد .

والنصر من عند الله يكون بالسيف ويكون بالحجة ، فالنصر ليس بكثرة عدد ولا عُدد ، فالله هو العزيز الذي لا يغالبه مغالب ، وهو القهار الذي يخذل من بلغوا من الكثرة ، ومن العدد والآلات ما بلغوا [2] .

وترى الباحثة أن مهمة الملائكة في معركة بدر تمثلت فيما يلي :

1. **تبشير للمؤمنين** : حيث قال تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى** ﴾ يقول الشعراوي في هذه الآية : " وما أن بدأت المعركة حتى بدأ توالي النعم التي سوف تأتي بالنصر ؛ إمداد بالملائكة بشرى لتطمئن القلوب ، وثقة من أنّ النصر من عند الله العزيز الحكيم " [3] .
2. **تطمين قلوب المؤمنين** : حيث قال تعالى : ﴿ **وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ يقول سيد قطب في هذه الآية : " وإنه لحسب العصبة المؤمنة أن تشعر أنّ جند الله معها لتطمئن قلوبها وتثبت في المعركة ، ثم يجيء النصر من عند الله وحده، حيث لا يملك النصر غيره وهو القادر الغالب على أمره ويحل كل أمر محله " [4] .
وفي نفس المقام يقول الشعراوي : " واعلموا أنّ الملائكة هي لطمأنة القلوب لكنّ الحق يريد أن يعذبهم بأيديكم أنتم لأنّ الله يريد أن يربي المهابة لهذه العصبة بالذات بحيث يحسب لها الناس ألف حساب " [5] .
3. **تثبيت قلوب المؤمنين في صفوف القتال** : قال تعالى : ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ**

---

1. انظر : تفسير الشعراوي : 8 / 4588 .
2. انظر : المرجع السابق : 8 / 4591 ، والجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، 4 / 370 ، السعدي : 278 .
3. تفسير الشعراوي : 8 / 4592 .
4. في ظلال القرآن : سيد قطب ، 3 / 1484 .
5. تفسير الشعراوي ، 8 / 4590 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : 12] فأمد الله المسلمين بالملائكة للبشرى لهم بالنصر وتطمين قلوبهم وتثبيتها [1] .

4. **قتال الملائكة مع المؤمنين في أرض المعركة** : قال تعالى : ﴿ **فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ ؛ حيث إنّ المشركين هم الذين رأوا أعداد الملائكة تنضم للجيش الإسلامي ، ولقد نقل تلك الصورة الذين أسلموا وحسُن إسلامهم من المشركين ولم يُقتلوا في بدر [2] .

ولقد وردت عدة روايات توضح مشاركة الملائكة في غزوة بدر ، قال ابن عباس : (بينا رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه ، فخر مستلقيًا فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفه وشُق وجهه كضربة السوط فاخضر[3] ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدّث بذلك رسول الله فقال : صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين) [4] .

وفي رواية أخرى قال أبو داود المازني : (إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قد قتله غيري ، وجاء رجلٌ من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا فقال العباس : إنّ هذا والله ما أسرني ، لقد أسرني رجلٌ أجلح ، ومن أحسن الناس وجهًا على فرس أبلق وما أراه في القوم ، فقال الأنصاري : أنا أسرته يا رسول الله ، فقال : اسكت فقد أيدك الله بملك كريم) [5] .

ويقول سيد قطب : " وبحسبنا أن نعلم أنّ الله لم يترك العصبة المسلمة وحدها في ذلك اليوم وهي قلة والأعداء كثرة ، وإنّ أمر هذه العصبة وأمر هذا الدين قد شارك فيه الملأ الأعلى مشاركة فعلية على النحو الذي يصفه الله سبحانه في كلماته " [6] .

إذن خلاصة القول فيما سبق :

تعتبر الملائكة من النعم التي أمد الله بها المؤمنين في غزو بدر حتى تكون سببًا لتحقيق النصر،

---

1. انظر : فتح القدير : الشوكاني : 2 / 370 .
2. انظر : التربية الجهادية : د . منير الغضبان ، 1 / 79 .
3. اخضر : انقطع .
4. صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ، ص 700 ، ح 1763، وانظر الرحيق المختوم : المباركفوري ، 238 .
5. .. انظر : الرحيق المختوم : المباركفوري ، 238 .
6. في ظلال القرآن : 3 / 1483 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأمر لا يقتصر على عهد النبي ﷺ بل يستمر إلى قيام الساعة ، وهذا المعنى أكد عليه د. جمال الهوبي في رسالته ، حيث بيّن أنّ الملائكة جند الله يؤيد بهم المجاهدين في كل زمان ومكان إذا شاء ، ويبشرونهم بنصر الله ويطمئنون قلوبهم ويثبتونهم ويعينونهم ويرشدونهم للخير، ويقاتلون معهم ، وغير ذلك مما لا يمكن حصره فيجب على المجاهد أن يعتقد أنّ جميع الملائكة جنود الله إذا شاء سخرهم لنصرتهم في الجهاد ، وهذا مما يُشعر المؤمنين أنّ الله معهم إذا شاء أمدهم بالجنود من الملائكة ، ومَنْ كان الله معهم والملائكة إلى جانبهم فما ظنهم ؟ [1] .
وهذا ما حدث في معركة الفرقان التي خاضها المسلمون مع أعداء الله اليهود ؛ حيث أيد الله ﷻ عباده المؤمنين بالملائكة . **والبيان كما يلي :**
أخبر أحد المجاهدين في ميدان المواجهة في المغراقة والطائرات من فوقهم وهم لا يستطيعون الحركة ، وإذا بغمامة من فوقهم تظللهم وتغطيهم عن الطائرات فتحركوا من مكانهم دون أن يصيبهم أذى .
وكذلك أخبر أحد المجاهدين وقد كان يرابط عند عبوة أرضية قال : والقذائف تتساقط من حولي وقد أصبحتُ في مواجهة الدبابات فقلت في نفسي أنسحب إلى مكان أكثر أمنًا ، وإذا بي أسمع صوتًا يقول لي : **اثبت في مكانك** فمكثتُ في مكاني والسكينة تملأ قلبي وقد أكرمني الله تعالى بتفجير الدبابة [2] .

---

1. انظر : معالم الجهاد الحربي : 1 / 340 .
2. لمعرفة المزيد عن الكرامات انظر: مجلة معركة الفرقان من إصدارات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية : آيات الرحمن في معركة الفرقان : بقلم د. عبد الرحمن الجمل ، ص 4 – 7 ، 1430 هـ – 2009 م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث : التغشية بالنُعاس .

تعدّ التغشية بالنعاس هي النعمة الثانية التي أمد الله ﷻ بها عباده المؤمنين بعد الإمداد بالملائكة يوم بدر حيث قال تعالى : ﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ** ﴾ [الأنفال : 11]، حيث ألقى الله ﷻعليهم النعاس ليكون أمانًا لهم من الله أن يغلبهم عدوهم وهو في الحرب أمنة من الله ﷻ. (1)

بل إنّ قصة النعاس قصة حالة نفسية عجيبة لا تكون إلا بأمر الله وقدره وتدبيره ، حيث إنه مددٌ من أمداد الله للعصبة المسلمة **يوم بدر**. (2)

ويعدّ النعاس من آيات الله ﷻ في أن يهب الإنسان راحة مؤقتة وليست نومًا ، **فالنعاس** عبارة عن السِّنة الأولى التي تأخذ الإنسان عندما يريد النوم ، وهي ليست بنوم ، بل فتور في الأعصاب يعقبه النوم ، ولقد جاء بكلمة ﴿ **أَمَنَةً** ﴾ لتهدئة أعماق المؤمنين في الأجواء المحيطة بهم ، حيث كان عدد العدو كثيرًا وهم بلا عتاد ، فشاء الله ﷻ ألا يضيع منهم الطاقة اللازمة للمواجهة ، ولا تتبدد طاقتهم في الفكر ، فجعل نعاسهم مخصوصًا يغلبهم ، وهو (**نعاس أمنة**) ولقد جعله الله آية ، حيث جاءهم كلهم في وقت واحد ، وهذه تكفي وحدها أن تكون آية من آياته سبحانه ، ولو غلبهم النوم العميق لمال عليهم الأعداء ميلة واحدة ، ولكنهم أخذوا قسطًا قليلاً من الراحة التي فيها شيء من اليقظة (3).

ولقد أسند الله ﷻ الإغشاء أو التغشية ؛ إليه لأنه هو الذي قدر للمؤمنين أن يناموا في وقت واحد لا ينام في مثله الخائف ، ولا يكون عامّاً سائر الجيش فهو نوم منحهم الله إياه لفائدتهم ، ولقد كان النعاس لهم أمنًا ليزيل أثر الخوف والرعب من نفوسهم و قلوبهم فلما ناموا واستيقظوا وجددوا نشاطًا ، ونشاط الأعصاب يكسب صاحبه شجاعة ويزيل شعور الخوف الذي فيه فتور الأعصاب ، ولقد أراحهم من عناء السير ، وليكون ذلك للمؤمنين علامة على النصر والطمأنينة ، وقيل أنّ النوم غشيهم في حال التقاء الصفين (4) .

---

1 . انظر : جامع البيان : الطبري ، 9 / 231 .

2. انظر : الظلال : سيد قطب ، 3 / 1484 ، ومختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد عليّ الصابوني ، 2 / 90 .

3 . انظر : تفسير الشعراوي : 8 / 4593 ، 4596 .

4. انظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 278 ، وتفسير السعدي : 278 ، والتفسير المنير : وهبة الزُحيلي ، 9 / 266 ، وفتح القدير : الشوكاني ، 2 / 372 ، والتربية الجهادية : منير الغضبان ، 1 / 309 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث كان النعاس على الأصح في الليلة التي كان القتال من غدها ، ولقد عمّ الجمع العظيم في حالة الخوف الشديد ليأخذ حكم المعجزة الخارقة للعادة مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم ولكنّ الله سبحانه وتعالى ربط جأشهم [1] .

لذا " يجب على المجاهدين أن يعتقدوا أنّ النعاس سبب من أسباب النصر ، يؤيد به الله جنده المجاهدين في سبيله خاصة عند الشدة والفزع والخوف والإصابات والابتلاء ، وعليهم أن يسألوا الله أن يعينهم بهذا السبب في جهادهم " [2] .

يتضح لنا مما سبق : أنّ النعاس كرامة من الكرامات التي أيد الله ﷻ بها عباده المؤمنين في **معركة بدر** ، ولقد دلت الآية السابقة على ذلك حيث قال تعالى : ﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً** ﴾ ، فهذا إن دل فإنما يدل على أنّ الله ﷻ يؤيد عباده وينصرهم على أعدائهم بأي سبب من الأسباب الموجبة للنصر ، ولقد كان النعاس واحدًا من الأسباب ، ألا تراه أمَّنهم من خوفهم ورعبهم ؟ ألا تراه قوّاهم وشجعهم على مواجهة العدو ؟ ألا تراه جدد نشاطهم بعد فتور أعصابهم ؟ وبذلك تبين أنّ النعاس علامة للنصر يؤيد الله بها عباده في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة ، وليس الأمر مقصورًا على **غزوة بدر** فحسب ، بل وقتما تتطلب الحاجة فإنّ الله يؤيد به عباده ويلقيه عليهم عند التقاء أي صفين للقتال في أي زمن من الأزمان .

---

1. انظر: التفسير المنير : وهبة الزُحيلي ، 9 / 266 .
2. معالم الجهاد الحربي : جمال الهوبي ، 1 / 355 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع : المطر .

يعدّ المطر من النعم التـي أنعمهـا الله ﷻعلـى عبـاده المـؤمنين يوم بدر ، حيـث قال تعالى : ﴿ **وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ** ﴾ [الأنفال : 11] ، أنزل الله ﷻ من السماء يوم بدر مطرًا ليطهر به المؤمنين لصلاتهم ؛ لأنهم كانوا قد أصبحوا في ذلك اليوم مُجنبين على غير ماء ؛ فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا ، وكان الشيطان قد وسوس لهم بما حزنهم به قلوبهم ، حيث ثبّت بذلك المطر أقدامهم [1] .

ولقد ورد أنّ الكفار يوم بدر سبقوا المؤمنين إلى ماء بدر فنزلوا عليه ، وبقي المؤمنون لا ماء لهم ، فوجست نفوسهم وعطشوا وأُجنبوا وصلوا فقال بعضهم في نفوسهم بإلقاء الشيطان إليهم : نزعم أنا أولياء الله وفينا رسوله وحالنا هذه والمشركون على الماء ، فأنزل الله المطر ليلة بدر السابعة عشرة من رمضان حتى سالت الأودية ، فشربوا وتطهروا وسقوا الظّهر وتلبدت السبخة التي كانت بينهم وبين المشركين حتى ثبتت فيها أقدام المسلمين وقت القتال . [2] حيث كان إنزال المطر منة أخرى من الله ﷻ في وقت الحاجة ولقد أسند الله ﷻ الإنزال إليه لينبه على أنه أكرمهم به ، وذلك لكونه أنزله لهم في وقت احتياجهم إلى الماء ، وقد يكون إنزاله في وقت غير معتاد فيه نزول المطر في أفقهم [3] .

وترى الباحثة أن الحكمة من إنزال المطر هي كما يلي :

1 . تطهير المؤمنين به : حيث قال تعالى : ﴿ **لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ** ﴾ وضحّ الشعراوي في هذا المقام أنّ الله ﷻ أراد أن يطهرهم مما كانوا فيه حيث كانت الرغبة في تطهير أجسامهم وخاصة بعد أن ظمئ المسلمون وانشغلوا بالعطش ، فأنزله بعد أن وسوس الشيطان لهم في أنهم مجنبون ، فكيف يُصلون مجنبين محدثين فكان المطر للتطهر به [4] .

ونرى أن التطهير منعوي وحسي أما الحسي فهو ما وضحّه الشعراوي سابقًا حيث طهارة الجسم من الحدث الأصغر والأكبر ، أما المعنوي فهو من وسوسة ورجز الشيطان؛ حيث قال تعالى في الآية نفسها : ﴿**وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ** ﴾ . وعن الحكمة في إضافة

---

1 . انظر: جامع البيان : الطبري ، 9 / 232 .

2 . انظر الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، م 4 ، 7 / 237 .

3 . انظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 279 .

4 . انظر : الشعراوي : 8 / 4597 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرجز إلى الشيطان يقول ابن عاشور : " لأنّ غالب الجيش لما ناموا احتلموا فأصبحوا على جنابة ، وذلك قد يكون خواطر الشيطان يخيلها للنائم ليفسد عليه طهارته بدون اختيار طمعًا في تثاقله عن الاغتسال حتى يخرج وقت صلاة الصبح ، ولأنّ فقدان الماء يلجئهم إلى البقاء في تنجس الثياب والأجساد ، والنجاسة تلائم طبع الشيطان " [1] .

2 . **الربط على قلوب المؤمنين** : حيث قال تعالى : ﴿ **وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ** ﴾ " أي بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء وهو شجاعة الباطن " [2] .

3 . **تثبيت الأقدام في أرض المعركة** : وهذه هي التي يستشعر بها المقاتل تحقيق النصر؛ حيث قال تعالى : ﴿ **وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ** ﴾ فلما نزل المطر تلبدت الأرض عند المسلمين فصار السير أمكن لهم ، أما السير في أرض المشركين فقد صار متعبًا ، فأمكن للمسلمين السبق إلى الماء من بدر ونزلوا عليه وادخروا ماءً كثيرًا من ماء المطر ، وذلك بعدما كان طريق المسلمين رملاً لينًا تسوخ فيه الأرجل فشق على المسلمين إسراع السير إلى الماء ، أما أرض طريق المشركين ملبدة ، فلما نزل المطر ساعد المسلمين على التحرك والسير ، فنزول المطر جعل الأرض ثابتة، ولا تثير الغبار أو الرمال [3] .

وبذلك يتم المدد الروحي بالمدد المادي وتسكن القلوب بوجود الماء ، وتطمئن الأرواح بالطهارة، وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتماسك الرمال .ويذهب رجس الشيطان [4] .

إذن خلاصة القول فيما سبق :

أنّ المطر سبب من أسباب النصر ، وأنّ الله ﷻ مؤيد به جنده المجاهدين في كل زمان ومكان ، ومتى اقتضت الحاجة لذلك ؛ حيث به تكون الطهارة وثبات الأقدام على أرض المعركة ، وبه يكون الربط على القلوب ، وكل ذلك يؤدي إلى نُصرة المؤمنين وهزيمة المشركين ، فلذلك حيث قال : " يجب على المجاهدين أن يعتقدوا أنّ ماء المطر جندي من جنود الله يجعله سببًا لنصرة أوليائه المجاهدين في سبيله إذا شاء، وهذا مما يظهر لهم أنّ الله معهم ،

---

1 .التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 279 .

2. التفسير المنير : وهبة الزُحيلي ، 9 / 266 .

3 . انظر : سيرة ابن هشام : 2 / 232 ، و التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 279 ، والتفسير المنير : وهبة الزُحيلي ، 9 / 267 ، وتفسير الشعراوي : 8 / 4598.

4 . انظر : الظلال: سيد قطب ، 3 / 1485 ، والرحيق المختوم : المباركفوري ، 230 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأنّ جنده من الماء معهم إذا شاء أمدهم به وأنزله عليهم لنصرتهم ولهزيمة أعدائهم " [1] .

إذن يجب علينا أن نعتقد اعتقادًا جازمًا أنّ المطر سببٌ للنصر وأنّ الله ﷻ لا يترك نُصرة عباده المؤمنين ، ولو بأقل الأسباب الموجبة للنصر ، فماذا بالمطر الذي تسوخ فيه الأقدام في المعركة فيسبب هزيمة المشركين ؟.

فلو نظرنا إلى الأحداث التي كانت جارية على قطاع غزة في معركة الفرقان بينما كانت الحرب دائرة بين المقاومين واليهود نجد أنّ الله ﷻ قدّر أن تتساقط الأمطار ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء في يوم عاشوراء ، الثلاثاء الموافق 10 / محرم / 1426 هـ ، 6 / 1 / 2009 م . بينما اشتد الوطيس في منطقة الزيتون خاصة ، وجميع المناطق عامة فهذا إن دل فإنما يدل على ما يلي :

1. تأييد الله ﷻ لعباده المؤمنين عامة وللشعب الفلسطيني خاصة في كل زمان ومكان بالأسباب الموجبة للنصر .

2. سنة الله ﷻ واحدة في هزيمة الأعداء حيث إنّ للمطر دورًا في الهزيمة كما سبق وبينا من حيث تثبيت أقدام المؤمنين في أرض المعركة وتحقيق النصر لهم ، وفي المقابل تسوخ أقدام الأعداء ودباباتهم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد هزم الله ﷻ فرعون بالغرق في البحر، حيث قال تعالى : ﴿ **فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ** ﴾ [الأعراف : 136] ، وأيد نوح بالطوفان، حيث قال : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت : 14] ، فهذا إن دل فإنما يدل على أنّ الله ﷻ يؤيد عباده بأسباب النصر، فالماء بكافة أشكاله سواء كان بالمطر أو البحر أو الطوفان كله سبب للنصر . ولولا طول موضوع الدراسة لذكرتُ نماذج عديدة في هذا المقام عن أحوال الأقوام الذين هزمهم الله ﷻ بذلك .

---

1 . معالم الجهاد الحربي : د. جمال الهوبي ، 1 / 343 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس : إلقاء الرعب :

من العظيم أن تكون الأسباب الموجبة للنصر مادية محسوسة كالرمي والمطر والريح وغيرها ، ولكن من الأعظم أن يكون السبب الموجب للنصر معنويًا ألا وهو الرعب . فلقد ألقى الله ﷻ في قلوب الأعداء الرعب ، حيث قال تعالى : ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ [الأنفال : 12] ، أي " سأرعب الذين كفروا بي أيها المؤمنون منكم ، وأملؤها فرقًا حتى ينهزموا منكم ، فاضربوا فوق الأعناق " [1] . حيث ألقى الله ﷻ الرعب والخوف في قلوب الكافرين ، وهذا من النعم الجليلة التي أنعمها الله ﷻ على عباده المؤمنين في غزوة بدر ، فلقد كان الرعب أعظم جند للمؤمنين على الكفار ؛ لأنه إذا ثبت المؤمنين وألقى الرعب في قلوب الكافرين، ، والذلة والصغار عليهم بسبب مخالفة أمر الله وتكذيب رسوله ، فهم مهما كان عددهم وعُددهم فسيترك الأعداء كل ما معهم ويفرون من حالة الرعب والفزع ، وقد فعل ذلك بعض من الكفار [2] .

ويبين الرازي أنّ الرعب هو الخوف الذي يحصل في القلب ، وهو من النعم التي أنعمها الله على المؤمنين في بدر ؛ لأنَ أمير النفس هو القلب ، فلما بين – **تعالى** – أنه ربط قلوب المؤمنين وقوّاها وأزال الخوف ، ذكر هنا أنه ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين فكان ذلك من أعظم النعم عليهم . [3] حيث إنه " لا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة ، ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم ، واجتماعهما غاية في النصرة " [4] .

ولقد أسند الله ﷻ إلقاء الرعب إليه وليس إلى الملائكة ، وجعل الله الرعب في قلوب المشركين بواسطة أخرى غير الملائكة ؛ لأن الرعب خاطر شيطاني ذميم فهو رعبٌ شديد قدره على كيفية خارقة للعادة فكان إلقاء الرعب فيه فائدة للمسلمين وهو مبارك [5] .

---

1 . جامع البيان : الطبري ، 9 / 236 .

2 . انظر : التفسير المنير : وهبة الزُحيلي ، 9 / 271 ، وتفسير السعدي : ص 278 ، و تفسير الشعراوي : 8 / 4601 ، ومختصر تفسير ابن كثير : تحقيق محمد الصابوني ، 2 / 91 .

3 . التفسير الكبير : 15 / 135 . وانظر : معالم الجهاد الحربي : د. جمال الهوبي ، 1 / 347 .

4. الكشاف : الزمخشري ، 2 / 411 .

5 . انظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 282 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" والجنود أو الجيوش المرعوبة الخائفة الفزعة لا تنفع في القتال صائرة إلى الهزيمة لا محالــة مهما بلغت كثرتها ومهما كانت عدتها ؛ ذلك أنّ الفزِع الخائف المرعوب لا ينفعه ســلاح أو أي شيء وإنما همه مُنْصب على الهروب والفرار والنجاء بنفســه عــن القتــل أو الأســر " [1] .

إذن ، مما سبق يتضح لنا أنّ الرعب سبب من أسباب النــصر ، يلقيــه الله ﷻ فــي قلــوب المشركين مؤيدًا به عباده المؤمنين ، فما يبقى أمام الكفار سوى الفرار أو الاستسلام سواء على صعيد **غزوة بدر** أو أي مواجهة مع الأعداء فلو تأملنا حال المؤمنين في معركة الفرقــان علــى أرض غزة ، والتي حدثت مجددًا في عام 2009 م لوجدنا أنّ الأعداء ، وهم اليهــود ، كــانوا يقاتلون بصواريخهم ودباباتهم من صناعات يهودية وأمريكية حديثة الــصنع أمــام المقــاومين الفلسطينيين الذين ليس لديهم إلا أسلحة بسيطة لا تساوي شيئًا أمام الدبابات والصواريخ ، لكن لو نظرنا حال المؤمن و حال الكافر لوجدنا أنّ المؤمن المقاوم ، رغم قِلة أسلحته وبساطتها ، فإنه يقاوم بنفس راضية مطمئنة شُجاعة ، وفي المقابل فإنّ العدو يقاتل ويضرب بــصواريخه بكــل خوف وجزع من أن يقتله المقاوم الفلسطيني بسلاحه البسيط ، وشتان بين هذا وذاك ، فــالمؤمن يرجو من الله النصر أو الشهادة ، والعدو لا يرجو إلا أن يأمن على نفسه من أن يقتله المقــاوم بعد أن مُلئ قلبه بالرعب من شجاعة المقاوم ، فهو حريص على حياته بأي شكل من الأشــكال، وهذا ما رأيناه بعد انتهاء معركة الفرقان بين اليهود والفلسطينيين فالسبب الوحيد الــذي جعلهــم يُنهوا هذه المعركة هو رعبهم وجزعهم وخوفهم على حياتهم ، حتى اضطروا إلى اللجوء لعقــد البنود والاتفاقيات وتوسيط الــدول ليــتم إيقــاف المعركــة بــين الحــق والباطــل . ولقــد قال تعالى : ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ** ﴾ [سورة البقــرة : 96] ، هذا من جهة ، ومــن جهة أخرى فإنّ المتتبع لحالهم أثناء الحرب يجد أنّ شدة الرعب جعلتهم لا يكــادون يغــادرون دباباتهم ، بل كانوا يُحدثون فيما يلبسونه تحت ملابسهم ومخلفاتهم التي وجدت بعد اندحارهم عن الأرض المقدسة ما دلّ على شدة الرعب التي كانوا يعيشونها أثناء الحرب فاندفعوا إلى إيقافها .

---

1. معالم الجهاد الحربي : جمال الهوبي ، 1 / 349 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السادس : الرمي بالتراب أو الحصى :

الرمي بالتراب من النعم التي أيد الله ﷻ بها عباده في **معركة بدر**، حيث قال تعالى : ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنفال : 17] ، " أكثر أهل التفسير أن الآية نزلت في رمي النبي ﷺ القبضة فلم يبقَ عين مشرك إلا دخلها منه شيء ، قال حكيم بن حزام : لمّا كان يوم بدر سمعنا صوتًا وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست ، ورمى رسول الله ﷺ تلك الحصاة فانهزمنا ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى** ﴾[1] وفيما روي حول الرمي " وأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة ثم رفع رأسه فقال : (أبشر يا أبا بكر : هذا جبريل على ثناياه النقع (أي الغبار) " وفي رواية ابن إسحاق : قال رسول الله : " أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده وعلى ثناياه النقع ، ثم خرج رسول الله من باب العريش وهو يبث في الدرع ويقول : ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾ [القمر : 45] ثم أخذ حفنة من الحصباء ، فاستقبل بها قريشًا ، وقال (شاهت الوجوه) ورمى بها في وجوههم ، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه من تلك القبضة وفي ذلك أنزل الله ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى** ﴾ [الأنفال : 17] [2] .

والمراد بالرمي : هى رمية الحصى التي ثناها النبي ﷺ في وجوه الكفار يوم بدر وهو يقول : (شاهت الوجوه – شاهت الوجوه) فأصابت وجوه المشركين وعيونهم ممن كتب الله عليهم القتل . [3]

وحقيقته : " إلقاء شيء أمْسَكته اليد ، ويطلق الرمي على الإصابة بسوء من فعل أو قول " [4] .

و النبي ﷺ لم يرمِ الرمية على الحقيقة ؛ لأنه لو رماها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم ، ولكنّ الله أثبت الرمية لرسول الله؛ لأن صورتها كانت منه ﷺ ولكنه نفاها عنه؛ لأنّ أثرها الذي لا تطيقه البشر من فعل الله ﷻ فكأن

---

1 . أسباب النزول : الواحدي ، ص 174 .

2. انظر: السيرة النبوية : ابن هشام ، 1 / 468 ، دار الحديث ، والرحيق المختوم : المباركفوري ، 237 . و مختصر تفسير ابن كثير : 2 / 93 .

3. انظر : الظلال : سيد قطب ، 3 / 1490 . والتحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 296 .

4 . التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 295 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله هو فاعل الرمية على الحقيقة ، حيث لما ظهر من أثرها ما عم الجيش كلهم عُلم انتفاء أن تكون الرمية مدفوعة بيد مخلوق ولكنها مدفوعة بقدرة الخالق الخارقة عن الحد المتعارف ، وكأنها لم توجد من الرسول . فالتسبيب والتسديد من الله ﷻ ولكنّ الرسول كبتهم بها [1] .

فالمعنى أنه وما رميت يا محمد الفزع والرعب في قلوبهم إذ رميت بالحصباء فانهزموا ، ولكن الله أعانك وأظفرك . [2] والذي يؤكد على أنّ الله ﷻ نصر المؤمنين وهزم الكافرين برمية الحصباء أنه بعد رمية رسول الله ﷺ انكسر حدهم وفتر زندهم وبان في صفوفهم الفشل والضعف فهزمهم الله ﷻ[3] وهذا ما ذكره ابن هشام في سيرته بعد ذكر رواية الرمي ...[إلى أن قال] " فكانت الهزيمة " [4] .

إذن ، " يجب على المجاهدين أن يعتقدوا أنّ التراب من جنود الله ، يسخره لهم إذا شاء ويجعله سببًا للنصر إذا شاء ، وهذا يشعرهم أنّ الله معهم ، وأنّ جنده التراب معهم يعينهم في جهادهم كيفما شاء " [5] .

خلاصة القول فيما سبق :

إنّ الله ﷻ يؤيد عباده المؤمنين بأي سبب من أسباب النصر الموجبة لذلك حتى لو كان ذلك بأقل الأشياء أو بأمر مستبعد عند البعض أن يحقق النصر ألا وهو التراب ، حيث كان سببًا للنصر فأعمى الله ﷻ به عيون المشركين وهزمهم وبدد صفوفهم ، ومَنْ كان ذلك حاله فكيف له بالنصر ؟ والحق أنّ الهزيمة تكون ملحقة به . وأنّ الله ﷻ يؤيد بذلك السبب المؤدي للنصر في أي عصر من العصور ومتى تتطلب الحاجة إليه . وهلمَّ نقف وقفة مُيسرة مع معركة الفرقان يناير 2009 م ، حيث أيد الله ﷻ به المؤمنين ، فشهد لذلك أحد الجنود الصهاينة الذين شهدوا المعركة وذلك بعد أن أُصيب بالعمى وكان السبب كما وضحه عبر قنواتهم أنّ رجلاً يلبس ملابس بيضاء رمى حفنة تراب في عينيه ، فهذا إن دل فإنما يدل على أنّ الله ﷻ مع عباده المؤمنين يؤيدهم بأي سبب من الأسباب الملحقة للهزيمة في صفوف العدو ، فكيف بالتراب الذي يعمي العيون ويبدد الصفوف ؟ .

---

1 . انظر : الكشاف : الزمخشري ، 2 / 413 ، جامع البيان : الطبري ، 9 / 243 ، والتحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 296 ، ومختصر ابن كثير ، 2 / 93 .

2 . انظر :فتح القدير : الشوكاني ، 2 / 376 ، الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، 7 / 245 ، و التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 295 .

3 . انظر : تفسير السعدي ، 279 .

4 . السيرة النبوية : ابن هشام ، 1 / 468 .

5 . معالم الجهاد الحربي : جمال الهوبي ، 1 / 341 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السابع : التأييد بالنصر وبالمؤمنين وتأليف قلوبهم :

إنّ من الأسباب التي أعانت المؤمنين على تحقيق النصر في غزوة بدر تأييد الله ﷻ لهم بالنصر وبالمؤمنين والتأليف بين قلوبهم ، تلك القلوب التي لا يعلم سرها إلا هو سبحانه وتعالى حيث قال : ﴿ **وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** * ﴾ [الأنفال : 62 – 64]، ففي سبب نزول قوله : ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** ﴾ حيث (قال النعمان بين بشير : نزلت في الأنصار ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** ﴾ أي جمع بين قلوب الأوس والخزرج ، وكان تآلف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبيﷺ ومعجزاته ؛ لأنّ أحدهم كان يلطم اللطمة فيقاتل عنها حتى تستقيدها وكان أشد خلق الله حمية ، فألّف في الإيمان بينهم حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين) [1] .

فالتأييد في الآية السابقة له ثلاثة عناصر وهي : تأييد الله بالنصر ، و تأييد الله بالمؤمنين ، والتأليف بين القلوب ، حيث ألّف سبحانه بين قلوبهم عندما أُرسل ﷺ إلى قوم لهم عصبية وهم قبائل متفرقة تقوم الحروب بينهم لأتفه الأسباب فدل قوله ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** ﴾ على أنّ القوم كانوا قبل شروعهم في الإسلام ومتابعة الرسول في الخصومة الدائمة والمحاربة الشديدة يقتل بعضهم بعضًا ويغير بعضهم على بعض فلما آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر زالت الخصومات وارتفعت الخشونات وحصلت المودة التامة والمحبة الشديدة وأصبح الإسلام في قلوبهم وأعمالهم وأصبحت تربطهم رابطة الأخوة التي هي أقوى من رابطة النسب ، وحين تتألف القلوب فهذا أقوى رباط ؛ لأنّ كل عمل يقوم به الإنسان ينشأ عن عقيدة في القلب . والتأليف بين القلوب هو جماع التواد والمساندة [2].
والتأييد ليس إلا من الله لكنه على قسمين، وهما : الأول ، ما يحصل من غير واسطة أسباب معلومة معتادة ، وهو المراد من قوله ﴿ **أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ** ﴾ والثاني ، ما يحصل بواسطة أسباب معلومة معتادة وهو المراد من قوله ﴿ **وَبِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [3] .

---

1 . انظر : التربية الجهادية : د. منير الغضبان ، 1 / 132 – 133 .
2. انظر : تفسير الشعرواي : 8 / 4786 ، والتفسير الكبير : الرازي ، 15 / 189 – 190 .
3. انظر : التفسير الكبير : الرازي ، 15 / 189 – 190 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما المعنى في قوله تعالى : ﴿ **أَيَّدَكَم بِنَصْرِهِ** ﴾ أي قوّاكم بالنصر في مواطن الحرب بالأنصار يوم بدر وقواكم بالملائكة وشد أزرك بالمؤمنين ، وذلك بعدما كان عددهم قليلاً مستضعفون في أرض مكة في بداية الإسلام فآواهم إلى المدنية [1] ، حيث أيد الله ﷻ نبيه بالمؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وجعل منهم قوة موحدة بعد أن كانت قلوبهم شتى وعداواتهم جاهرة وبأسهم شديدًا ، حيث قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنفال : 64] ، فهو وحده كافي النبي وكافي أتباعه فلا يحتاجون معه إلى أحد [2].

فلقد أعانه الله ﷻ بمعونة سماوية وهو النصر منه الذي لا يقاومه شيء ، ومعونة بالمؤمنين بأن قيضهم لنصره ﷺ حيث اجتمعوا وائتلفوا وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم ولم يكن هذا بسعي أحد ولا بقوة غير قوة الله ، حيث لو أنفق النبيﷺ لذهب والفضة وغيرهما لتأليف قلوبهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة ، فإنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا الله – **تعالى** – ، حيث بعزته ألّف بين قلوبهم وجمعها بعد الفرقة ، وكل ذلك كان في **غزوة بدر** ، تلك الغزوة التي هيأ الله لها أسباب النصر المرئية في استعداد المؤمنين للقتال ودخولهم أرض المعركة وأسبابه غير المرئية في جنود لم يرها أحد وفي إلقاء الرعب في قلوب الكفار فكان النصر حليفًا للمؤمنين بمشيئة الله **تعالى** [3] .

خلاصة القول فيما سبق :

يتضح لنا مما سبق أنّ الله ﷻ أيد رسوله بالنصر وبالمؤمنين أولئك المؤمنين الذين كانوا يريدون غير ذات الشوكة ، الذين كان فيهم فريق كاره للقاء العدو ، فهم أنفسهم يَمنُّ الله تعالى بهم على رسوله بتأييده بهم ، إنها التربية الربانية الخالصة التي استطاع من خلالهم تحقيق النصر على العدو اللعين بعد أن كانت الفرقة والخلاف بينهم والحمية والعصبية من صفاتهم فآواهم الله وقواهم وربط على قلوبهم وجمعها على المحبة والألفة ، تلك القلوب التي لا يجمعها إلا الله ﷻ حيث قال تعالى : ﴿ **لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الأنفال : 63] ، فبعزته سبحانه وحكمته جمع شمل القلوب المتفرقة

---

1. انظر فتح القدير : الشوكاني ، 2 / 384 ، و الكشاف : الزمخشري ، 2 / 415 ، و صفوة التفاسير : الصابوني ، 1 / 514 ومدارك التنزيل : النسفي : ص 410 ، و معالم التنزيل : البغوي ، 2 / 618 – 619 ، دار الفكر 1405هـ – 1985 م .

2 . انظر : صفوة التفاسير : الصابوني ، 1 / 514 .

3 . انظر : تفسير السعدي ، ص286 ، و تفسير الشعراوي : 8 / 4784 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعزته وحكمته طهر القلوب من الحمية والعصبية، فأيّ جمعٍ ذاك وأيُ تطهير هذا ؟ إنه الجمع والتطهير الرباني ؛ حيث إنه كل أمة يشوبها الخلاف والنزاع لا تحقق نصرًا مؤزرًا ، بل إنه ليطمع بها عدوها ويوم أن تتوحد الكلمة ويتوحد الصف وتتآلف القلوب عندها يكون النصر المؤزر للمؤمنين ، وهذا ما لمسناه بوضوح على أرض **معركة بدر** ، وما حدث مجددًا على أرض معركة الفرقان ، فلقد كانوا جميعًا يدًا واحدة على عدوهم ، فما هاجم عدوٌ أرض المسلمين وتمكن بينهم إلا كونهم مختلفين متفرقين ويوم أن يكونوا أمة واحدة وينزعوا الحقد والغل من قلوبهم يتحقق بينهم النصر على عدوهم حيث قال تعالى : ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** ﴾ [الحجر : 47] ، ولقد وردت الأحاديث الدالة على التآخي والمحبة ، حيث قال ﷺ (**إنّ من عباد الله عبادًا ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل : مَنْ هم لعلنا نحبهم ؛ قال : هم قومٌ تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا انتساب ، وجوههم نور على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ...**)[1] .

ويقول ﷺأيضًا : (**إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه**)[2] .

نعم فما أعظمه من تآخٍ وما أجلّه من توادّ بين المؤمنين المتآخين ، وأصل التآخي هو الحب الذي يغمر قلوب المتآخين ، بالحب تبني الأمة عمادها ولقد قال سيد قطب عن ذلك : " كما تشهد الأمة التي بناها على الحب أنها لم تكن مجرد كلمات مجنحة ، ولا مجرد أعمال مثالية فردية ؛ إنما كانت واقعًا شامخًا قام على هذا الأساس الثابت بإذن الله الذي لا يقدر على تأليف القلوب هكذا سواه . "[3] إذن إنّ تأييد الله بالنصر وبالمؤمنين وتأليف القلوب أسباب أساسية في تحقيق النصر بين صفوف المؤمنين في كل زمان ومكان ، كيف لا وقد قال الله ﷻ ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ ؟ [آل عمران : 126] .

---

1 . صحيح ابن حبان : كتاب البر والإحسان ، باب ذكر وصف المتحابين في الله في القيامة عند حزن الناس وخوفهم في ذلك اليوم ، ص 267 ، ح 573 .

2 . صحيح ابن حبان : كتاب البر والإحسان ، باب ذكر الأمر للمرء إذا أحب أخاه في الله أن يعلمه ذلك ، ص 266 ، ح 570 .

3 . الظلال : سيد قطب ، 3 / 1549 ، ط 35 ، 1425هـ – 2005 م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثامن : توهين كيد الكافرين :

يعدّ توهين كيد الكافرين سببًا من أسباب النصر ، حيث قال تعالى : ﴿ **ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [الأنفال : 18] ، فقتل المشركين ورميهم حتى الهزيمة وإبلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم وتمكنهم من قتلهم وأسرهم ، كل ذلك من فعل الله ﷻ هو مضعف كيدهم ومكرهم وحيلهم حتى يُذلوا وينقادوا للحق ويهلكهم وتلحق بهم الهزيمة و يكون النصر للمؤمنين [1] .

والمراد بكيد الكافرين قصدهم الإضرار بالمسلمين في صورة ليس ظاهرها بمضرة ، وحيث إن جيش المشركين الذين قدموا لإنقاذ العير لمّا علموا بنجاة عيرهم وظنوا خيبة المسلمين الذين خرجوا في طلبها رفضوا أن يرجعوا إلى مكة وأقاموا على بدر لينحروا الجُزر ويشربوا الخمر ويضربوا الدفوف فرحًا وافتخارًا بنجاة عيرهم ليُسمعوا العرب بذلك فيخبروهم أنهم غلبوا المسلمين فيصرفهم ذلك عن اتباع الإسلام ، فأراد الله ﷻ توهينهم بهزيمتهم تلك الهزيمة الشنعاء ، فهو موهن كيدهم في الحال . [2] وتوهين الله تعالى كيدهم يكون بعدة أشياء وهي إطلاع المؤمنين على عوراتهم وإلقاء الرعب في قلوبهم حتى يتشتتوا ، وبتفريق كلمتهم ونقض ما أبرموا بسبب اختلاف عزائمهم حيث قُتل خيارهم وأُسر أشرافهم [3] .

ومما يؤكد على النصر ما يقوله ابن كثير في تفسيره : " هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر فإنه أعلمهم – **تعالى** – بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل ، مصغر أمرهم ، وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار " [4] .

فكل ما حدث من قتل المشركين ونصر المؤمنين حق والهدف منه – **كما سبق** – إضعاف وتوهين كيد الكافرين حتى لا تقوم لهم قائمة [5] .

---

1 . انظر : جامع البيان : الطبري ، 9 / 4054 ، الكشاف : الزمخشري ، 2 / 413 ، فتح القدير : الشوكاني ، 2 / 377 ، و تفسير السعدي : 279 ، وتفسير القاسمي ، 8 / 2969 .

2 . انظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 8 / 297 – 298 .

3 . انظر : التفسير الكبير : الرازي ، 15 / 141 ، والجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، 4 / 245 .

4 . مختصر ابن كثير : 2 / 94 ، وانظر تفسير القاسمي، 8 / 2969 ، وانظر معالم الجهاد الحربي : جمال الهوبي ، 1 / 350 .

5 . انظر : صفوة التفاسير : الصابوني ، 1 / 497 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي سياق الآية يقول سيد قطب : " إن التدبير لا ينتهي عند أن يقتل لكم أعداءكم بأيدكم ، ويصيبهم برمية رسولكم ، ويمنحكم حسن البلاء ليأجركم عليه . إنما هو يضيف إليه توهين كيد الكافرين وإضعاف تدبيرهم وتقديرهم ، فلا مجال إذن للخوف ولا مجال إذن للهزيمة ، ولا مجال إذن لأن يولي المؤمنون الأدبار عند لقاء الكفار . ويتصل السياق هنا بكل ملابسات المعركة ، فإذا كان الله هو الذي قتل المشركين ، وهو الذي رماهم ، وهو الذي أبلى المؤمنين فيها ذلك البلاء الحسن وهو الذي أوهن كيد الكافرين ... " [1]

ويبين د. جمال الهوبي أن الآية دلت على تأييد الله للمجاهدين في سبيله بسبب من أسباب النصر يتمثل في توهين كيد ومكر وتآمر وتخطيط الكافرين بما شاء الله وكيف شاء وهذا مما يؤدي إلى فشلهم وهزيمتهم وعلى ظهور الخلل في كل محاولاتهم ومن ثَمّ يترتب على ذلك النصر المؤزر للمجاهدين [2] .

قلت : وبناءً على ما سبق يتضح لنا أنّ توهين كيد الكافرين سبب من أسباب النصر للمؤمنين وهزيمة الكافرين في كل زمان ومكان ، فمهما دبروا وخططوا ضد المسلمين ، ومهما جهزوا وأعدوا من إعداداتهم فالهزيمة تلحق بهم ، حيث قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً** ﴾ [الطارق : **15 – 17**] فالتوهين والضعف والخذلان لهم من تدبير رب العالمين ، فكما أوهن كيدهم وخذلهم في **بدر** فهو أيضًا يُوهن كيدهم في كل زمان، ومكان وهذا ما لمسناه على أرض معركة الفرقان في غزة ، فلقد دبر اليهود وجهزوا للقضاء على المسلمين ، ولكن هيهات هيهات فالله موهن كيدهم فما أن مضى أقل من شهر إلا وبدأت قوتهم تضعف وبدؤوا في طلب المصالحة وتدخل الدول العربية واضطروا للانسحاب من أرض غزة ، فهذا إن دل فإنما يدل على أنّ القوة والعدة والعتاد ليس شرطًا في تحقيق النصر إذا سُلبت معية الله ﷻ ، كيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿ **ذلكم وأنّ الله موهن كيد الكافرين** ﴾ حيث أكدت على أنه سبحانه لا غيره مُضعف كيدهم وتدبيرهم وهازمهم وناصر عباده المؤمنين ؟ رغم كثرة عدد الشهداء والجرحى .

---

1. في ظلال القرآن : 3 / 1490 – 1491 .
2 . انظر : معالم الجهاد الحربي : 1 / 350 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب التاسع : التقليل والتكثير في الأعين :

إنّ التقليل والتكثير في الأعين من النعم التي امتن الله بها على عباده المؤمنين في غـزوة بدر ، حيث قال تعالى : ﴿ **إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَـكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ** * ﴾ [الأنفال : 43 – 44] ، والمراد " أنّ التقليل الذي حصل في النوم تأكد ذلك بحصوله في اليقظة " [1].

قال مقاتل : (وذلك أنّ النبي رأى في المنام أنّ العدد قليل قبل لقاء العدو وأخبر أصحابه بما رأى ، فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين في أعين المؤمنين ، قال ابن مسعود – رضي الله عنه – : لقد قللوا في أعيننا حتى قُلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين ؟ قال أراهم مائة ، فأسرنا رجلاً ، فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفًا " . [2] ففي الآية السابقة يخاطب الله ﷻ نبيه محمدﷺوالمؤمنين معه أن يذكروا الوقت الذي التقى فيه الجمعان فأراهم فيه عدوهم قليلًا ليجترئ كل منهما على الآخر .

وليس في ذلك تعارضٌ مع الآية الكريمة : ﴿ **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ** ﴾ [آل عمران : 13] ؛ لأنّ المعنى هنا أنّ الفئة الكافرة ترى الفئة المؤمنة مثلي عدد الكافرة ، حيث عندما التحم الصفان أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا فاستدرجهم أولاً بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلاً ، ثم أيد الله المؤمنين بنصره فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا ولهذا قال سبحانه : ﴿ **وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾[3] .

ولقد تحققت رؤيا النبي ﷺ حقًا ، وهذا ما دفع أبا جهل إلى أن يقول : (إنما أصحاب محمد أكلة جزور ...) [4] والمعنى " أنّ عددهم قليل ويكفيهم جزور واحد في اليوم ويشبعهم لحم ناقة "[5] .

---

1 . التفسير الكبير : الرازي ، 15 / 170 ، و التفسير المنير : الزحيلي ، 9 / 20 .
2 . انظر : معالم التنزيل : البغوي ، 2 / 637 ، دار الفكر .
3 . انظر : صفوة التفاسير : الصابوني ، 1 / 507 ، والتفسير المنير : الزحيلي ، 9 / 18 ، والأساس في السنة وفقهها :سعيد حوى ، 1 / 460 – 461 ، ط 1 ، 1409 هـ – 1989 م ، دار السلام .
4. سيرة ابن هشام : 2 / 235 ، وانظر التفسير المنير : الزُحيلي ، 9 / 18 .
5. التفسير المنير : الزحيلي ، 9 / 18 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحكمة من التقليل في الأعين هو ما يلي :

1 . التقليل الأول : تصديقًا لرؤيا النبي ﷺ، وتقوية المؤمنين وازدياد جرأتهم عليهم ، حتى يعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدّوا ويثبتوا ، ويجترئوا عليهم قِلة مبالاة بهم ثم تفجؤهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتقل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في الحسبان والتقدير .

2 . أما التقليل الثاني : وهو أنّ المشركين عندما استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب وأخذ الحيطة والحذر وأقدموا على القتال غير خائفين ، ثم يرونهم كثيرًا فيفشلوا ، وتكون الدائرة عليهم ويحل عليهم عذاب الله وتكون الغلبة للمؤمنين عليهم ، فيعز الله بذلك الإسلام ويذل الكفر والشرك وأهله . [1] وبالفعل تحقق ما أراده الله ﷻ من تقليل المسلمين في أعين المشركين والعكس ، حيث اجترأ الصفان ووقعت الواقعة ، فالله – **سبحانه وتعالى** – إذا أراد شيئًا يسرّ له الأسباب ووفر له الدواعي، والذي يؤكد على تحقيق ذلك قوله تعالى في سياق الآية : ﴿ **لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً** ﴾ حيث تحقق ما أراده من نصر جنده وهزيمة الباطل وحزبه ، ولقد كانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى . [2] أما عن عدم تكثيرهم في أعين المسلمين فهذا في قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ حيث لم يُرهم العدد كثيرًا فلو سمعوا بذلك لأدى إلى الفشل والتنازع واضطراب أمرهم واختلاف كلمتهم وجبنوا وخافوا ، ولكنّ الله سلمهم من هذه المخالفة فيما بينهم بما أراه الله للنبي في منامه من الرؤيا ، فهو عليم بما تخفيه الصدور [3] .

مما سبق يتضح لنا أنّ التقليل في الأعين سبب من الأسباب الإلهية التي أمد الله بها عباده المؤمنين في **غزوة بدر** ، فلقد كانت كل فئة ترى نظيرتها قليلة العدد وهذا ما أراه الله لنبيه في الرؤيا ، ثم تحقق في اليقظة كما رأى النبي في المنام ، ولم يشأ الله أن يُريهم العدو كثير العدد حفاظًا على الروح المعنوية لدى القِلة المؤمنة ، إذ لو رأوهم كثيرًا لفشلوا وتنازعوا ، ولكن بقي الأمر على أن يُري كل فريق قليلاً أمام الآخر ، وبذلك تحققت الحكمة الإلهية من وراء هذه المنحة الربانية ألا وهي تحقيق النصر والظفر للمسلمين والخزي والذل والهزيمة للمشركين ، كيف لا وكل أمرٍ من عنده ، والنصر كله بيده ﷻ ، ومتى قدّر له الأسباب الجالبة حققه بما شاء وكيف شاء **سبحانه العلي القدير المتعال** ؟ .

---

1. انظر: فتح القدير : الشوكاني ، 2 / 401 ، والكشاف : ، 2 / 421 ، والتفسير الكبير : الرازي ، 15 / 170 ، والتفسير المنير : الزحيلي، 9 / 18 – 21، ومدارك التنزيل : 415 ، ومحاسن التفسير : 8 / 3009 .
2. انظر : صفوة التفاسير : 1 / 507 – 508 ، والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة : د. محمد أبو شهبة ، 2 / 136 ، دارالقلم.
3. انظر: جامع البيان : م 6 ، 10 / 16 ، والتفسير الكبير : 15 / 169 ، والتربية الجهادية : 1 / 96 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : *أسباب هزيمة الكثرة الكافرة .*

المطلب الأول : الأسباب البشرية للهزيمة .

وفيه مطلبان :

أولًا : الكفر .

ثانيًا : المعاصي .

المطلب الثاني : الأسباب الإلهية للهزيمة .

وفيه مطلبان :

أولًا : تأييد الضعفاء بأسباب النصر .

ثانيًا : كتابة الهزيمة عليهم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : أسباب هزيمة الكثرة الكافرة :

المطلب الأول : الأسباب البشرية للهزيمة :

أولاً : الكفر .

يعدّ الكفر سببًا من الأسباب البشرية للهزيمة ؛ حيث إنه ما قاتل المسلمون عدوهم وانتصروا عليه إلا لكونه كافرًا ، ولقد تحدثنا في المبحث الثاني من الفصل الأول عن الكفر كصفة من صفات الكثرة الكافرة وكيفية إلحاق الهزيمة بهم نظرًا لكفرهم ، وبينا معنى الكفر لغة واصطلاحًا ، ووضحنا كون الكفر صفة من صفات الكثرة الكافرة ، وكيفية هزيمتهم بسبب كفرهم (1) والذي يؤكد على أنّ الكفر سبب للهزيمة قوله تعالى : ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾ [آل عمران : 12] ،فهذه الآية تدلل صراحة على أنّ الكفر سبب للهزيمة والمعنى فيه إخبار للنبي ﷺأن يُبلغ اليهود وجميع الكفار أنهم يهزمون في الدنيا ويجمعون ويساقون إلى جهنم يوم القيامة . (2) ونستدل في هذا المقام بقوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر : 4] حيث يبين الله ﷻ أنّ مَنْ يخالف أوامره ويعادي دينه ويعصي ويرتكب الجرائم وينقض العهود في حق رسوله فإنّ الله ينتقم منه لأنّ عذابه شديد وعقابه أليم (3) .

وهذه الآية تبين كفر بني النضير وكيفية هزيمتهم بإجلائهم عن المدينة .

يقول سيد قطب عن ذلك : " وهكذا تستقر في القلوب حقيقة مصائر المشاقين لله في كل أرض وفي كل وقت من خلال مصير الذين كفروا من أهل الكتاب ، وما استحقوا به هذا العقاب " (4).

ومما يؤكد لنا أنّ الهزيمة كانت مصيرهم قول الله تعالى : ﴿ **مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [الحشر : 5] ، حيث كفروا بدين الله ﷻ وبما جاء به محمدٌ وتلك الهزيمة كان اليهود ينتظرونها ويتوقعونها ، وتلك الآية تبين لنا كيفية التنكيل بهم ، كما أنه يعبئ شعور المسلمين تعبئة روحية تطمئن لها قلوبهم فيما فعلوا معهم وفيما حل بهم من نكال وعذاب على أيديهم ، حيث قطع المؤمنون نخيلهم وحرقوه .

---

1 . راجع الفصل الأول المبحث الثاني صفات الكثرة الكافرة ، ص 52 – 68 .
2 . انظر : صفوة التفاسير : الصابوني ، 1 / 188 .
3 . انظر : المرجع السابق ، 3 / 349 .
4 . الظلال : 6 / 3522 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبين سيد قطب أنّ الله ﷻ تولى بيده هذه الموقعة وأراد فيها ما أراد وأنفذ فيها ما قدره ، وكل ما وقع من هذا بإذنه ، حيث أراد به أن يخزي الفاسقين ، وقطع النخيل يخزيهم بالحسرة على قطعه وتركه يخزيهم بالحسرة على فوته ، وبالتالي تستقر قلوب المؤمنين المتحرجة وتشفى صدورهم مما حاك فيها وتطمئن إلى أن الله هو الذي أراد وهو الذي فعل . [1]

قلت : وبذلك تمت هزيمتهم في بني النضير بسبب إصرارهم على الكفر وعلوهم ومشاقتهم لله ورسوله . وإنّ ما حدث في غزوة **أحد** يبين كيف أُلحقت الهزيمة بالكفار لكونهم كفارًا حيث أخذت صفوفهم تتبدد عن اليمين والشمال والأمام والخلف كأنّ ثلاثة آلاف مشرك يواجهون ثلاثين ألف مسلم لا بضع قلائل . ويصور صاحب الرحيق المختوم مشهد الهزيمة وذلك بعد أن بذلت قريش أقصى جهدها لسد هجوم المسلمين أحست بالعجز والخور ، وانكسرت همتها حتى لم يجترئ أحد منها أن يدنو من لوائها الذي سقط ، ثم أخذت قريش في الإنسحاب ولجأت إلى الفرار ونسيت ما كانت تسعى إليه من أخذ الثأر والانتقام وإعادة العز والمجد والوقار ، فكان أن أنزل الله النصر على المسلمين وصدقهم وعده الذي وعدهم إياه فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها [2].

وقصة طالوت وجالوت ليست ببعيدة عن ذلك حيث قال تعالى : ﴿ **وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة : 250 – 251] ، حيث إنه لما واجه حزب الإيمان وهم قليل من أصحاب طالوت لعدوهم أصحاب جالوت هم عدد كثير طلبوا من الله ﷻ أن يلهمهم الصبر ويثبت أقدامهم عند لقاء الأعداء وأن يجنبهم الفرار والعجز فغلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم . و ذلك بعد أن استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوهم لكثرتهم فشجعهم علماؤهم العالمون بأن وعد الله حق فإنّ النصر من عند الله ليس عن كثرة عدد ولا عُدد ولهذا قال تعالى : ﴿ ... **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [سورة البقرة : 249] [3] حيث إنّ الله ﷻ هزمهم رغم كثرة عددهم لكونهم كفارًا ، ولِمَ لا ؟ وقد قال الله ﴿ **وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ أي هم جالوت وجنوده ، فعقب

---

1. انظر : في ظلال القرآن : سيد قطب ، 6 / 3522 – 3523 .
2. انظر : الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركفوري ، 277 .
3. انظر : مختصر تفسير ابن كثير : اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ، 1 / 225 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد ذلك بقوله : ﴿ **فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّـهِ** ﴾ أي الهزيمة بسبب كفرهم كانت بأمر الله وإرادته ، ومن مظاهر الهزيمة قتل داود جالوت حيث اختاره طالوت لمقاتلة جالوت فقتله . [1]

ويقول سيد قطب معقبًا على قصة طالوت وجالوت ومؤكدًا على كون الهزيمة من الله ﷻ وقدره " وهنا يُمضي الله أمره وينفذ قدره ويجعل كلمة الحق والخير والصلاح هي العليا ، ويجعل حصيلة الصراع والتنافس والتدافع في يد القوة الخيرة البانية التي استجاش الصراع أنبل ما فيها وأكرمه ، وأبلغها أقصى درجات الكمال المقدر لها في الحياة . ومن هنا كانت الفئة القليلة المؤمنة الواثقة بالله تغلب في النهاية وتنتصر، ذلك أنها تمثل إرادة الله العليا في دفع الفساد عن الأرض وتمكين الصلاح في الحياة ، إنها تنتصر ؛ لأنها تمثل غاية عليا تستحق الانتصار " [2] .

ومما يستفاد من قصة طالوت وجالوت إنّ الفئة القليلة قد تغلب بالصبر والثبات وطاعة القادة الفئة الكثيرة التي أعوزها الصبر والاتحاد مع طاعة القواد ؛ لأنّ النصر مع الصابرين ، أي جرت سنته بأن يكون النصر أثرًا للثبات والصبر ، وإنّ أهل الجزع والجبن هم أعوان لعدوهم على أنفسهم وهذا مشاهد في كل زمان [3] .

" وبعد فإنّ المحارب المسلم (عربيًا كان أو غير عربي) لا سبيل له يصل به إلى تحقيق الانتصارات الحاسمة على عدوه إلا بالتزام عقيدة الإسلام وعلى المستوى الذي التزم به رجال مؤتة واليمامة واليرموك والقادسية " [4] .

فالنصر والهزيمة لم يأتيا كمصادفة عابرة أو فلتة عارضة ، أن ينصر الله العصبة المؤمنة على العصبة الكافرة إنما ذلك لأنهم شاقوا الله ورسوله [5] .

إذن مما سبق يتضح لنا :

أنّ الهزيمة ما لحقت ببني النضير وما لحقت بجالوت ومن معه ، وما حل بالكافرين في أُحد إلاّ لكونهم كفارًا ، فكان الكفر السبب الأول للهزيمة دون الغرر والخداع بالعدد ، فالعدد ليس شرطًا إذا سُلب الإيمان ، وسلبت المعية الإليهة فبالكفر سُلب النصر ونزلت الهزيمة بالكافرين .

---

1 . انظر : فتح القدير : الشوكاني ، 1 / 333 .
2 . الظلال : 1 / 270 – 271 .
3 . انظر : فقه التمكين في القرآن الكريم : عليّ محمد الصلابي ، 67 ، ط 1 ، 1421 – 2001 م .
4 . غزوة مؤتة : محمد أجمد باشميل ، 399 – 400 ، ط 2 ، 1394 هـ – 974 م .
5 . انظر : الظلال : سيد قطب ، 3 / 1486 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا : المعاصي :

لقد تحدثنا سابقًا عن صفات الكثرة الكافرة ، وذكرنا المعاصي التالية : العدوان والفساد والطغيان والفسق و... ، والتي كل معصية منها سبب لإلحاق الهزيمة بأصحابها حتى ولو جيّش أصحابها الجيوش لمقاتلة الطرف الآخر .[1] وكما بينا في غير موضع أن لا نتكل على القوة وكثرة العدد والعدة ، وقصة طالوت وجالوت التي بيناها فيما سبق خير دليل على ذلك حيث قال تعالى : ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [سورة البقرة : 249] ، بيّن سيد قطب أنّ الفئة المؤمنة القليلة المختارة برزت أمام الفئة الكثيرة وتلك هي القاعدة في الذين يوقنون أنهم ملاقو الله ، فالفئة المؤمنة القليلة هي التي ترتقي الدرج الشاق حتى تنتهي إلى مرتبة الإصطفاء والاختبار ولكنها تكون الغالبة؛ لأنها تتصل بمصدر القوي ؛ ولأنها تمثل القوة الغالبة قوة الله الغالب على أمره ، القاهر فوق عباده ، محطم الجبارين ، ومخزي الظالمين وقاهر المتكبرين ، فلقد كانت الفئة واثقة بأنّ النصر من الله ﷻ بإذنه ، فعندها الثقة العظيمة بأنّ الله مع الصابرين ، فهي لم تزلزلها كثرة العدد وقوته مع ضعفها وقلتها وهي لم تتكل لقوتها البتة ، بل أوكلت الأمر إلى الله فكانت الهزيمة منه ﷻ لأولئك الكافرون[2] .

ويقول تعالى : ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** ﴾ [المائدة :49] ، فهذه الآية تدلل على المعصية وأن الله يعاقب العاصين ببعض إجرامهم ؛ حيث إنّ كثيرًا منهم خارجون عن طاعة الله مخالفون للحق منهمكون في المعاصي[3] .

وإنّ ما يصوره حال المسلمين يوم حنين ينسجم مع هذا المقام حيث قال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴾ [التوبة : 25] ، حيث في غزوة حنين فاق عدد المسلمين عدد المشركين مما أدى إلى تسلل العجب إلى قلوبهم حتى صرحوا به فأتوا من قبل هذه المعصية ، ووقعت عليهم الهزيمة بسببها ففروا وولوا مدبرين لا يلوي أخ على أخيه ولم ينفعهم عددهم الإثنا عشر ألفًا ولم يُغن عنهم من الله شيئًا[4] .

---

1 . راجع صفات الكثرة ص 52 – 68 .

2. انظر : في ظلال القرآن : سيد قطب ، 1 / 269 . ، وانظر مختصر ابن كثير : 1 / 225 .

3. انظر : صفوة التفاسير : محمد الصابوني ، 1 / 347 .

4. انظر : الكشاف : الزمخشري ، 2 / 438 ، ومعالم الجهاد الحربي : جمال الهوبي ، 1 / 320 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويؤكد الدكتور جمال الهوبي نفس المعنى فيقول : " يجب على المجاهدين البعد عن المعاصي ما أمكن حتى يكونوا في منأى عن الهزيمة التي تسببها تلك المعاصي ، فيجب على المجاهدين أن يبتعدوا عن الخمر ، والزنا، والسرقة ، والكبر ، والتشاقق والتنازع ومعصية الأمـراء والقـادة والظلم والغيبة والنميمة ... الخ من المعاصي . فإذا صاروا بهذه الحال من التقوى والبعد عـن المعاصي فإنّ الله سبحانه سينظر إليهم بعين رحمته ويبعد عنهم شبح الهزيمة إذا شـاء تكرمًـا وتفضلاً منه " [1] .

إذن مما سبق يتضح لنا أنّ المعاصي السابقة كلها سبب للهزيمة وأنّ المؤمن الصادق مع الله لا يتكل إلى قوته ، بل يكل أمره كلـه لله ﷻ وأنّ النـصر مـن عنـده والهزيمـة بتقـديره . فالعدد أو العدة ليس مصدر النصر فالمعصية تسبب الهزيمة حتى لو كانوا على قدر كبير مـن التجييش .

المطلب الثاني : الأسباب الإلهية للهزيمة :

أولًا : تأييد القِلة المؤمنة بأسباب النصر :

كما سبق وبينا في المبحث السابق أنّ الله ﷻ يؤيد عباده المؤمنين بأسباب مـن عنـده للنصر ، واقتصرنا أيضًا في المبحث الثاني من هذا الفصل على تلك الأسباب الإلهية التي أيد الله بها عباده المؤمنين في غزوة بـدر وهـي (معيـة الله – الإمـداد بالملائكـة – المطـر – النعاس ... الخ) ووضحنا بأنّ تلك الأسباب الإلهية كانت سببًا لنصر المؤمنين وسببًا لهزيمـة الكافرين وكيفية تأييد الله ﷻ بها عباده في كل زمان ومكان ومتى تتطلب الحاجة لذلك ، حيـث ألقينا النظرة على بتلك الأسباب وعلى ما حدث حول **معركة بدر** ، وما شابه ذلك مما حدث على أرض غـزة فـي معركـة الفرقـان وكلهـا أسـباب لتحقيـق النـصر للمـؤمنين وتقـدير الهزيمـة علـى الكـافرين ، حيـث قـال تعـالى : ﴿ **وَمَـا النَّـصْرُ إِلاَّ مِـنْ عِندِ اللّهِ** ﴾ [الأنفال : 10] ، فـإذا كـان النـصر مـن عنـده للمـؤمنين فالهزيمـة أيـضًا بتقديره – **جل وعلا** – . [2]

1. معالم الجهاد الحربي : 1 / 321 .

2 . راجع المطلب السابق الأسباب البشرية لهزيمة الكثرة : 141 – 145 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا : كتابة الهزيمة على الكافرين :

إنّ عقيدة القضاء والقدر أمر مسلم به ، وركنٌ من أركان الإيمان الستة ، حيث قال رسولنا ﷺ مخبرًا عن أركان الإيمان عندما سأله جبريل عن الإيمان فقال : **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)** [1] .

وإنّ مما يجب التسليم به أنّ كل شيء يحدث من الهزيمة والنصر بإذن الله وبقدره وتقديره حيث قال تعالى مخبرًا عن هزيمة جالوت ﴿ **فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ** ﴾ [سورة البقرة : 251] ، " أي بأمره وإرادته " [2] .

ولقد قال الله ﷻ في كتابه ﴿ **الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ *** ﴾ [الروم : 1 – 4] فالشاهد في هذه الآية قوله : ﴿ **لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ** ﴾ " أي هو المتفرد بالقدرة ، وإنفاذ الأحكام وقت مغلوبيتهم ، ووقت غالبيتهم ، فكل ذلك بأمر الله – **سبحانه** – وقضائه " [3] . والذي يؤكد على نفس المعنى قوله تعالى : ﴿ **قُلْ كُلًّ مِّنْ عِندِ اللّهِ** ﴾ [النساء : 78] حيث بين الطبري معنى الآية : أي قل يا محمد لهؤلاء كل شيء من عند الله فالرخاء والشدة والنصر والظفر والقتل والهزيمة فكل شيء من عنده سبحانه . [4]

وحول بيان أنّ الهزيمة بقدره سبحانه يقول د . جمال الهوبي : " إنّ الهزيمة من عند الله وبإذنه وقدره وحكمه وعلمه وإرادته ومشيئته يهزم من شاء أمام من شاء ، وإنه إذا قدرها على قوم فلا مناص لهم عنها ، وهذه عقيدة يجب على المجاهد أن يعتقدها قبل خروجه للجهاد ، وعليه أن يستحضرها ويُذكر بها نفسه دائمًا ، وهذا ما يطمئن قلبه ويهدئ روعه ، ويريح نفسه ، ويثبت قدميه ويجعله يُسلّم لله أمره ، ويجعله يعتقد ويتيقن أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له وقدره عليه ، وأنه لن يخرج عن إرادته وقدره وقضائه قيد أنملة أو دون ذلك " [5] .

---

1 . صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجود الإيمان بإثبات قدر الله ، ص 27 ، ح 8 .

2. فتح القدير : الشوكاني ، 1 / 333 .

3 . المرجع السابق : 4 / 267 .

4. انظر : جامع البيان : 4 / 177 . ط 2 .

5. معالم الجهاد الحربي : د. جمال الهوبي ، 1 / 318 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد قــالﷺ: (**اللهــم منــزل الكتــاب ومجــري الــسحاب وهــازم الأحــزاب ، اهــزمهم وانصرنا عليهم**) [1] .

فالقلة المسلمة تغلبت على الكثرة في قوتها الهائلة التي يتفوقون عليهم فــي الــسلاح والعلــوم والفنون العسكرية ، وغادرت ميدان المعركة تاركة عدوها فــي حالــة الفــشل والفوضــى ، والاضطراب هو عين الهزيمة الساحقة . [2]

إذن، خلاصة القول فيما سبق أنّ الهزيمة من الله ﷻ وبتقديره وأنه وحده الذي يُــسأل بــإنزال الهزيمــة علــى الأعــداء . وهــو الــذي يكتــب الهزيمــة علــى مــن يــشاء ، ألــيس هو القائل : ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَـا وَرُسُـلِي إِنَّ اللَّـهَ قَـوِيٌّ عَزِيـزٌ** ﴾ ؟ [المجادلـة : 21] .

---

1. سبق تخريجه في ص 119 .

2. انظر : غزوة مؤتة ، الكتاب السابع من معارك الإسلام الفاصلة : محمــد أحمــد باشــميل ، 401 ، ط 2 ، 1394 هـ - 974 م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ *الفصل الرابع :*

"*نتائج انتصار القِلة المؤمنة وهزيمة الكثرة الكافرة* "

وفيه مبحثان :

<u>المبحث الأول</u> : نتائج انتصار القِلة المؤمنة .

<u>المبحث الثاني</u> : نتائج هزيمة الكثرة الكافرة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول : نتائج انتصار القِلة المؤمنة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التمكين لدين الله وللقِلة المؤمنة في الأرض .

المطلب الثاني : إفساح المجال للناس للدخول في دين الله أفواجًا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

نتائج انتصار القلِة المؤمنة وهزيمة الكثرة الكافرة

مدخل الفصل :

بعد الحديث عن أسباب والنصر والهزيمة ودوافعهما كان لا بد أن يكون لأي حرب من الحروب نتائج، وخاصة بعد أن خاض كل فريق الحرب وجهز لها، وهذا ما سيتم تفصيله في هذا الفصل ،ولكن ننوه هنا إلى أنّ كلاً من نتائج الإنتصار والهزيمة متعلقان ببعضهما البعض ، فنتائج انتصار القلِة تشمل بداخلها هزيمة الكثرة ، ونتائج هزيمة الكثرة تشمل بدورها انتصار القلِة ، وإليك البيان في ذلك :

المبحث الأول : نتائج انتصار القلِة المؤمنة :

المطلب الأول : التمكين لدين الله وللقلِة المؤمنة في الأرض.

يعدّ التمكين في الأرض نتيجة من نتائج انتصار القلِة المؤمنة ، فهو مهمة صعبة لمن استخلفه الله ﷻ ؛ لأنه يجب عليه أن يقوم به على أكمل وجه ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [النور : 55] ، فهو وعد من الله ﷻ لمن آمن بالله وعمل الأعمال الصالحة بالاستخلاف في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم من الأمم ، وهذا وعدٌ يعم جميع الأمة فوعدهم أن يجعلهم فيها خلفاء يتصرفون فيها تصرف الملوك في ممالكهم كما استخلف من قبلهم من الأمم السابقة ، وأن يجعل الدين ثابتًا مقررًا ويوسع لهم في البلاد ويظهر دينهم على جميع الأديان . ولمّا ذكر الاستخلاف ، وهو جعلهم ملوكًا ثم ذكر التمكين ، أفاد أنّ هذا الملك على وجه الاستقرار والثبات بحيث يكون الملك لهم ولعقبهم من بعدهم [1] .

---

1 . انظر : فتح القدير : الشوكاني ، 4 / 58 – 59 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول سيد قطب : " وتمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب كما يتم بتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها " [1] .

ولقد أشارت الآية السابقة إلى شروط التمكين ،وهي : " الإيمان بكل معانيه وبكافة أركانه ، وممارسة العمل الصالح بكل أنواعه والحرص على كل أنواع الخير وصنوف البر وتحقيق العبودية الشاملة ومحاربة الشرك بكل أشكاله وأنواعه وخفاياه ، وأما لوازم استمرار التمكين فهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسولﷺ " [2] . وبين في موضع آخر أنّ الله ﷻ قدّر لدينه أن ينتصر وللمسلمين أن يُمكَّنوا ، وللمشركين أن ينهزموا فكان قدره مكتوبًا لعباده المؤمنين بالنصر والتمكين في الأرض . [3]

ومن أسباب التمكين إعداد الأفراد الربانيين والقيادة الربانية ومحاربة أسباب الفرقة ، وكذلك الإهتمام بالتخطيط والإدارة والقوة الاقتصادية ، والإعداد الإعلامي [4] .

قلت : والتمكين آخر الزمان يكون للفئة المؤمنة الغريبة التي تقيم شرع الله ﷻ حيث قالﷺ: **(بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء)** [5] .

وهذا التمكين والاستخلاف لا يأتي من فراغ ، بل له مرتكزات يرتكز عليها ، حيث قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾ **[الحج : 41]** ، " هؤلاء الذين يستحقون نصرة الله هم الذين عن جعلنا لهم سلطانًا في الأرض وتملكًا واستعلاء عبدوا الله وحافظوا على الصلاة وأداء الزكاة ... " [6].

وفي هذه الآية دليل على صحة استخلاف الخلفاء الراشدين ؛ لأنّ الله ﷻ لم يعط التمكين في الأرض ، ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة ، غيرهم من المهاجرين . وكذلك فيها تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم . [7]

---

1. الظلال : سيد قطب ، 4 / 2529 .
2 . فقه التمكين في القرآن الكريم أنواعه – شروطه – أسبابه مراحله وأهدافه : د. عليّ محمد الصلابي ، 157 ، ط 1 ، 1421هـ – 2001 م ، دار الوفاء .
3. انظر : المرجع السابق : 210 .
4. انظر: المرجع السابق : 496 – 497 .
5. صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان أنّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنه يأرز بين المسجدين ، ص 72 ، ح 145 .
6. صفوة التفاسير : الصابوني ، 2 / 292 .
7. انظر : الكشاف : الزمخشري ، 3 / 755 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا الحديث الشريف يسوقنا لما حدث مع الأنبياء السابقين ،حيث أورثهم الله ﷻ الأرض من بعد أقوامهم الظلمة ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ** ﴾ [إبراهيم : 13 – 14] ، بينت هذه الآيات ما جرى من محاورات ومناورات بين الرسل وأقوامهم ، وتوعد الكفار للرسل بطردهم من الديار أو الرجوع لدين الشرك ، ولكن انتهت بإهلاك الظالمين ومنح سكنى الأرض بعد هلاكهم للرسل الذين نصرهم الله عليهم [1] .

ولقد أخبر الله ﷻ عن قوم موسى كيف ورثوا الأرض بعد فرعون الطاغية ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ** ﴾ [الأعراف : 137] ، فوضحت هذه الآية أنّ الله ﷻ أورث الأرض لبني إسرائيل الذين كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام ، وتلك الأرض هي أرض فلسطين الموعودون بها ، وتمت كلمة الله ﷻ بإهلاك عدوهم واستخلافهم ، وما ذلك إلا لكونهم صبروا واحتسبوا أمرهم لله ففرج عنهم . [2] وقال سبحانه في موضع آخر : ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾ [القصص : 5 – 6] ، فتفضل الله ﷻ عليهم بعد أن كانوا مستضعفين وجعلهم قادة في الخير ودعاة إليه وولاة على الناس وملوكًا فيهم ، وجعلهم وارثين لملك فرعون ومساكن القبط وأملاكهم فيكون ملك فرعون فيهم ويسكنون في مساكنه ومساكن قومه وينتفعون بأملاكه وأملاكهم فأراد الله أن يجعلهم مقتدرين عليها وعلى أهلها مسلطين على ذلك يتصرفون به كيف شاؤوا عندها رأى فرعون ومَنْ معهم ما كان يحذر ويخاف من ذهاب ملكه على يد مولود من بني إسرائيل ألا وهو موسى عليه السلام [3] .

هذا وإنّ مَنْ يستخلفه الله ﷻ في الأرض ينبغي أن يكون تقيًا حذرًا في استخلافه **مما تفتتن به النفس البشرية الضعيفة ، حيث قال رسول الله ﷺ : (إنّ الدنيا حلوة خضرة ، وإنّ**

---

1. انظر : صفوة التفاسير : الصابوني ، 2 / 89 – 93 ، والكشاف : الزمخشري ، 2 / 577.
2. انظر : الأساس في التفسير : سعيد حوى ، 4 / 1983 .
3. انظر : فتح القدير : الشوكاني ، 4 / 198 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ؟ فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإنّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) [1] .

و " يعتبر التمكين في الأرض منة من الله ﷻ على عباده لما فيه من سيطرة وهيمنة على متطلبات الحياة من المطعم والمشرب والملبس والقوة والمنعة ، ولعل أكثر ما يفهم من معنى التمكين الوارد في كتاب الله هو العلاقة السليمة التي تربط بين الإنسان والأرض من حيث استعمارها والاستفادة من السنن الكونية المرعية فيها وتسخيرها لخدمة الأمة الإنسانية بصورة واضحة لا ظلم فيها ولا استغلال ولا احتكار ولا كفر ولا عدوان " [2]. يقول سعيد حوى : " مرحلة الامتحان للمؤمنين ستمر ، ومرحلة الإمداد للكافرين ستنتهي إذا شاء الله ،وستكون العاقبة للمؤمنين ، وسيكونون هم المنتصرين بإذن الله والوارثين والتاريخ شاهد " [3] .

ولقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم لنا بعض الأشخاص الذين مكن لهم في الأرض، ومنهم سيدنا داود – عليه السلام– ، حيث قال تعالى : ﴿ **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ *** ﴾ [ص : 18 – 20] ، ففي قوله (**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ**) قويناه وثبتناه بالنصر في المواطن على أعدائه ، وإلقاء الرعب في قلوبهم ، وكذلك لكثرة الجنود ، حيث إنه لم ينهزم أبدًا في أي معركة من المعارك . [4] ولقد مكن الله ﷻ لسيدنا سليمان من بعده ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ *** ﴾ [سبأ : 12 – 13] والمعنى أن الله سخر الريح لسليمان ، وجعل غدوها شهرًا ورواحها يستغرق شهرًا كذلك وفق مصلحة تحصل من غدها ورواحها ويدركها سليمان ،

---

1 . صحيح مسلم : كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ، ص 1155 ، ح 2742 ، وانظر البداية والنهاية : أبي الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، 6 / 238 ، ط 1 ، 1416 هـ – 1996 م ، دار أبي حيان .

2 . التمكين في الأرض : فؤاد سرطاوي من بحوث المؤتمر الخامس لكلية الشريعة بجامعة الزرقاء الأهلية ، السنن الإلهية في الكتاب والسنة ، 229 ، تحرير :جمال أبو حسان ، أنور الشلتوني ، 1424هـ – 2003 م .

3. جند الله ثقافة وأخلاقًا : سعيد حوى ، 251 ، 1418 هـ – 1998 م ، دار السلام .

4.انظر: فتح القدير : الشوكاني ، 4 / 530 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويحققها بأمر الله [1] .

ولقد أخبر الله ﷻ عن ذي القرنين أنه مكن له في الأرض ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً** * ﴾ [الكهف : 83 – 84] ، وإنّ " الحكم والسلطان والتمكين في الأرض ينبغي أن يسخر لتنفيذ شرع الله في الأرض وإقامة العدل بين العباد ، وتيسير الأمر على المؤمنين المحسنين ، وتضييق الخناق على الظالمين المعتدين ، ومنع الفساد والظلم ، وحماية الضعفاء من بطش المفسدين " [2] .

ولقد بشر الله ﷻ الأمة المحمدية بالتمكين لها ولدينها في الأرض قال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [الصف : 9] حيث أرسل رسوله بالملة الحنفية ليعليه على جميع الأديان المخالفة له ، ولقد فعل ذلك فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب ومقهور بدين الإسلام . [3] " تبشرنا هذه الآية الكريمة بأنّ المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها ، وقد يظن بعض الناس أنّ ذلك قد تحقق في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين ، وليس كذلك ، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق " [4] . وتأكيدًا لذلك فإننا نذكر بحديث رسولنا محمد ﷺ حيث قال : (**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى** ، فقالت عائشة : يا رسول الله : إن كنت لأظن حين أنزل الله ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ... الآية السابقة** ﴾ أنّ ذلك تام ، قال : **إنه سيكون من ذلك ما شاء الله**) [5] . والذي يؤكد على بلوغ الأمر مشارق الأرض ومغاربها ، قوله ﷺ : عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (**إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإنّ أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها**) [6].

ولقد تحقق من ذلك وما زال في استحضار تلك الصورة ، ووصل ملك المسلمين إلى جنوب

---

1 . انظر :الظلال : سيد قطب ، 5 / 2898 ، وفقه التمكين : عليّ الصلابي ، 131 .

2. فقه التمكين : عليّ الصلابي ، 139 .

3. انظر : الكشاف : الزمخشري ، 4 / 1245 .

4. تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين : د. سيد بن حسين العفاني ، 93 ، تأكد منها ،ط 2 ، 1422هـ – 2002 م ، نشر مكتبة معاذ بن جبل ، توزيع دار العفاني .

5. صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة ، ص 1218 ، ح 2907 .

6. صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، ص 1211 ، ح 2889 ، (زوى : أي جمع وضم) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

باريس ، وجبال الصين ، وأندونيسيا وجزر الملايو ، والفلبين ووسط أفريقيا ، وهو بالغ بإذن الله ما هو أوسع من ذلك مما قد لا يتصوره يائس متواكل هدّه الواقع يرضى بالحجور وكأنه قد سئم حياة النسور . [1] ومن ضمن التمكين ظهور من يجدد الدين ويحييه ، حيث قالﷺ : (**إنّ الله ﷻ يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها**) [2] .ولقد بشر النبي ﷺ بوجود الطائفة المنصورة والي تقيم الدين ، فعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**) [3] . وعن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أنّ رسول الله قال ﷺ : (**بشر هذه الأمة بالنصر والسناء والتمكين فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب**) [4] . ولقد أكد النبيﷺ على أنّ الخلافة مستمرة إلى قيام الساعة ، حيث قال : (**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكًا عاضًا فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**) [5] . " وفي هذا الحديث يستعرض النبي ﷺ التاريخ المقبل للأمة الإسلامية من لدن نبوته ﷺ إلى آخر الزمان ويستشف من هذا الحديث أنّ هناك فترة مقبلة في حياة المسلمين يستظلون فيها بخلافة راشدة على منهاج النبوة وتزول فيها الغربة التي يعانيها الإسلام وتعود فيها الأمة للتمكين " [6] .

خلاصة القول فيما سبق : أن الله ﷻ يُمكن لدينه في الأرض ولعباده المؤمنين الذين يقومون بشروط التمكين على أكمل وجه من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ... الخ ، وأنّ الخلافة الإسلامية قائمة لا محالة وأنها ستستمر إلى قيام الساعة وسيُمكن للمسلمين في الأرض ، بعد القضاء على عدوهم الأكبر وهم اليهود الذين طغوا وتجبروا في الأرض فلن تقوم الساعة حتى يخبر الحجر والشجر المسلم بقتل اليهودي الذي يختبئ وراءه حتى إذا قتله تصبح الأرض كلها لعباد الله المؤمنين ، ويُمكن لهم ولدينهم فيها .

---

1. انظر : تثبيت أفئدة المؤمنين : سيد العفاني ، 93 .
2. سنن أبي داوود : كتاب الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المئة ، ص 639 ، ح 4291 .
3. سبق تخريجه في ص (ج) .
4. صحيح ابن حبان : كتاب البر والإحسان ، باب ذكر وصف إشراك المرء بالله جل وعلا في عمله ، ص 226 ، ح 405 .
5. مسند الإمام أحمد : الأمام الحافظ أحمد بن حنبل ، كتاب أول مسند الكوفيين ، باب حديث النعمان بن بشير، ص 1323 ،ح 18406 .
6 . التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد السيد محمد يوسف ، 271 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : إفساح المجال للناس للدخول في دين الله أفواجًا :

أخبرنا الدين الإسلامي أنّ كل إنسان مفطور بطبعه على الإسلام منذ ولادته ، ولكن طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه هو وأبواه تفرض عليه أن يعتنق الديانة التي يعتنقها المجتمع أو يكون عليها أبواه ، وهذا ما أخبرنا به النبيﷺحيث قال : **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه و يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)** (1) .ولكنّ الله ﷻ أرسل الأنبياء والرسل حتى يوقظوا هذا الإنسان من نومته ويدعوه إلى الأصل الذي فطره الله عليه وهو الدين الإسلامي ، ذاك الدين الحق الذي دعا إليه كل الأنبياء ، ولكنهم واجهوا صعوبات عظيمة في الدعوة إليه لكون الناس اعتنقوا ما كان عليه الآباء والأجداد من عبادة الأصنام ، عندها أمر الله أنبياءه أن يدافعوا عن هذا الدين ، ولقد دافع عنه جميع الأنبياء بكافة الوسائل والسبل ، ودافع عنه رسولنا الكريم باللسان وبالحروب والمعارك حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، حيث قال تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [الأنفال : 39] ، فالهدف النهائي للجهاد هو أن تنقطع فتنة المؤمنين عن دينهم ، وأن تكون كلمة الله ﷻ هى العليا في العالم ، فلن تنال البشرية الكرامة التي وهبها لها الله ، ولن يتحرر الإنسان في الأرض إلا حين يكون الدين كله لله ، فلن تكون هناك دينونة لسلطان سواه ، فلا بد من دفع الأذى والفتنة عمن يعتنقون هذا الدين الإسلامي ويعلنون تحررهم من حاكمية البشر ويرجعون بعبوديتهم لله وحده ويخرجون من العبودية للعبيد في جميع الصور والأشكال وهذا لا يتم إلا بوجود عصبة مؤمنة ذات تجمع حركي تحت قيادة تؤمن بهذا الإعلان العام وتنفذه في الواقع . وكذلك لا بد من تحطيم كل قوة في الأرض تقوم على أساس عبودية البشر للبشر ، وذلك لإعلان ألوهية الله وحده في الأرض كلها ، بحيث لا تكون هناك دينونة إلا لله وحده (2) . وكذلك إنّ بعض الناس يبالغون في حبهم لأديانهم أشد من حبهم أرواحهم ، فالكافر يسعى أبدًا بأعظم وجوه السعي في إيذاء المؤمنين وفي إلقاء الشبهات في قلوبهم وإلقائهم في وجوه المحنة والمشقة ، فإذا وقعت المقاتلة زال الكفر والمشقة وخلص الإسلام وزالت تلك الفتن بالكلية، وبالتالي يخلص الدين الذي هو دين الله من سائر الأديان ويزول الكفر (3) .

قلت : فإذا خلص الدين الإسلامي وأزيل الكفر فإنه يفسح المجال للجميع للدخول في دين الله أفواجًا .

---

1. مسلم : كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ، ص 1024 ، ح2658 .
2. انظر : الأساس في التفسير : سعيد حوى ، 4 / 2174 – 2175 .
3. انظر : الرازي : 15 / 163 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد أمر الله في أكثر من موضع بقتال المشركين فقال سبحانه : ﴿ **فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة : 5] ، والمعنى إن تابوا ورجعوا عن الشرك بالإيمان وأقاموا شعائر الإسلام كالصلاة والزكاة فلا تتعرضوا لهم . [1] وهذا مادل عليه قوله ﷺ حيث قال : (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**) [2] . " إنّ الإسلام دين واقعي يواجه فساد التصور والمعتقدات بالآيات البينات ويقابل قوة الجاهلية والسلطان بالقوة والحركة والسنان " [3] . وأخبر الله ﷻ بأنّ الدين الإسلامي سيظهر على كل الأديان حيث قال : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [الصف : 9] ، حيث إنّ الله ﷻ أرسل محمدًا بالملة الحنفية لتعلي الدين الإسلامي الحق على جميع الأديان المخالفة له ، ولقد فعل ذلك فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام حتى إذا نزل عيسى لم يكن إلا دين الإسلام على الأرض ، فلقد انتشر هذا الدين في مشارق الدنيا ومغاربها وأنجز الله وعده بإعزاز دين الإسلام . [4] " ولقد تمت إرادة الله فظهر هذا الدين على الدين كله ، ودانت له معظم الرقعة المعمورة في الأرض في مدى قرن من الزمان أو أقل ، ثم زحف زحفًا سلميًا بعد ذلك إلى قلب آسيا وأفريقيا حتى دخل فيه بالدعوة المجردة خمسة أضعاف من دخلوا في إبان الحركات الجهادية الأولى ، وما يزال يمتد هذا الدين بنفسه على الرغم من كل من يرصد له في أنحاء الأرض من حرب وكيد ، وما تزال لهذا الدين أدوار في تاريخ البشرية يؤديها ظاهرًا بإذن الله تعالى على الدين كله؛ تحقيقًا لوعد الله الذي لا تقف له جهود العبيد المهازيل ، مهما بلغوا من القوة والكيد والتضليل . " [5] وقال أيضًا في موضع آخر : " ... ولقد كانت تلك الآيات حافزًا للمؤمنين والمخاطبين بها على حمل الأمانة التي اختارهم الله لها ، وكانت تطمينًا لقلوبهم وهم ينفذون قدر الله في إظهار دينه الذي أراده الله أن يظهر وما تزال حافزًا أو مطمئنًا لقلوب المؤمنين الواثقين

---

1. انظر : الطبري : م 6 ، 9 / 4199 ، ومعالم الجهاد الحربي : 2 / 496 .
2. صحيح البخاري : كتاب الإيمان ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، ص 28 ، ح 25 .
3. عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر : عبد الله عزام ، 42 ، مكتبة الرسالة الحديثة .
4. انظر : الكشاف : الزمخشري ، 4 / 1245 ، وصفوة التفاسير : الصابوني ، 3 / 373 .
5. الظلال : سيد قطب ، 6 / 3558 ، وانظر التمكين للأمة الإسلامية : محمد يوسف ، 269 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بوعدهم ، وستظل في الأجيال القادمة مثل هذه المشاعر حتى يتحقق وعد الله مرة أخرى في واقع الحياة بإذن الله رب العالمين " [1] .

" إنّ بروز قوة الإسلام وتقريرها ليستهوي قلوبًا كثيرة تصد عن الإسلام الضعيف أو الإسلام المجهول القوة والنفوذ ، وإنّ الدعوة إلى الإسلام لتختصر نصف الطريق حين تكون الجماعة المسلمة بادية القوة مرهوبة الجانب عزيزة الجناب على أنّ الله –**سبحانه**– وهو يربي الجماعة المسلمة بالمنهج القرآني الفريد لم يكن يعدها وهي في مكة قلة قليلة مستضعفة مطاردة إلا وعدًا واحدًا هو الجنة ، ولم يكن يأمرها إلا أمرًا واحدًا هو الصبر ، فلما أن صبرت وطلبت الجنة وحدها دون الغلب آتاها الله النصر ، وجعل يحرضها عليه ، ويشفي صدورها به ، ذلك أنّ الغلب والنصر عندئذ لم يكن لها ولكن لدينه وكلمته وإن هي إلا ستار لقدرته " [2] . ولقد تحقق الفتح الأكبر يوم فتح مكة حيث قال تعالى : ﴿ **إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً** ﴾ [النصر : 1 – 3] فنزول هذه السورة على النبي ﷺ فيه إشارة إلى أمر يجيء بعد ذلك فيه توجيه له إلى ما يفعله عند تحقق هذه البشارة وظهور هذه العلامة . [3] حيث إنّ سبب نزول هذه الآية كان : لمّا دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح بعث خالد بن الوليد فقاتل بمن معه صفوف قريش بأسفل مكة حتى هزمهم الله ، ثم أمر بالسلاح فرفع عنهم ، فدخلوا في الدين فأنزل الله الآيات ﴿ **إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَ...** ﴾ . [4] وعندما نزلت هذه السورة قال رسول الله ﷺ: (**الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم نقية قلوبهم ، لينة طاعتهم ، الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية**) [5] . ولقد كان يوم فتح مكة نصرًا مؤزرًا، حيث يقول منير الغضبان : " وأُعطي ﷺ مع النصر العزيز والفتح المبين المغفرة لما تقدم من ذنبه وما تأخر ويتم نعمته عليه في النصر والتمكين في الدنيا له ولحزبه ودعوته وبالمغفرة لذنبه " [6]

1. انظر : المرجعان السابقان نفس الجزء والصفحة .
2. التربية السياسية : د. منير الغضبان ، 2 / 147 – 148 ، ط 2 ، 1426 هـ – 2005 م .
3. انظر الظلال : سيد قطب ، 6 / 3995 .
4. لباب النقول : السيوطي ، ص 378 .
5. صحيح ابن حبان : كتاب إخباره عن مناقب الصحابة ، باب ذكر إضافة المصطفى الحكمة إلى أهل اليمن ، ص1954 ، ح 7298 والنظريات العسكرية بين الإعداد والتخطيط : عبد الهادي سعيد الأغا ، إشراف د. جمال الهوبي ، 23 ، 1426 هـ – 2005 م .
6. التربية الجهادية : د. منير الغضبان ، 2 / توثيق الصفحة ، ط6 ، 1426 هـ – 2005 م ، دار الوفاء مكتبة المنار .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث إنّ أحياء العرب كان تنتظر بإسلامها فتح مكة ، يقولون إن ظهر على قومه فهـو نبـي ، فلما فتح الله ﷺعليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا فلم تمض سنتان حتـى استوسـقت جزيـرة العرب بالإيمان ، ولم يبق في سائر القبائل العربية إلا مظهر للإسلام ، حيـث دخـل العـرب جماعات جماعات في الإسلام من غير حرب ولا قتال ، وذلك بعد فتح مكة صارت العرب تأتي من أقطار الأرض طائعة [1] .

قال ابن إسحاق : " وإنما كانت العرب تربّص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش ، وأمر رسول الله ﷺ ، وذلك أنّ قريشًا كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام وصريح ولد إسـماعيل بن إبراهيم **عليهما السلام** ، وقادة العرب لا ينكرون ذلك ، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش وتوّجها الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، كما قال أفواجًا ، يضربون إليه من كل وجه " [2] .

وفي نهاية المطاف ويوم الفتح الأعظم ننظر إلى الرحمة المحمدية ، حيث " وقـف رسـول الله على باب الكعبة ثم قال :(لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبـده وهـزم الأحزاب وحده ، ثم قال : يا أهل مكة ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيرًا أخ كريم وابـن أخ كريم ،قال : فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء ، فأعتقهم رسول الله ﷺ وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئًا ، فلذلك سـمي أهـل مكـة الطلقـاء ثـم بـايعوه علـى الإسـلام فـدخلوا جماعـات كثيفـة كانـت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعدما كـانوا يـدخلون فيـه واحـدًا واحدًا واثنـين اثنـين) [3] .

قلت : هكذا ينبغي على الدعاة أن يكونوا حتى يحببوا الناس في الدين الإسلامي لا أن ينفروا من حولهم ولقد نفر الله ﷺ من الغلظة في الدعوة حيث قال : ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران : **159**] ، وتبقى الدعوة سائرة بالأسلوب اللين حتى يدخل الناس في ديـن الله أفواجًـا ، ولقـد رأينـا فـي واقعنـا المعاصـر كثيـرًا مـن الأجانـب أسـلموا علـى يـد الـدعاة المـسلمين ومـا يـزال الأمـر مـستمرًا إلـى قيـام الـساعة حتـى يـدخل النـاس فـي ديـن الله أفواجًـا ، عنـدها وجـب الحمـد والاسـتغفار كمـا أمـر الله نبيـه ﴿ **فَـسَبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّـكَ وَاسْـتَغْفِرْهُ** ﴾ .

---

1. انظر : الظلال : سيد قطب ،6 / 3994 ، وصفوة التفاسير : الصابوني ، 3 / 615 ، وتوثيق ابن كثير ، و مختصر ابن كثير : 3 / 688 .
2. السيرة النبوية : ابن هشام ، 4 / 214 .
3. انظر : الكشاف : 4 / 1384 ، وانظر الرحيق المختوم : 410 – 411 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن مسروق قال : قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله يكثر في آخر أمره من قوله : (**سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه**) وقال (**أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها**) [1] وكان يقول أيضًا : (**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلمًا**) [2] .

1.صحيح مسلم : كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، ص 235 ، ح 482 .

2 . صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، ص 702 ، ح 1767 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : نتائج هزيمة الكثرة الكافرة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : إزهاق وإذلال الكفر .

أولًا : تدمير رموز الكفر (الأصنام).

ثانيًا : تدمير دولة وسلطان الكفر .

المطلب الثاني : إزهاق وإذلال الكفار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : نتائج هزيمة الكثرة الكافرة :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :إزهاق وإذلال الكفر :

أولاً : تدمير رموز الكفر (الأصنام والأوثان) :

كل حرب من الحروب لها أسباب ونتائج منتظرة إما بالنصر وإما بالهزيمة ، ولكن حديثنا في هذا المقام عن نتائج هزيمة الكثرة الكافرة ، وتشمل تدمير رموز الكفر من الأصنام والأوثان والتي خاض الكافرون فيها الحروب من أجل الاعتزاز بدينهم الباطل والذي هو عبادة الأصنام والأوثان ، ولكنّ الله ﷻ نصر رسله عليهم السلام على عدوه وعدوهم وكان على أيدي رسله تحطيم الأصنام ونقف هنا حول موقفين لذلك ، موقف تحطيم وتدمير الأصنام على يد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وعلى يد سيدنا محمدﷺ . حيث قال الله ﷻ مخبرًا عما فعله سيدنا إبراهيم – عليه السلام– : ﴿ **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** *﴾ [الأنبياء : 57 – 71] ، يعد موقف إبراهيم مع عبادة قومه الأصنام نموذجًا من نماذج تدمير رموز الكفر التي كان يعبدها قومه ، لا سيما وقد كان أباه آزر يصنعها بنفسه . فبين لنا الصابوني أنّ الخليل إبراهيم –عليه السلام– أقسم أن يكيد الأصنام التي كان يعبدها قومه أو يحرض على أذاهم وتكسيرهم بعد أن يذهب القوم إلى عيدهم فطلب منه أبوه أن يذهب معهم إلى العيد فقد يعجبه دينهم وقد كان لهم عيدٌ كل سنة يخرجون فيه ، فلما كان بعض الطريق ألقى بنفسه إلى الأرض واشتكى رجله فتركوه ومضوا ، عندها حقق إبراهيم – عليه السلام– القسم الذي أقسمه فكسر الأصنام وحطمها وجعلها فتاتًا وحُطامًا ، وترك الصنم الكبير لم يكسره فلما رجعوا من عيدهم ونظروا إلى آلهتهم ورأوا ما فُعل بها قالوا إنّ مَنْ حطّم هذه الآلهة لشديد الظلم عظيم الجرم لجرأته على الآلهة المستحقة للتعظيم والتوقير عندها قال من سمعه يحلف أنه ليكيدنهم أنّ شابًا اسمه إبراهيم هو الذي حطّم هذه الأصنام ، فجاؤوا بإبراهيم على رؤوس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأشهاد ليكون عقابه عبرة لمن يعتبر فلما سألوه عن تحطيم الأصنام قال لهم : الصنم الأكبر هو الذي حطمها وكان إبراهيم – عليه السلام – رغم صغره إلا أنه كان ذكيًا ، حيث وضع القدوم في يد الصنم الأكبر حتى يُظن أنه هو الذي حطمها ، وهنا دار حوار بين العقيدة السليمة والشرك الباطل ، حيث بيّن لهم إبراهيم أن كبير الأصنام هو الذي فعل ذلك بدليل أنّ القدوم بيده وطلب منهم أن يسأل الأصنام من حطمها ، عندها رجعوا إلى عقولهم وتفكروا بقلوبهم وأيقنوا أنهم ظالمون في عبادة ما لا ينطق ،ولكنهم انقلبوا من الإذعان إلى المكابرة والطغيان وقالوا لإبراهيم إنّ هذه الأصنام لا تتكلم ولا تجيب ،وهذا إقرار منهم بعجز الآلهة ، وحينئذ توجهت لإبراهيم الحجة عليهم في التوبيخ والتعنيف لكونهم يعبدون ما لا ينفع ولا يضر من الجمادات ، وبدأ إبراهيم –عليه السلام– ببيان وتوضيح العبادة الصحيحة، عبادة الله الذي لا يُشرك معه أحد، وتقبيح العبادة السيئة ،عبادة الأصنام، عندها أصروا على إلحاق العقاب بإبراهيم وهو حرقه بالنار ، ولكنّ الله نجاه منهم [1] .

قلت : لمّا أصروا على المكابرة والعناد في مجادلة سيدنا إبراهيم عليه السلام نجاه الله ﷻ من نارهم التي أوقدوها لحرقه أليس هو القائل : ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾ بعدها أن دبروا وكادوا له ﴿ **وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** * ﴾ فنجاه الله ﷻ بل نجى الله العقيدة السليمة ونصرها على عبادة الأصنام الباطلة ، لذا فمن هنا ينبغي علينا أن نخلص في عبادة الله ﷻ ونبتعد عن كل ما هو شرك أو يؤدي إلى الإشراك ،بالله حيث قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء : 48] ، فمن أشرك بالله يحرمه الله من رحمته وغفرانه ، فالإخلاص هو أساس كل عبادة .

لعل النموذج الذي ترك لنا الأثر الأكبر في نفوس المعتبرين هو ما فعله النبيﷺ يوم فتح مكة . فالهدف الأساسي من وراء مقاتلة المشركين هو حتى يكون الدين كله لله ﷻ حيث قال تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [الأنفال : 39] ، فلقد كانت جميع الحروب والمعارك من أجل تقرير هذه العقيدة السليمة ، ولقد تحقق ذلك يوم الفتح الأعظم حيث قال تعالى : ﴿ **وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** ﴾ [الإسراء : 81].

روي ابن هشام عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : (دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح

---

1 . انظر: صفوة التفاسير : الصابوني ، 2 / 266 – 268 ، ومختصر ابن كثير : 2 / 512 – 514 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : ﴿ **جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** ﴾ فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم إلا وقع) [1] . ولقد " أمر بالصور والتماثيل التي داخل البيت فأخرجت ورميت هي وسائر الأصنام خارج المسجد الحرام ودخل الكعبة وصلى فيها وعبر في سائر نواحيها ثم خرج فجلس في المسجد الحرام " [2] . وفي رواية أخرى أنه دخل مكة وحول الكعبة ثلاث مئة وستون نُصُبًا فجعل يطعنها بعود كان في يده [3] .

قلت : هذا هو التطهير الحقيقي الذي أراده الله ﷻ تطهير كامل من الأصنام فما بقي منها شيء ، وكان ذلك يوم الفتح الأكبر ، أما يوم بدر فكان تدمير رموز الكفر وذلك بمقاتلة الكفار والقضاء على الشرك وإظهار الدين الإسلامي ، فقال تعالى : ﴿ **وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** * ﴾ [الأنفال : 7 – 8]، فأراد الله ﷻ أن يظهر ويعز دينه ويحقق ما وعد به رسوله ، ويبطل الشرك ويزيله ولو كره أولو الاعتداء والطغيان ، حيث لا يكون ذلك بالاستيلاء على العير فقط ، بل بقتل أئمة الكفر من صناديد قريش الذين خرجوا إليهم من مكة ليستأصلوهم وطرحهم في قليب بدر ، فأراد هنا في غزوة بدر أن يجمع بين المؤمنين القلة و الكافرين الكُثر ، أهل الشوكة والقتال لينصرهم عليهم ويُظهر دينه ويرفع كلمة الإسلام ويجعله غالبًا على الأديان ، فأراد الله أن يري عباده المؤمنين من نصره للحق ما لم يخطر ببالهم . وأراد بالحق الأول ما وعد به في معركة بدر من النصر والظفر للجماعة الضعيفة القليلة على الكثرة القوية ، أما الحق الثاني فهو تقوية القرآن والدين ونصرة هذه الشريعة ؛ لأنّ الذي وقع من المؤمنين يوم بدر بالمشركين كان سببًا لعزة الدين وقوته ولهذا قرنه بقوله ﴿ **وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ** ﴾ وهو الشرك يقابله الحق الذي هو الدين والإيمان . [4]

قلت : فالكفر لا بد له من زوال في أي زمان وأي مكان ، ودولة الكفر باطلة وزائلة وليس لها استقرار فهي إن استقرت زمنًا يسيرًا فاستقرار دولة الإسلام أبدي إلى قيام الساعة .

---

1 . السيرة النبوية : ابن هشام ، 4 / 65 .

2 . هذا الحبيب محمد يا محب : أبو بكر الجزائري ، 318 – 319 ، 1424 هـ – 2003 م دار الفجر للتراث .

3 . انظر: صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ، ص 710 ، ح 1781 .

4. انظر: تفسير المراغي : 3 / 171 ، والسعدي : 278 ، و الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، 4 / 235 ، و القاسمي : 8 / 2956 ، و النسفي : 405 – 406 ، والرازي : 15 / 128 ، والشعراوي : 8 / 4585 ، التفسير المنير : 9 / 259 – 260 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا : تدمير دولة وسلطان الكفر :

" **كل ظالم وطاغ له نهاية** " قاعدة عامة لا تخفى على كل ذي عقل ، وسنضرب هنا نموذجين مختصرين لكيفية تدمير دولة وسلطان الكفر ، النموذج الأول : لقوم نوح عليه السلام والنموذج الثاني : تدمير ما كان يصنعه فرعون .

1 . تدمير سلطان ودولة قوم نوح عليه السلام :

نوح هو أول رسول على وجه الأرض ،حيث بعثه الله رحمة للعباد عندما انتشر الفساد في الأرض وعم البلاء بعبادة الأصنام فيها ،عندها بعث الله نوحًا ،ولكن مكث في دعوتهم ألف سنة إلا خمسين ورغم ذلك لم يؤمن معه إلا القليل منهم ، فكانوا كلما انقرض جيل وصوا مَن بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته فثبت عدد المؤمنين على ما هو عليه في قلتهم قال تعالى : ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ** ﴾ [هود : 36] ، فجاءت هذه الآية تسلية لسيدنا نوح عليه السلام بعد أن حدث الإقناط من إيمانهم وأن إيمانهم أصبح كالمحال . فأمره الله بصنع السفينة حتى ينجيه الله ومن آمن معه ويهلك بالعقاب والتدمير الرباني من كان يعبد الأصنام فلقد دعا عليهم نوح –عليه السلام – ، قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً** ﴾ [نوح : 26] واستجاب الله ﷻ لدعوته ، فلما جاء وقت العقاب الرباني أمر الله نوحًا ومن آمن معه أن يركبوا السفينة ، ثم أرسل الله من السماء مطرًا لم تعهده الأرض قبله ولا تمطره بعده كان كأفواه القرب وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر أرجائها ، فارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة عشر ذراعًا وعم جميع الأرض طولها والعرض وجبالها وقفارها ورمالها فلم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير فلم يبقى لهم أثر على وجه الأرض ، ثم قدّر الله أن تعود الحياة من جديد .[1] قال تعالى : ﴿ **قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [هود : 48] ، فأمره الله أن يهبط مسلمًا محفوظًا ، فالسلام والبركات عليه وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممن معه ، وأمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار .[2]

---

1 . انظر: قصص الأنبياء : ابن كثير ، 45 – 66 ، ط 1 ، 1421هـ – 2001 م ، آفاق للطباعة والنشر . والكشاف : الزمخشري ، 2 / 502 .

2 . انظر: الكشاف : الزمخشري ، 2 / 506 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قلت : وما ذلك إلا عبرة لكل معتبر أليس هو القائل سبحانه في كتابه : ﴿ **لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ** ﴾ [الحاقة : 12] ، وهذا ما يذكرنا بواقعنا المعاصر ، وبعذاب شبيه لعذاب قوم نوح وفي دولة إسلامية في دولة أندونيسيا كما شاهد الكثير على شاشات التلفاز ، حيث حدث زلزال (تسونامي) والذي راح ضحيته عدد كبير جدًا فشاهد الأحياء عيانًا كيفية تعذيب هؤلاء القوم عندما انخفض في البداية معدل الماء في البحر فظهرت الأسماك في البحر أحياء عندها ذهبوا لاصطياد السمك فما أن دخل القوم البحر حتى ارتفعت نسبة الماء وبدأت البراكين في البحر تشعل نارًا ،وحوصر الناس في البحر فلم يستطيعوا أن يخرجوا منه فهم بين أمواج تتلاطم بعضها ببعض وبين حمم بركانية نارية تلهب أجسامهم . وبعد هذا المشهد العظيم الذي لم يشهده العالم من ذي قبل ألقيت جثث الموتى مشوهة على شاطئ البحر لا حراك لها ، إنه بحق مشهد مفزع لمن رآه ، وما ذلك إلا لكون المعصية حلت بينهم وتجاوزوا في الطغيان والضلال فحل عليهم الهلاك والتدمير والعقاب الرباني ، أعاذنا الله من عقابه .

2 . تدمير ما كان يصنع فرعون :

إنّ فرعون طاغية من الطغاة الذين وقفوا في طريق العقيدة السليمة فحق عليه أن يدمره الله ﷻ قال تعالى : ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ** ﴾ [الأعراف : 137] ، حيث أهلك الله ﷻ ما كان يصنعه فرعون من العمارات والقصور والصناعات والمكايد السحرية وكل ما كانوا يرفعونه من الجنات والأبنية المشيدة ، وما كانوا يقيمونه من العرائش والسقف في البساتين حيث أهلكها الله ﷻ بالخراب والدمار ، وأعطى أرض فلسطين لمن بعدهم من بني إسرائيل وأعطاها للمسلمين من بعدهم ، لذا ينبغي على المسلمين أن يستردوها من الكافرين . [1] ولكونهم تجاوزوا في الطغيان وبالنعم التي أعطاها الله لهم فقد دعا عليهم سيدنا موسى – عليه السلام – قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** *﴾ [يونس : 88 – 89] ، فدعا عليهم أن يمحق الله أموالهم

---

1 . انظر : فتح القدير : الشوكاني ، 2 / 306 ، والأساس في التفسير : سعيد حوى ، 4 / 1983 – 1984 ، والتفسير المنير : الزُحيلي ، 9 / 72 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويهلكها وتكون متلفة أو حجارة وأن يجعل قلوبهم قاسية مطبوعة لا تقبل الحق ولا تنشرح للإيمان فلقد كان لهم من الزينة التي يتزينون بها ومن أنواع الحلي والثياب والبيوت المزخرفة والمراكب الفاخرة والخدام وأموال عظيمة استعانوا بها على الإضلال في سبيله –**سبحانه وتعالى**– فكانوا يُضلون ويضِلون [1] .

" ووجود النعمة في أيدي المفسدين لا شك يزعزع كثيرًا من القلوب التي لا يبلغ من يقينها بالله أن تدرك أنّ هذه النعمة ابتلاء واختبار وأنها كذلك ليست شيئًا ذا قيمة إلى جانب فضل الله في الدنيا والآخرة ... [إلى أن قال] ويطلب لوقف هذا الإضلال ولتجريد القوة الباغية المضلة من وسائل البغي والإغراء أن يطمس الله على هذه الأموال بتدميرها والذهاب بها بحيث لا ينتفع بها أصحابها " [2] .

قلت : ولقد تحقق التدمير والهلاك لهم قال الله ﷻ ﴿ **قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾* [يونس : 89] حيث أهلكهم وأورث الأرض لمن آمن من بني إسرائيل من بعدهم . قال تعالى : ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا** ﴾ [الأعراف : 137] ، وهذه رسالة عاجلة لكل من حاول الطغيان والضلال في الأرض من اليهود و الأمريكان وأي طاغ في أي زمان ومكان أنْ هيهات هيهات فالموعد آت لا محالة ، والهلاك قادم ووراثة الأرض مؤكدة للمؤمنين فلا تأملوا كثيرًا ولا تستندوا إلى أصحاب العدة والمعدات الحربية فهلاكهم وهلاككم قادم ولو بعد حين . قال رسول الله ﷺ (**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**) [3] . فوراثة الأرض للمؤمنين ومن حقهم ، كما بشر رسولنا الكريم– وهلاك الأعداء سنة من سنن الله على الأرض .

---

1. انظر : فتح القدير : الشوكاني ، 2 / 597 ، وفتح البيان في مقاصد القرآن : أبي الطيب صديق بن حسين بن علي الحسين القنوجي البخاري ، 6 / 112 ، إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ، 1410 هـ – 1989 م ، والسعدي : 328 ، والقاسمي : 8 / 3389 .
2. الظلال : سيد قطب ، 3 / 1817 .
3. سبق تخريجه في ص 38 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : إزهاق وإذلال الكفار :

لما كان الهدف الأساسي من وراء الحروب هو القضاء على دعاة الكفر فلقد كان من نتائج الهزيمة إزهاق وإذلال الكفار فكان منهم مَنْ قتل ومنهم مَنْ أُسر ومنهم مَنْ أُجلي عن البلاد ومنهم مَنْ فُرض عليه الجزية إلى غير ذلك من وجوه الإزهاق والإذلال وغزوة – **بدر وأحد وبني قريظة والنضير** – خير شاهد على ذلك ، قال تعالى : ﴿ **وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [**الأنفال : 7**] ، فأراد الله أن يهلكهم ويستأصل شأفتهم ويمحق قوتهم وبالفعل تحقق ذلك حيث كان الظفر ببدر فاتحة الظفر فيما بعدها إلى أن قطع الله دابر المشركين بفتح مكة [1].

وهذا بيان لمشهد قتل الكفار في بدر حيث ندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا ، فلقد كان الصحابة يسألونه عن أبي سفيان و أصحابه فيقول : مالي علم بأبي سفيان ، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف ، فإذا قال ذلك ضربوه ... وكان يقول (هذا مصرع فلان) ، ويضع يده على الأرض هاهنا هاهنا ، قال :فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله .[2] وإليك مشهد قتل إزهاق وإذلال زعيم الكفر أبي جهل ، حيث كان مصرعه يوم بدر على يدي فتيين حديثي السن ، وهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ ابن عفراء عندما ابتدراه فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا لرسول الله فقال : أيكما قتله ؟ فقال كل واحد منهما : أنا قتلته ، قال : (هل مسحتما سيفيكما ؟) فقالا : لا ، فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال لهما كلاكما قتله [3] . وعندما قُتل قال رسول الله : (مَنْ ينظر لنا ما صنع أبو جهل ؟ فانطلق ابن مسعود . فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برك ، قال فأخذ بلحيته فقال : آنت أبو جهل ؟ فقال : وهل فوق رجل قتلتموه – أو قال – قتله قومه ؟) [4] ومن جهة أخرى فقد أحبط الله ﷻ كل استعداداتهم للحرب على المسلمين وخاصة عندما كانوا ينفقون أموالهم للقضاء على الإسلام فردها الله عليهم حسرة وندامة في قلوبهم ، حيث قال تعالى مخبرًا عما فعلوه – يوم بدر– : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْإِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ [**الأنفال : 36**] .

1 . انظر : المراغي : 3 / 171 .
2 . انظر : صحيح مسلم :كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة بدر ، ص 708 ، ح 1779 .
3 . انظر : الرحيق المختوم : 239 .
4 . صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب قتل أبي جهل ، ص 717 ، ح 1800 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث نزلت فيمن ينفق على حرب النبي ﷺ من المشركين ، وكانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشرة جزور؛ ولكن باء الإنفاق بسوء مغبته ، وانقلابه إلى أشد الخسران من القتل والأسر في الدنيا والنكال في العقبى ، فلقد أنفقوا أموالهم يوم بدر ولكن لا ينفعهم هذا الإنفاق ؛ لأن عاقبته الحسرة ، حيث سيذهب المال ولا يحصل المقصود بل يصيرون مغلوبين في آخر الأمر فغرضهم من الإنفاق هو الصد عن سبيل الله بحسب الواقع وإطفاء نور الله والصد عن اتباع رسوله ولكن جاء التوبيخ الرباني والإنكار على ذلك الإنفاق . (1)

وبين كثير من الآيات إذلال الكافرين ، حيث قال تعالى : ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾ [آل عمران : 12] ، و قوله : ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾ [القمر : 45] ، وكذلك قال تعالى : ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [المجادلة : 21] ولقد قال الله تعالى : ﴿ **فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ** ﴾ [المائدة : 52] حيث تبين هذه الآية الفتح الحقيقي بظهور النبي ﷺعلى الكافرين وهو ما وقع من مقاتلة بني قريظة وسبي ذراريهم وإجلاء بني النضير فأظهر الله أمر المنافقين ودفع صولة اليهود وكسر شوكتهم وأُخبر النبي ﷺ بأمر المنافقين وأُمر بقتالهم فأصبحوا بذلك نادمين على نفاقهم . (2) ولقد وضعت غزوة بنو قريظة معالم المرحلة القادمة من النصر المؤزر الذي افتتح بالقضاء على يهود بني قريظة قضاءً تامًا ومن ثَم وراثة أرضهم وديارهم وأموالهم ، ولقد انتهى حصار بني قريظة بقوله تعالى : ﴿ **فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً** ﴾ [الأحزاب : 26] (3) وعن غزوة خيبر يوضح الغضبان أنها انتهت وحطمت ما بقي في نفسية مكة من مقاومة ، فلقد سقط حليف لها في المنطقة وكانت تأمل أن تُنهي على محمد ولكن الرسول قام بغزوات لها في عقر دارها ، ولقد كان عمرو بن العاص بعيد النظر حين حكم بعد الخندق بانتهاء قريش كقوة عسكرية بعد أن جيّشت الجيوش ، وقادت عشرة آلاف مقاتل لتستأصل شأفة محمد في المدينة ولكنها رجعت تجر أذيال الخيبة (4) .

وكذلك حول ما ورد في إجلاء بني النضير أنّ النبي ﷺ خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية قتلى بني عامر حيث كان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما آتاهم رسول الله يستعينهم

---

1. انظر : أسباب النزول : الواحدي ، ص 177 ، و الرازي : 15 / 161 ، والقاسمي : 8 / 2993 – 2994.
2. انظر : فتح البيان : 3 / 450 .
3. انظر : المنهج الحركي للسيرة النبوية : د. منير الغضبان ، 327 .
4. انظر : المرجع السابق : 408 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في دية القتيلين قالوا له : نعينك على ما أحببت مما استعنت به عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله ﷺإلى جنب جدار من بيوتهم قاعد فمنْ رجل يعلو على هذا البيت فيُلقي عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم ، فقال : أنا ذلك ، فصعد معه صخرة ليلقيها عليه كما قال ، ورسول الله في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعليّ – رضي الله عنهم – ، فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعًا إلى المدينة فلما استلبث النبي ﷺأصحابه فقاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلاً المدينة فأقبل أصحاب رسول الله ﷺحتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله بالتهيؤ لهم والمسير إليهم ، ولقد كان ذلك في شهر ربيع الأول فحاصرهم ست ليال ونزل تحريم الخمر ، ولكنهم تحصنوا منه في الحصون ، وأمر رسول الله بقطع النخيل والتحريق فيها ، ولقد قذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا الرسول أن يجليهم ويكف عن دمائهم ففعل ، واحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، منهم مَنْ كان يهدم بيته ، فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام ، فلم يكن يتوقع المسلمون أنهم قادرون على إخراجهم ، وإذا بالنصر المؤزر يتحقق ، وهذه سنة من سنن الله تعالى في دحر المشاقين والصادين له . [1]

قلت : وهل هناك إذلال أعظم من إذلال الخروج من الديار وفي ذلك عبرة لكل معتبر، حيث قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ** ﴾ [الحشر : 2] ، فأخرج الذين كفروا عند أول حشر وهو حشرهم إلى الشام ولقد كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط ، وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام ، فهو أول خروج لهم حيث أخرجهم رسول الله من ديارهم لقتالهم ، ولكن ظنوا أن شدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم أنّ كل ذلك يقيهم إلا أنّ قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه أضعف قوتهم وقلل من شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة بما قذفه الله في قلوبهم من الرعب ، وألهمهم أن يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على أنفسهم ، ولقد ثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم ، فكل هذه الأمور لم تكن في حسبانهم ومنه أتاهم الهلاك . [1] فهل هناك أعظم من ذلك الإذلال لأولئك الكفار الغادرين الناقدين للعهود

---

1. انظر : السيرة النبوية : ابن هشام ، 3 / 210 – 212 ، و المنهج الحركي : منير الغضبان ، 325 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمواثيق ؟ ومن هنا نقول أن هذه السمة سمة دائمة لليهود في كل زمان ومكان تجري فيهم مجرى الدم في العروق ، فيجب على المسلمين إذا عُقدت بينهم وبين أولئك الغادرين أي معاملات أو عهود وأن يضعوا احتمالاً ثابتًا في مخيلتهم ألا هو الغدر والخيانة منهم ، ولتُبنى جميع المعاملات معهم على حذر .

وأنوه في هذا المقام إلى أنه وإنْ أُسر من أُسر إلا أنه لا يجوز قتل الشيوخ والنساء والأطفال فلقد نهى ﷺعن قتلهم ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (وُجدت إمرأة مقتولة ... فنهى رسول الله ﷺعن قتل النساء والصبيان) [2] .

وهذا مشهد عظيم في الإذلال والإزهاق لرؤوس الكفر ألا وهو يوم فتح مكة ، ونسوق في هذا المقام هذه الرواية عن سعد بن أبي وقاص قال : (لما كان يوم فتح مكة أمّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين ، قال : اقتلوهم ولو وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة : عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خطل ، ومقيس بن صبابة [3] ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح [4] ، فأما عبد الله بن خطل فأُدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عمارًا وكان أشب الرجلين فقتله ، وأما مقيس بن صبابة فأدركه رجل من السوق في السوق فقتله ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصف فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة : أخلصوا ، فإنّ آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا ها هنا ، فقال : لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ، ما ينجيني في البر غيره ، اللهم إنّ لك عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه آتي محمدًا فأضع يدي في يده فلأجدنه عفوًا كريمًا ،قال : فجاء فأسلم) [5] .

---

1. انظر : الكشاف : الزمخشري ، 4 / 1232 .

2. صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ، ص 692 ، ح 1744.

3 . مقيس بن صُبابة : (8 هـ – 630م) بن يسار الكناني القرشي ، شاعر ، اشتهر في الجاهلية ، عداده في أخواله بني سهم ، كانت إقامته بمكة ، وهو ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية ، شهد بدرًا مع المشركين أسلم ثم ارتد فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه ، فقتل يوم فتح مكة . الإعلام : الزركلي ، 7 / 283 .

4. عبد الله بن سعد بن أبي سرح (37 هـ – 657م) القرشي العامري من بني عامر بن لؤي من قريش ، فاتح إفريقية وفارس بني عامر ، من أبطال الصحابة أسلم قبل فتح مكة ، وهو من أهلها ، وكان من كتّاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، كان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح ، وولي مصر سنة 25هـ ، استمر نحو 12عامًا افتتح ما بين طرابلس الغرب وطنجة ، ودانت له إفريقية كلها وغزا الروم بحرًا وظفر بهم في معركة ذات الصواري سنة 34هـ ، وعاد إلى المشرق ، اعتزل الحرب بينه وبين عليّ بصفين ، ومات بعسقلان فجأة وهو قائم يصلي ، وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاع . الأعلام : الزركلي ، 4 / 89 .

5. فقه السيرة : منير الغضبان ، 358 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولنا وقفة مع واقعنا المعاصر والذي كثر فيه في فترة من الفترات وما زال العمــلاء والعيــون المتعاونون مع أعداء الله مقابل مبلغ زهيد من المال ، فهؤلاء إن كان وجودهم يمثل خطرًا كبيرًا على الدين والمجتمع فينبغي علينا أن نتخلص منهم بالقتل إذا أصروا على عمالتهم ، كما أمــر النبي بقتل الأشخاص السابقة أسماؤهم ، فنحن في مجتمع بحاجة إلى أناس مخلصين يدافعون عن ثرى الأرض المقدسة لا أن يدنسوها بأفعالهم الخبيثة ، وذلك حتى لا يتناقلوا أخبار ومخططــات المسلمين إلى الأعداء ؛ لأنّ حربنا مع الأعداء حرب مستمرة إلى قيام الساعة ، فالدين الإسلامي دين السرية والكتمان ، حيث قال ﷺ: **(اســتعينوا علــى إنجــاح حــوائجكم بالكتمــان)** [1] . فمثل أولئك لا نطلعهم على الأمور الخاصة في تخطيطنا للقضاء على العدو هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فلقد حذر الله ﷻ من موالاة الكفار حيث قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُــوا لَــا تَتَّخِــذُوا عَــدُوِّي وَعَــدُوَّكُمْ أَوْلِيَــاء تُلْقُــونَ إِلَــيْهِم بِــالْمَوَدَّةِ وَقَــدْ كَفَــرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ** ﴾ [الممتحنة : 1] .

ولقد حذر أيضًا من موالاة أقرب الأقربين لو كانوا كفارًا ونفــى الإيمــان عــن مَــنْ والاهــم حيث قال : ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْــهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المجادلــة : 22] ، ولقد شاهدنا في فلسطين وغيرهــا مــن الدول الإسلامية تنفيذ حكم القتل ممن يشتبه بعمالتهم مع اليهود والأمريكان أو تورطوا في قتــل بعض القادة المسلمين . فمثل أولئك ليسوا بمسلمين وليس لهم أن يعيشوا بين المــسلمين وفــي بلادهم .

---

1 . سبق تخريجه في ص 103 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

في وحي القرآن طفنا ، ومن عبيره انتهلنا ، وفي إعجازه بحثنا ، إلى أن رست السفينة بشراعها، فغدت بما تحمله بحارها ، من علم نافع ، ونتج يافع ، فيه اللآلئ والعبر ، وجميل ألوان الصور ، منة من الكريم الرحمن صاحب الفضل والإحسان ، العظيم الكريم المنان ، منه سألنا التوفيق ، فعجزنا فمنّا كان التقصير .

فالله أسأل أن أكون وفقت فيه ، وأن يفيد كل صاحب علم به ، وأسدل هنا جملة من النتائج التي توصلت إليها ثم أتبعها بالتوصيات .

أولاً : النتائج :

1. استخدام القرآن الكريم للفظة القلة والنصر والكثرة والتمكين بوجوه متعددة ، وبمعاني استخدمتها العرب ، مع وجود علاقة وثيقة بين تلك الألفاظ .
2. اتصاف القلة المؤمنة بصفات كثيرة ميزتها عن غيرها كالإيمان والطاعة والأخلاق الحسنة وأفضلها خُلق الصبر .
3. الإيمان والطاعة والأخلاق الحسنة والدعوة إلى الله سبب لتحقيق النصر والغلبة والتمكين في الأرض .
4. القيام بواجب الدعوة إلى الله ونصرة الدين سبيل إلى تحقيق النجاة والمدح وهي فريضة مستمرة إلى قيام الساعة .
5. ليس العبرة بالعدد والعتاد ، وإنما العبرة بالإيمان والعقيدة السليمة التي تستوجب معية الله رغم قلة العدد .
6. وجوب الثبات في أرض المعركة وعدم الفرار إلا في الحالات المستثناة .
7. الغدر والخيانة صفة ملازمة لليهود في كل عصر من العصور التي يتواجدون فيها.
8. من صفات الكثرة الكافرة الجحود والكفر والفسق والطغيان وغيرها .
9. أهل الكفر لا ينتصرون بذواتهم ولا يُنصرون بغيرهم فهي قضية دائمة ليست مقصورة على عهد النبي ولكنها ستظل إلى أبد الآبدين .
10. اليد العليا خير من اليد السفلى ، والمال مال الله ، والبذل والعطاء والإيثار من صفات القلة المؤمنة ، فليحذر المترفون الأغنياء من إنفاقه على غير وجه حق .
11. كل ظالم له نهاية وعاقبة ، فعلى المسلمين أن يأخذوا على يده بالنصح والإرشاد ، ولما له من مصلحة لنفسه ومجتمعه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

12. يد القدرة تعصف بالطغاة والمتجبرين في لمح البصر ، وفي أقل من نصف سطر ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ .
13. التوبة لا تنفع عند وقوع العذاب وغرغرة الروح .
14. الفساد والظلم ديدن الكثرة الكافرة من أئمة الكفر والملوك وأعوانهم ومن تبعهم من أقوامهم .
15. الحاكم والسلطان الظالم معزول أو واجب العزل ، فعليه أن يكف عن ولايته ، وهو ليس بسلطان ، ولا يؤخذ من يده .
16. الصراع بين القِلة والكثرة هو صراع عقائدي وصراع دنيوي والمنتصر في النهاية العقيدة السليمة .
17. الكائدون بالدين موجودون في كل زمان ومكان وخاصة الكائدون لسنة الرسول ﷺ ، وتشويه صورته برسم رسوم كاريكاتيرية باطلة منزه عنها .
18. فشل محاولات الأعداء للكيد بالإسلام عن طريق الإعلام والتعليم وأي وسيلة من الوسائل التي تحقق هدفهم ، وتبث أفكارهم المسمومة من أجل تخريج جيل شيطاني شهواني.
19. إقامة الحق والعدل تشيع الطمأنينة ، وتنشر الأمن وتشد علاقات الأفراد ببعض وتقوي الثقة بين الحاكم والمحكوم وتنمي الثروة .
20. تحكيم الشريعة الإسلامية في كل شأن من شؤون الحياة حتى في التجارة وتداول الأموال والتعامل فيها لا يفترق عن سائر العبادات كالصلاة عن باقي شرائع الحياة وأوضاعها .
21. الملك لله وحده وليس لأحد أن ينازعه فيه ، ومن كتب الله له الملك في الدنيا فما هو إلا ملك زائل ، فأنى ينتهي بانتهاء ملك الشخص أو موته .
22. إيثار المصلحة العامة على المصلحة الشخصية ، وعدم اعتبار حقوق الجماعة حقوقًا شخصية ، وتنفير الإسلام من ذلك .
23. لا جهاد ولا شهادة ولا جنة إلا حين يكون الجهاد في سبيل الله وحده ،والموت في سبيله وحده ، والنصر له وحده وفي ذات النفس وفي منهج الحياة .
24. كل مَنْ فوض أمره إلى الله ، وامتثل أمر الرسول ووالي المسلمين فهو من حزب الله .
25. الإعداد بأنواعه له أهمية عظيمة في تحقيق النصر .
26. أهمية الخيل في كل زمان ومكان وإلى قيام الساعة امتثالاً بحديث الرسول ﷺ.
27. استغلال جميع فئات المجتمع المسلم في حالة الحرب والجهاد لما لذلك من دور عظيم في تحقيق النصر، فمنهم من يقاتل ومنهم من يقوم بتقديم الزاد والشراب ومنهم مَنْ يقوم بمداواة الجرحى وهكذا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

28. وجب على المسلمين أن يعدوا من السلاح ويهيئوا من العتاد الحربي ، ويدربوا من الرجال على فنون الحرب والقتال ما يمكنهم من رد هجمات العدو والغزو في سبيل الله لإعلاء كلمته، ونشر العدل والخير والرحمة في الأرض .
29. التفوق في القوة المادية والعلوم والفنون العسكرية ليس هو كل شيء لكسب المعارك، ولكن العامل الأساسي لكسب النصر هو العقيدة السليمة .
30. حاجة الجهاد والمجاهدين إلى نفقة الموسرين في مجال القتال حتى يستكملوا معدات وأسلحة الحرب ومتطلباتها .
31. جواز عقد العهود والمواثيق مع الأعداء ، مع أخذ الحيطة والحذر من الخيانة والغدر، وتوكيل الأمور إلى الله ﷻ.
32. الجهاد يكون بالتضحية بالنفس والمال والوقت .
33. النصر من عند الله يكون بالسيف ويكون بالحجة ، فهو ليس بكثرة عدد ولا عُدة ، فالله هو المعز الذي لا يغالبه مغالب، وهو القهار الذي يخذل من بلغوا من الكثرة والعدد والآلات ما بلغوا .
34. التأليف بين القلوب هو جماع التواد والمساندة وهو أقوى رباط ؛ لأنّ كل عمل يقوم به الإنسان يكون عن عقيدة في القلب .
35. تأييد الله لعباده المؤمنين بأسباب عديدة للنصر في أي وقت شاء ومتى تتطلب الحاجة لذلك، كما حدث في بدر وفرقان غزة ، كالملائكة والرعب وغيرها .
36. من لوازم استمرار التمكين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ، ومن أسباب التمكين إعداد الأفراد الربانيين والقيادة الربانية ومحاربة أسباب الفرقة والاهتمام بالتخطيط والإدارة والقوة الاقتصادية ، وغير ذلك .
37. تحقيق بشارة الله ﷻ دينه بغلبته على كل الأديان ، و لعباده المؤمنين بالنصر والتمكين والاستخلاف في الأرض حتى قيام الساعة .
38. ظهور من يجدد الدين ويحييه مع زوال الغربة التي يعانيها الإسلام والاستظلال في ظل خلافة راشدة على منهاج النبوة .
39. البعد عن المعاصي والتنازع المؤديين إلى الفشل والهزيمة .
40. زوال الكفر وانهيار دولته والهلاك والوعيد آت لا محالة .
41. تجديد الإيمان والبيعة مع الله وإعطاء الولاء الصادق لله ولرسوله وللمؤمنين كي يتحقق النصر .
42. النصر لا يتنزل إلا بعد طول البلاء وشدة المحنة وتمحيص النفوس ضعيفة الإيمان من القوية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

43. الجهاد مستمر إلى قيام الساعة وبه العـزة والكرامـة والـسلطان وبدونـه يكـون الـذل والانحطاط .
44. حـب الـدنيا والتهافـت عليهـا يفقـد الأمـة عـون الله ونـصره .
45. انتصار القِلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، لا يعني عدم انتصار الكثرة المؤمنة ، بل نقصد بذلك انتصار القِلة المؤمنة المخلصة ؛ لأنّ الإخلاص عزيز بين النـاس وعنـدما يـدخل الإخلاص بين صفوف الكثرة فإنّ النصر حليف لها .

ثانيًا: التوصيات :

1. توصي الباحثة بالبعد عن الهوى والجهل في الحكم على الأشياء ، وتحكيم الكتاب والسنة في ذلك .
2. توصي الباحثة بإنفاق المال واستثماره على الوجه الحق ، لا سيما فـي تقـديم المعونـات للمجاهدين من طعام وشراب وسلاح من جهة ، وبناء المؤسسات والمصانع التي تعد لـوازم الجهاد من جهة أخرى ، مع متابعة التطورات التقنية الدولية في ذلك .
3. توصي كل حاكم في حكمه وعامل في عمله بعدم المحاباة وتأدية الأمانة على أكمل وجـه .
4. إعداد الجنود المدربين ، وتأهيلهم لمواجهة العدو .
5. الحذر والحيطة في التعامل مع الأعداء والعملاء ، والقضاء عليهم وتطهير البلاد من دنسهم، لما لهم من خطر عظيم على المجتمع ، مع ضرورة السرية والكتمان ما أمكن ذلك .
6. توصي بدوام الألفة والمحبة والتآخي بين أبناء الشعب الفلسطيني لما له من أثر بـالغ فـي تحقيق النصر ، وضرورة البعد عن التنازع والفشل فهما سبب الهزيمة .
7. استمرارية الأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكـر مـا أمكـن مـن أجـل اسـتمرار دين الله ﷻ على الأرض .
8. توصي الباحثة بالأخذ على يد الظالم بنصحه وتوجيهه للخير فإنْ أبى يوكل أمره وحكمه إلى كتاب الله وسنة رسوله .
10. توصي بدوام الرباط في سبيل الله على الثغور حتى لا يداهم العدو البلاد على حين غرة .
11. توصي طلاب العلم والدارسين بالخوض في غمار القرآن ، والبحث في آياتـه ، وكـشف أسراره ، لاستكمال مشوار العلم وهذه الدراسة ، فمعركتنا طويلة مع العدو ، مستمرة إلـى قيام الساعة .

وختامًـا : أسأل الله أن ينفع بهذا العلم طالبه ، ويكتـب لنـا بحروفـه أجـره ، وينفعنـا بـه فـي الحيـاة وبعـد الممـات ، وآخـر دعوانـا أن الحمـد لله رب العـالمين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ ***الفهارس :***

أولاً : فهرس الآيات القرآنية .

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية .

ثالثاً : فهرس المراجع .

رابعاً : فهرس المحتويات .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	الصفحة
§ سورة البقرة §		
1	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ ... {6} ﴾ .	54
2	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ {25} ﴾ .	17
3	﴿ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ { 48 } ﴾.	5
4	﴿ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ {79 }﴾ .	3
5	﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ { 96 } ﴾ .	130
6	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ ... { 109} ﴾ .	79
7	﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ {120} ﴾ .	80
8	﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـــا... {156} ﴾.	31
9	﴿ أُولَـــئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ {157} ﴾.	31
10	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ {186} ﴾ .	77
11	﴿ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ {247} ﴾ .	105
12	﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَــا الْيَــوْمَ بِجَــالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ {249} ﴾ .	3 ، 4 ، 7 ، 16 ، 78 ، 116 ، 142 ، 144
13	﴿ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا {250} ﴾ .	34 ، 40 ، 98
14	﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ... {250} فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ ... {251} ﴾ .	142
15	﴿... فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ ... {251} ﴾ .	146
16	﴿... وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ {285} ﴾ .	20 ، 94
§ سورة آل عمران §		
17	﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى ... {12} ﴾ .	141، 169
18	﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ ...{13} ﴾ .	138
19	﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ... {26} ﴾ .	88

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

20	﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ... {31} ﴾ .	25
21	﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ... {75} ﴾ .	87
22	﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ... {85} ﴾ .	15
23	﴿ لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ... {92} ﴾ .	62
24	﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ ... {104} ﴾ .	40
25	﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ... {110} ﴾ .	36 ، 39 ، 56
26	﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ... {111} ﴾ .	56
27	﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا...{120} ﴾ .	31
28	﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ... {123} ﴾ .	6، 34، 125
29	﴿ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ ... {125} ﴾ .	5، 6، 98 ، 108
30	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ...{126} ﴾ .	5 ، 6 ،51 ، 135
31	﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {132} ﴾ .	25
32	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ ... {149} ﴾ .	23 ، 25
33	﴿ بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ ... {150} سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ {151} ﴾ .	23 ، 26
34	﴿ بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ{150} ﴾ .	25
35	﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ... {159} ﴾ .	159
36	﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي..{160} ﴾ .	110
37	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ ... {164} أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى ... {165} ﴾ .	35
38	﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ ... {172} ﴾ .	21، 94
39	﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ{173} فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ ... {174} ﴾ .	110
40	﴿ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ... {174} إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ ... {175} وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً ... {176} إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ	18

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

	الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن... {177} ﴾ .	
41	﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ ... {193} ﴾ .	15
42	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ... {200} ﴾ .	30 ، 107
§ سورة النساء §		
43	﴿ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً ... {14} ﴾ .	22
44	﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن ... {48} ﴾ .	163
45	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً {59} ﴾ .	21 ، 25 ، 95
46	﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ ... {69} ﴾ .	25 ، 48 ، 99
47	﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ ... {75}﴾ .	45 ، 47 ، 76، 98
48	﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ ...{76} ﴾ .	76 ، 81
49	﴿ اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ ... {87} ﴾ .	146
50	﴿ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ ... {98} ﴾ .	46
51	﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ... {142} ﴾ .	3
52	﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ... {161} ﴾ .	86
§ سورة المائدة §		
53	﴿ وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي...{12}﴾ .	97
54	﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ... {42} ﴾ .	84
55	﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن... {49}﴾	144
56	﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ ... {52} ﴾ .	169
57	﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ{56} ﴾	96
58	﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً ... {64} ﴾ .	57 ، 58
59	﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ ... {68} ﴾ .	57
57	﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا ...{111}﴾	16

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

§ سورة الأنعام §		
58	﴿ ولَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى ... {34} ﴾ .	31
59	﴿ وكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ... {112} ﴾ .	50
60	﴿ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ... {119} ﴾ .	59
61	﴿ وكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ{129} ﴾ .	64
62	﴿ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ... {152} ﴾ .	83 ، 84
§ سورة الأعراف §		
63	﴿ ولَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ{10}﴾	3
64	﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ... {66} ﴾ .	72
65	﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ{75} ﴾ .	72
66	﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً ... {75} قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ ... {76} فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ... {77} فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ ... { 78} فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ .... {79} ﴾ .	66
67	﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ ... {86} ....فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ{87} ﴾ .	50
68	﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا. {126}﴾	16
69	﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا ... {136} ﴾ .	28
70	﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ و... {137} ﴾ .	48 ، 152 ، 166 ، 167
71	﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ ... {159} ﴾ .	83
§ سورة الأنفال §		
72	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ... {2، 4}﴾ .	14
73	﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ...{7} لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ...{8}﴾ .	164 ، 168
74	﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ{8}﴾ .	117

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

75	﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ{9} ﴾ .	98 ، 117 ، 118 ، 121
76	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ... {10} ﴾ .	145
77	﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء ... {11} ﴾ .	124، 126
78	﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ ...{12} ﴾ .	116 ، 122 ، 129
79	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ...{15} وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ ...{16} ﴾ .	42
80	﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى...{16} ﴾ .	43
81	﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ... {17} ﴾ .	131
82	﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ{18} ﴾ .	136
83	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ ...{20} ﴾ .	22
84	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ ...{24} ﴾ .	94
85	﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ ... {26} ﴾ .	10
86	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ ... {36} ﴾ .	168
87	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ{39} ﴾ .	156 ، 163
88	﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً...{43} وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ ... {44} ﴾ .	138
89	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً ... {45} ﴾ .	42 ، 98
90	﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ... {46} ﴾ .	109
91	﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ ...{60} ﴾ .	100 ، 106 ، 112
92	﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ ...{61} ﴾ .	109
93	﴿ وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ ...{62 – 64} ﴾ .	133
94	﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا ... {63} ﴾ .	134
95	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ{64} ﴾ .	95 ، 134
96	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ ... {65} ﴾ .	44، 109
97	﴿ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم ... {66} ﴾ .	33 ، 44
	§ سورة التوبة §	

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

98	﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ... {5}﴾ .	157
99	﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ ... {25} ﴾ .	117، 144
100	﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ ... {32} ﴾ .	51
101	﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ ... {34} ﴾ .	63
102	﴿ انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ...{41} ﴾ .	111
103	﴿ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ ...{71} ﴾ .	19 ، 22 ، 94
104	﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ ... {81} ﴾ .	112
105	﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ{82} ﴾ .	3
106	﴿ لَـكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ... {88} أَعَدَّ اللّهُ... {89} ﴾ .	112
107	﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم... {111} ﴾ .	111
	§ سورة يونس §	
108	﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ... {88} قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ... {89} ﴾ .	166
109	﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ ...{89} ﴾ .	167
110	﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ....قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ...{90} ﴾ .	68
111	﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ{91} ﴾ .	68
	§ سورة هود §	
112	﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا... {27} ﴾ .	72
113	﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ ... {36} ﴾ .	165
114	﴿ حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا ...{40} ﴾ .	3
115	﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ .. {48} ﴾ .	165
116	﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ... {87} ﴾ .	87
117	﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ... {116} ﴾ .	38 ، 39 ، 40 ، 62
	§ سورة يوسف §	
118	﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ{18} ﴾ .	33
	§ سورة الرعد§	

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

119	﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ{28}﴾	42
§ سورة إبراهيم §		
120	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّـكُم ...{13} وَلَنُسْكِنَنَّـكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ...{14} ﴾ .	152
§ سورة الحجر §		
121	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ{47} ﴾ .	135
§ سورة النحل §		
122	﴿ فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ ... {29} ﴾ .	65
123	﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ... {41} ﴾ .	47
124	﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ {83} ﴾ .	54
125	﴿ مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ.. {106} ﴾ .	81
126	﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ ...{110} ﴾ .	47
§ سورة الإسراء §		
127	﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ ... {16} ﴾ .	61
128	﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً {81} ﴾ .	163
§ سورة الكهف §		
129	﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ... {22} ﴾ .	3
130	﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ...{50} ﴾ .	55
131	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ... {83} إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ...{84}﴾ .	9 ، 154
132	﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً {84} ﴾ .	9
§ سورة الأنبياء §		
133	﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ...{11} فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا... {12} لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ...{ 13} قَالُوا يَا وَيْلَنَا ...{14} فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى... {15} ﴾ .	64
134	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ...{35} ﴾ .	30
135	فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ{58} قَالُوا مَن فَعَـلَ هَـذَا بِآلِهَتِنَا ... بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ{71} ﴾ .	162

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

§ سورة الحج §		
136	﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ{39} الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ... الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ... {41} ﴾ .	51
137	﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ ... {40} ﴾ .	37 ، 79 ، 94
138	﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ... {40} الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا ...{41} ﴾ .	86
139	﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ{41} ﴾ .	9 ، 151
§ سورة النور §		
140	﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى ... {47} ﴾ .	23
141	﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ... أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا {51} ﴾ .	24 ، 94
142	﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ{52} ﴾ .	24
143	﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ... {54} ﴾ .	25
144	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... {55} ﴾ .	150
§ سورة الفرقان §		
145	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً{50} ﴾ .	54
§ سورة الشعراء §		
146	﴿ إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ{54} ﴾ .	3 ، 4
147	﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ ... {119} ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ{120} ﴾ .	51
§ سورة النمل §		
148	﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ...{34} ﴾ .	69 ، 73
149	﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ...{51} فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ... {52} وَأَنجَيْنَا ...{53} ﴾ .	74
150	﴿ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ{53}﴾ .	65
§ سورة القصص §		
151	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً...{4} وَنُرِيدُ... {5} ﴾ .	49
152	﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ... {5} ﴾ .	49

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

153	﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ.. {5} وَنُمَكِّنَ... {6} ﴾	152
154	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي... {38} ﴾ .	73 ، 88
155	﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ...{39} فَأَخَذْنَاهُ... {40} ﴾ .	67
156	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ ...{58} ﴾ .	61
	§ سورة العنكبوت §	
157	﴿ ... فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ {14} ﴾ .	128
	§ سورة الروم §	
158	﴿ الم{1} غُلِبَتِ الرُّومُ{2} فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ..{3} فِي بِضْعِ... {4} ﴾ .	146
159	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ ...{47} ﴾ .	18
	§ سورة لقمان §	
160	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ... {13}﴾ .	63
	§ سورة السجدة §	
161	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ{24}﴾	31
	§ سورة الأحزاب §	
162	﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... {23} ﴾ .	93 ، 111
163	﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً ... {25} ﴾ .	93
164	﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ ... {26} ﴾ .	169
165	﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ... {48} ﴾ .	23
166	﴿ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا{66} ﴾ .	25
167	﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا{67} ﴾ .	70
	§ سورة سبأ §	
168	﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ...{12} يَعْمَلُونَ...{13} ﴾ .	153
	§ سورة فاطر §	
169	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا... {32} ﴾ .	63
	§ سورة ص §	
170	﴿ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ...{6} ﴾ .	72
171	﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ..{18} وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً. {19} وَشَدَدْنَا...{20} ﴾ .	153

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

§ سورة الزمر §		
172	﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ{61} ﴾	98
§ سورة الشورى §		
173	﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ...{15} ﴾ .	84
174	﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ...{40} ﴾ .	63
§ سورة الزخرف §		
175	﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا... {23}﴾	61
176	﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ... {51} ﴾ .	87
177	﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ{54} ﴾ .	73
§ سورة محمد §		
178	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا...{3} ﴾ .	81
179	﴿ فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ ... {4} ﴾ .	92
180	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ{7} ﴾ .	36 ، 92 ، 41 ، 57
181	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ.... {32} ﴾ .	80
§ سورة الفتح §		
182	﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً{1} لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا...{2} وَيَنصُرَكَ ...{3} ﴾ .	10
183	﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ...{16}﴾	25
184	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ... وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً {18} ﴾ .	44
185	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى... {28} ﴾ .	37
§ سورة القمر§		
186	﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي ..{10} فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ....فَكَيْفَ كَانَ ....{16} ﴾ .	98
187	﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ{45} ﴾ .	131
§ سورة الواقعة §		
188	﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا...{41} فِي سَمُومٍ ... مُتْرَفِينَ{45}﴾ .	62
§ سورة المجادلة §		
189	﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ{21} ﴾ .	147

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

190	﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... هُمُ الْمُفْلِحُونَ{22} ﴾ .	172
§ سورة الحشر§		
191	﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ...{2} ﴾ .	170
192	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ ...{4}﴾ .	141
193	﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا ... {5} ﴾ .	141
194	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ... {9}﴾	63
195	﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ ...{12} ﴾ .	5
§ سورة الممتحنة §		
196	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ... {1} ﴾ .	172
197	﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ...{8} ﴾ .	84
§ سورة الصف §		
198	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى...{9} ﴾ .	154، 157
§ سورة القلم §		
199	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ {4} ﴾ .	27، 28
§ سورة الحاقة §		
200	﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ {12} ﴾ .	166
§ سورة المعارج §		
201	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {32} ﴾ .	84 ، 85
§ سورة نوح §		
202	﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ...{3} يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ... {4} ﴾ .	24
203	﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً{26} ﴾ .	98 ، 165
§ سورة الجن §		
204	﴿ إِلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...{23}﴾ .	19
§ سورة النازعات §		
205	﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى{24} ﴾ .	88
§ سورة الطارق §		
206	﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً{15} وَأَكِيدُ كَيْداً{16} فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ ...{17} ﴾ .	13

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

	§ سورة البلد §		
32	﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ {17} ﴾ .	207
	§ سورة التكاثر §		
7	﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ{1} حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ{2} ﴾ .	208
	§ سورة النصر §		
158	﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ{1} وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً{2} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً {3} ﴾ .	209

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الحديث	الصفحة
1	(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ...)	ج ، 71 ، 107 ، 155
2	(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ...)	93
3	(فإذا أمرتكم بشيئ فأتوا منه ما استطعتم ...)	20
4	(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ...)	23
5	(فمن أطاع محمد فقد أطاع الله ...)	22
6	(كان رسول الله أحسن الناس خُلقًا ...)	27
7	(عظم الجزاء مع عظم البلاء ...)	32
8	(عجبًا لأمر المؤمن ...)	33
9	(من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ...)	36
10	(لا تقوم الساعة حتى يقتتل اليهودي والمسلم...)	38 ، 167
11	(اجتنبوا السبع الموبقات ...)	43
12	(اليد العليا خير من اليد السفلى ...)	48
13	(واتقوا الشح فإنّ الشح أهلك ...)	63 ، 65
14	(إنّ الله ليملي للظالم ...)	64
15	(من ظلم قيد شبر ...)	64
16	(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من ...)	65
17	(الكبر بطر الحق وغمط ...)	66
18	(ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ ...)	68
19	(إن المقسطين عند الله على منابر من نور ...)	85
20	(وأهل الجنة ثلاثة ، سلطان مقسط ...)	85
21	(آية المنافق ثلاث ...)	85
22	(اللهم ارحم الأنصار ...)	86
23	(يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ...)	88

www.manaraa.com

24	(كان رسول الله إذا أمر أميرًا ...)	96
25	(من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني ...)	96
26	(عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك...)	99
27	(من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ...)	99
28	(كنا نبايع رسول الله على السمع و...)	99
29	(هل تنصرون وترزقون إلا ...)	99
30	(ألا إنّ القوة الرمي ...)	100
31	(من خير معاش الناس لهم رجل يمسك بعنان فرسه...)	101
32	(من رمى العدو بسهم ...)	102
33	(وكل ما يلهو به المرء المسلم ...)	102
34	(رميًا بني إسماعيل ...)	102
35	(استعينوا على إنجاح حوائجكم ...)	103 ، 172
36	(إنما أنت فينا رجل ...)	105
37	(الخيل معقود في نواصيها الخير إلى...)	106
38	(لرباط ليلة في سبيل الله خير من الدنيا و...)	107 ، 113
39	(ستلقون بعدي أثرة فاصبروا...)	108
40	(اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب ...)	108 ، 147
41	(حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم ...)	110
42	(جاء رجل بناقة مخطومة...)	113
43	(رباط يوم وليلة خير من صيام ....)	113
44	(رجل يجاهد في سبيل الله بنفسه و...)	113
45	(مَنْ جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا...)	114
46	(من لم يغزو أو يجهز غازيًا أو...)	114
47	(اللهم أنجز لي ما وعدتني ...)	119
48	(إنه شهد بدرًا ...)	120

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

49	(أبشر يا أبا بكر ...)	120
50	(إنّ من عباد الله عبادًا...)	135
51	(إذا أحب أحدكم أخاه ...)	135
52	(أن تؤمن بالله وملائكته...)	146
53	(بدأ الإسلام غريبًا ...)	151
54	(إنّ الدنيا حلوة خضرة ، وإنّ الله مستخلفكم ...)	153
55	(لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى...)	154
56	(إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها...)	154
57	(إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل ...)	155
58	(بشر هذه الأمة بالنصر والسناء والتمكين...)	155
59	(تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون...)	155
60	(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه ...)	156
61	(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ...)	157
62	(الله أكبر الله أكبر، جاء نصر الله ...)	158
63	(أخبرني ربي أني سأرى ...)	160
64	(لأخرجن اليهود والنصارى...)	160
65	(دخل رسول الله مكة وحول الكعبة ...)	164
66	(هذا مصرع فلان ...)	168
67	(مَن ينظر لنا ما صنع أبو جهل ...)	168
68	(وجدت امرأة مقتولة ...)	171

ثالثًا: فهرس المراجع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1. الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : خير الدين الزركلي ط 8 ، 1989 م ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان .
2. الأخلاق في الإسلام: د.كايد قرعوش ، خالد القضاة وغيرهم ، ط 2 ، 1422 هـ – 2001 م ، دار المناهج .
3. الأساس في التفسير : سعيد حوى ، ط1 ، 1405هـ – 1985 م ، دار السلام .
4. الأساس في السنة وفقهها : سعيد حوى ، ط 1 ، 1409 هـ – 1989 م .
5. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : مقاتل البلخي ، دراسة وتحقيق د. عبد الله شحاتة، دارغريب .
6. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : مقاتل بن سليمان البلخي ، دار غريب .
7. الإستكبار في الأرض : بحث د. زكريا الزميلي ، 1224 هـ – 2004 م ، – بحث محكم .
8. الإفصاح في فقه اللغة : حسين موسى وعبد الفتاح الصعيدي ، ط 1 ، دار الفكر العربي .
9. الإيمان : محمد بن إسحاق بن مندة ، ط 4 ، 1421 هـ – 2001 م دار ابن حزم .
10. البحر المحيط: محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، ط 2 ، 1422هـ – 2001م دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
11. البحر المحيط في التفسير : أبي حيان الأندلسي ، دار الفكر.
12. البداية والنهاية : أبي الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، ط 1 ، 1416 هـ – 1996 م ، دار أبي حيان .
13. التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون .
14. التربية الجماعية : د . منير الغضبان ، دار الوفاء .
15. التربية الجهادية : د. منير الغضبان ، ط6 ، 1426 هـ – 2005 م ، دار الوفاء مكتبة المنار .
16. التربية السياسية : د. منير الغضبان ، ط 2 ، 1426 هـ – 2005 م .
17. النظريات العسكرية بين الإعداد والتخطيط : عبد الهادي سعيد الأغا ، رسالة ماجستير إشراف : د. جمال الهوبي ، 23 ، 1426 هـ – 2005 م .
18. التربية القيادية ، المنهج التربوي للسيرة النبوية : د. منير الغضبان ، ط 4 ، 1426 هـ – 2005 م ، دار الوفاء .
19. التفسير الكبير : الفخر الرازي : ، دار الكتب العلمية – طهران .
20. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : وهبة الزُحيلي ، ط 1 ، 1411 هـ – 1991 م ،دار الفكر المعاصر – دار الفكر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

21. التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد السيد محمد يوسف ، ط 1 ، 1418 هـ – 1997 م ، دار السلام.
22. التمكين في الأرض : فؤاد سرطاوي من بحوث المؤتمر الخامس لكلية الشريعة بجامعة الزرقاء الأهلية ،من كتاب السنن الإلهية في الكتاب والسنة ، تحرير :جمال أبو حسان ، أنور الشلتوني ، 1424هـ – 2003 م .
23. التوقيف على مهمات التعاريف معجم لغوي مصطلحي : محمد عبد الرؤوف المناوي ، ط 1 ، 1990 م إعادة 2002 م – 1423 هـ دار الفكر المعاصر – لبنان ، دار الفكر دمشق – سورية .
24. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ط 1 ، 1408 هـ – 1988 م ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
25. الدر المنثور في التفسير المأثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، 1414 هـ – 1993 م دار الفكر .
26. الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركفوري ، ط 4 ، 1422 هـ – 2001 م ، دار الوفاء.
27. السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم " أصول وضوابط " : محمد محمد عاشور ، دار السلام .
28. السنن الإلهية في الكتاب والسنة بحوث المؤتمر الخامس لكلية الشريعة بجامعة الزرقاء الأهلية ، بحث الترف ، د . خالد محمد القضاة ، تحرير : د . جمال أبو حسان ، د. أنور الشلتوني ، 1424 هـ – 2003 م .
29. السيرة النبوية : ابن هشام ، ط 3 ، 1421هـ – 2000 م ، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان .
30. السيرة النبوية : ابن هشام ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا إبراهيم الأنباري وغيرهم ، ط 3 ، 1421 هـ – 2000 م ، دار إحياء التراث العربي .
31. السيرة النبوية : محمد متولي الشعراوي ، مكتبة التراث الإسلامي .
32. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية : مهدي أحمد ، ط 1 ، 1412هـ – 1992 م .
33. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة : د. محمد أبو شهبة ، دار القلم .
34. العدالة الاجتماعية في الإسلام : سيد قطب ، ط 5 ، 1377 هـ – 1958 م .
35. العقائد الإسلامية : السيد سابق ، 1406 هـ – 1985 م ، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

36. العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ط1 ، 1408هـ – 1988 م ، مؤسسة الأعلمي بيروت – لبنان .
37. القرآن العظيم : ابن كثير ، ط 1 ، 1426هـ – 2005م دار ابن الهيثم .
38. القصة في القرآن الكريم : محمد سيد طنطاوي ، نهضة مصر .
39. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : د. صلاح الخالدي ، ط 1 ، 1998 م ، دار القلم دمشق – الدار الشامية بيروت .
40. الكتاب السابع من معارك الإسلام الفاصلة غزوة مؤتة : محمد أحمد باشميل ، 391 – 394 ، ط 2 ، 1394 هـ – 1974 م .
41. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : محمود بن عمر الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان .
42. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكَفوي ، ط 2 ، 1431 هـ – 1993 م مؤسسة الرسالة.
43. المحيط في اللغة : إسماعيل بن عباد، ط 1، 1414 هـ – 1994 م ، عالم الكتب .
44. المرام في المعاني والكلام القاموس الكامل : د. مؤنس رشاد الدين ، ط 1 ، 1420 هـ / 1421 هـ -2000م ، بيروت .
45. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن عليّ المقري الفيومي ، دار الفكر .
46. المعجم الصغير : الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط 1 ، 1406هـ – 1986 م ، بيروت – لبنان .
47. المعجم الوسيط ، ط 3 ، مجمع اللغة العربية .
48. المفردات في غريب القرآن: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة بيروت – لبنان.
49. المنهج الحركي للسيرة النبوية : د. منير الغضبان ، ط 15 ، 1427 هـ – 2006 م ، دار الوفاء .
50. الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب : سعود بن عبد الله ، دار الفجر للنشر.
51. النظريات العسكرية بين الإعداد والتخطيط (دراسة قرآنية موضوعية) إعداد الطالب : عبد الهادي سعيد الأغا : إشراف د. جمال الهوبي ، 1426هـ – 2005 م .

52. النكت والعيون : أبي الحسن عليّ بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

53.الهجرة إلى الحبشة ومناقشة قضية إسلام النجاشي : د . محمد عبد الفتاح عليان ، 1993 م مكتبة دار التراث .
54. الوسيط في السيرة النبوية : د. هاشم يحيى الملاح ، ط1 ، 1423هـ – 2003 م.
55. الوسيط في تفسير القرآن المجيد : أبي الحسن النيسابوري ، ط 1 ، 1415 هـ – 1994 م ، مكتبة دار الباز .
56. النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، دار ابن الجوزي ط2 ، 1423 هـ .
57. أخلاق النبي في القرآن والسنة ، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد ، ط 1 ، 1996 م ،دار الغرب الإسلامي .
58. أدب الدنيا والدين: أبي الحسن على بن محمد الماوردي، ط 1 ، 1401 هـ – 1981 م ، دار اقرأ.
59. أساس البلاغة : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، 1402 هـ – 1982م ، دار المعرفة بيروت – لبنان .
60. أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة : د . طالب أبو شعر ، إشراف : مسعد النبراوي ، 1406 هـ – 1407 هـ .
61. أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ : الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، تأليف الشيخ الإمام المحقق أبي القاسم هبة الله بن سلامة أبي النصر . عالم الكتب – بيروت.
62. أصول الأخلاق في القرآن الكريم : د.عمر يوسف حمزة، ط 1 ، 1421 هـ – 2000 م ، دار الخليج .
63. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله البيضاوي، 1416 هـ – 1996 م، دارالفكر.
64. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : أبي بكر جابر الجزائري ، ط 1 ،1414 هـ – 1993 م .
65. إحياء علوم الدين: الغزالي، دار الكتب العلمية .
66. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبي السعود، دار الفكر.
67. بغية الطالبين من إحياء علوم الدين:بقلم أحمد محمد عساف، ط 1 ، 1400 هـ – 1980 دار إحياء العلوم بيروت.
68. تبسيط العقائد الإسلامية : حسن أيوب ، ط 12 ، 1425 هـ – 2004 م ، دار السلام.
69. تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين : د. سيد بن حسين العفاني ،ط 2

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1422هـ - 2002 م ، نشر مكتبة معاذ بن جبل ، توزيع دار العفاني .
70. تفسير الجلالين : العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق الشيخ / مصطفى الحديدي الطير .
71. تفسير القرآن الكريم : د.عبد الله شحاته ، دار غريب .
72. تفسيرالمراغي : أحمد المراغي ، دار الفكر .
73. تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي : تحقيق سيد زكريا ، ط1 ، 1421 هـ - 2000م ، مكتبة نزار مصطفى الباز .
74. تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، الدار المصرية .
75. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط 1 ، 1416هـ - 1996 م ، مؤسسة الرسالة .
76. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ابن جرير الطبري ت310هـ ، ط 1دار الفكر ، ط2
77. جامع الآداب:ابن قيم الجوزية، ط 1 ، 1423 هـ - 2002م ، دار الوفاء.
78. جند الله ثقافة وأخلاقًا : سعيد حوى ، 1418 هـ - 1998 م ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .
79. دراسات في العقيدة الإسلامية : محمد الخطيب ، محمد الهزايمة ، ط 4 .
80. ركن الثبات : د. علي عبد الحليم محمود ، تحليل وشرح أعده في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا ، 1418هـ - 1997 م ، دار التوزيع والنشر الإسلامية .
81. روح البيان في تفسير القرآن: إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوني البروسوي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
82 . زهرة التفاسير : محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .
83 . سنن ابن ماجه : أبي عبد محمد بن يزيد القزويني الشهير (ابن ماجه (209 – 273 هـ) ، مكتبة المعارف ، ط1 .
84. سنن أبو داود : أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (202 – 275 هـ) مكتبةالمعارف ، ط 1 .
85. سير أعلام النبلاء : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ - 1374 م) أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط ، ط 3 ، 1405هـ - 1985 م ، مؤسسة الرسالة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

86. شـــرح أصـــول العقيـــدة الإســـلامية : نـــسيم ياســـين ، ط 2 ، 1420 هــــــ – 1999م .
87. شرح الطحاوي في العقيدة السلفية: صدر الدين على بن على بـــن محمـــد بـــن أبـــي العـــز الحنفي ص 15 – 16 ، مكتبة دار التراث.
88. صحيح مـــسلم : الإمـــام أبـــي الحـــسين مـــسلم بـــن الحجـــاج القـــشيري النيـــسابوري ، (206 – 261 هـــــ) دار إحيـــاء التـــراث العربـــي ، ط 1 ، 1420 هـــــ – 2000 م .
89. صحيح مسلم بشرح الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (676 هــ) ، ضبط وتوثيـــــق :صـــــــدقي العطـــــــار ، دار الفكـــــــر ، 1421 هـــــــــ – 2000 م .
90. صـــــــفوة التفاســـــير : محمـــــــد علـــــــي الـــــــصابوني ، ط 9 ، دار الـــــــصابوني .
91. صحيح البخاري :أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت 256 ، بيت الأفكار الدوليـــة ، 1419 هــ – 1998 .
92. طريق الهجرتين وباب السعادتين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيـــة ، مطـــابع الدوحـــة الحديثة.
93. عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر : عبد الله عزام ، 42 ، مكتبة الرســـالة الحديثـــة .
94. عدالـــة الـــشاهد فـــي القـــضاء الإســـلامي : شـــويش هـــزاع المحاميـــد ، ط 1 ، 1416 هــ ، 1995 م دار الجيل بيروت .
95. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: شمس الدين محمد بن أبـــي بكـــر ابـــن قـــيم الجوزيـــة ، دار الريان للتراث.
96. عقيـــدة المـــسلم : محمـــد الغزالـــي ، ط 2 ، 1399 هـــــ – 1979 م ، دار القلـــم .
97. عناصر القوة في الإسلام : سيد سابق .
98. عوامل النصر : أحمد بحر ، 1424 هــ – 2003 م .
99. غزوة مؤتة ، الكتاب السابع من معارك الإسلام الفاصلة : محمـــد أحمـــد باشـــميل ، ط 2 ، 1394 هــ – 1974 م .
100. فتح البيان في مقاصد القرآن : أبي الطيب صديق بن حسين بـــن علـــي الحـــسين القنـــوجي البخاري ، إدارة إحيـــاء التـــراث الإســـلامي بدولـــة قطـــر ، 1410 هـــــ – 1989 م .
101. فقه التمكين فـــي القـــرآن الكـــريم أنواعـــه ، شـــروطه ، وأســـبابه، مراحلـــه وأهدافـــه : د. علـــيّ محمـــــد الـــصلابي ، ط 1 ، 1421 هـــــــ – 2001 م . دار الوفـــاء .
102. فقـــه الـــسيرة : منيـــر الغـــضبان ، ط 1 ، 1417هـــــــ – 997 م ، دار الوفـــاء .
103. فـــي رحـــاب التفـــسير: عبـــد الحميـــد كـــشك ،المكتـــب المـــصري الحـــديث.
104. في ظـــلال القـــرآن : ســـيد قطـــب ، ط 35 ، 1425 هــــــ – 2005 م دار الـــشروق .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

105. قبس من نور القرآن الكريم : محمد علي الصابوني ، ط 4 ، نشر دار القرآن الكريم – توزيع مؤسسة الريّان ، 1419هـ – 1998 م .
106. قدر الدعوة : رفاعي سرور، 1412هـ – 1992 م ، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة.
107. قصص الأنبياء : ابن كثير ، ط 1 ، 1421هـ – 2001 م ، آفاق للطباعة والنشر .
108. قصص الأنبياء : محمد متولي الشعراوي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .
109. قصص الأنبياء : الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ، ط 1 ، 1420 هـ – 2001 م .
110. لسان العرب للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، ط 1 دار الكتب العلمية 1424 هـ – 2003 م .
111. لباب النقول في أسباب النزول : الإمام السيوطي ، ت 911 هـ ، حقق وعلق عليه د. محمد محمد تامر ، دار التقوى ، ط 1 .
112. مجلة معركة الفرقان من إصدارات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية : آيات الرحمن في معركة الفرقان : بقلم د. عبد الرحمن الجمل ، 1430 هـ – 2009 م .
113. مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، 1425 هـ – 2004 م ، دارالحديث – القاهرة .
114. مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد عليّ الصابوني ، ، دار الصابوني .
115. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم الجوزية، دار الحديث.
116. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية مبادئ وآثار : محمد حافظ صالح الشريدة ، ط 1 ، 1404 هـ – 1984 م .
117. مسند الإمام أحمد : الإمام الحافظ أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس الذُهلي الشيباني ، (164 – 241 م) ، بيت الأفكار الدولية .
118. معالم التنزيل : البغوي ، دار الفكر 1405هـ – 1985 م .
119. معالم الجهاد الحربي:جمال محمود الهوبي رسالة دكتوراة إشراف الطاهر أحمد عبد القادر، 1415هـ – 1995م .
120. معجم المقاييس في اللغة :لأبي الحسين أحمد بن فارس ، ط 1 ، 1415هـ 1994 م ، دار الفكر .
121.معجم التعاريف : عليّ بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، دار الفصيلة .
122. مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة ، د. أحمد عوض أبو الشباب ، ط 1 ، 1420 هـ – 1999 م المكتبة العصرية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

123. مكارم الأخلاق : تقي الدين أحمد بن تيميـة، 1423 هـــ – 2002 م ، المكتبـة العـصرية.
124. من فقـه الـدعوة (زاد علـى الطريـق): مـصطفى مـشهور، 1416 هـــ – 1995 م .
125. منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظـائر فـي القـرآن الكـريم : ابـن الجـوزي ، منشأة المعارف بالإسكندرية .
126. منهاج المسلم : أبو بكر الجزائري
127. موارد الظمآن لدروس الزمان : عبد العزيـز المحمـد الـسلمان ،1413 هـــ – 1992 م .
128. موسـوعة فقـه ابـن تيميـة : محمـد رواس قلعجـي ، ط 2 ، 1422 هـــ – 2001 م
129. نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين : أبي بكـر النـووي ، مؤسـسة الرسالة .
130. هذا الحبيب محمد يا محب : أبو بكـر الجزائـري ، 1424 هـــ – 2003 م ، دار الفجـر للتراث .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء .	أ
شكر وتقدير .	ب
المقدمة .	ج
التمهيد ***" وقفات مع مصطلحات البحث "***	
أولــاً : تعريف " القِـــلة ".	2
ثانيـــاً : تعريف " النصر " .	4
ثالثـــاً : تعريف " الكـــثرة ".	6
رابعًا : تعريف " التمكين ".	8
خامسًا : " السر في ترتيب مصطلحات الدراسة ".	10
الفصل الأول **" صفات القِلة المُؤمنة والكثرة الكافرة وأقسامهما "**	
المبحث الأول : صفات القِلة المؤمنة وأقسامها .	12
المطلب الأول : صفات القِلة المؤمنة .	13
أولـــــاً : الإسلام والإيمان .	13
ثــانيــاً : الطاعة لله ورسوله.	19
ثــالثــاً : الأخلاق الحسنة .	27
رابعـــاً : الدعوة إلى الله ونصرة الدين .	35
خامسًا : الثبات رغم حالة الضعف .	40
المطلب الثاني : أقسام القِلة المؤمنة.	45
أولاً : الرجال المستضعفون والولدان والنساء .	45
ثانيًا : الأنبياء والرسل وورثتهم .	48
المبحث الثاني : صفات الكثرة الكافرة وأقسامها .	52
المطلب الأول : صفات الكثرة الكافرة .	53
أولاً : الكفر .	53
ثانيًا : الفسق .	55

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا : الطغيان .	57
رابعًا : الضلال .	58
خامسًا : الترف .	60
سادسًا : الظلم .	63
سابعًا : الكِبر .	65
المطلب الثاني : أقسام الكثرة الكافرة .	69
أولاً : أئمة الكفر .	69
ثانيًا : الملأ .	71
ثالثًا : القوم .	73
الفصل الثاني **" أسباب الصراع بين القِلة المؤمنة والكثرة الكافرة "**	
المبحث الأول : الصراع من أجل الدين .	75
المطلب الأول : نصر القِلة المؤمنة للإسلام .	76
المطلب الثاني : نصر الكثرة الكافرة للكفر .	79
المبحث الثاني : الصراع من أجل الدنيا.	82
المطلب الأول : التزام القِلة المؤمنة بالعدالة وحفظ الحقوق.	83
المطلب الثاني : احتكار الكثرة الكافرة لمصالحهم الدنيوية بالباطل .	86
الفصل الثالث **" أسباب انتصار القلة المؤمنة وهزيمة الكثرة الكافرة "**	
المبحث الأول : الأسباب البشرية للنصر .	91
المطلب الأول : نصرة القِلة المؤمنة لدين الله .	92
المطلب الثاني : طاعة الله ورسوله والأمير.	94
المطلب الثالث : الإعداد .	102
المطلب الرابع : الصبر والتوكل.	107
المطلب الخامس : بذل الجهد.	111
المبحث الثاني : الأسباب الإلهية للنصر.	115
المطلب الأول : معية الله .	116
المطلب الثاني : الإمداد بالملائكة .	118
المطلب الثالث : التغشية بالنُعاس .	124

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع : المطر .	126
المطلب الخامس : إلقاء الرعب.	129
المطلب السادس : الرمي بالتراب أو الحصى .	131
المطلب السابع : تأييد الله بالنصر والمؤمنين وتأليف قلوبهم.	133
المطلب الثامن : توهين كيد الكافرين .	136
المطلب التاسع : التقليل والتكثير في الأعين.	138
المبحث الثالث : أسباب هزيمة الكثرة الكافرة .	140
المطلب الأول : الأسباب البشرية للهزيمة .	141
أولًا : الكفر .	141
ثانيًا : المعاصي .	144
المطلب الثاني : الأسباب الإلهية للهزيمة.	145
أولًا : تأييد الضعفاء بأسباب النصر .	145
ثانيًا : كتابة الهزيمة عليهم .	146
الفصل الرابع **" نتائج انتصار القلِة المؤمنة وهزيمة الكثرة الكافرة "**	
المبحث الأول : نتائج انتصار القلِة المؤمنة .	149
المطلب الأول : التمكين لدين الله وللقلِة المؤمنة في الأرض.	150
المطلب الثاني : إفساح المجال للناس للدخول في دين الله أفواجًا.	156
المبحث الثاني : نتائج هزيمة الكثرة الكافرة .	161
المطلب الأول : إزهاق وإذلال الكفر .	162
أولًا : تدمير رموز الكفر (الأصنام).	162
ثانيًا : تدمير دولة وسلطان الكفر .	165
المطلب الثاني : إزهاق وإذلال الكفار.	168
الخاتمة .	173
الفهارس .	177
أولًا : فهرس الآيات القرآنية .	178
ثانيًا : فهرس الأحاديث النبوية .	190
ثالثًا : فهرس المراجع .	193
رابعًا : فهرس الموضوعات .	201

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ABSTRACT

Gracious, the In the name of Allah , the most Gracious, most merciful . all the praises and thanks be to Allah ,The lord of the worlds, and peace and blessing of allah be upon the noblest of the prophets and messangers ,our prophet mohammed peace be upon him , and all his friends and every one who walks on his way until the day of recompense after that. this current study deals with highlighting :

"THE VICTORY OF LITTLE BELIVERS GROUP UPON THE PLENTYFUL KUFFAR GROUP IN THE NObLE QURAN" . ObJECTIVITY STUDY""

THIS STUDY CONSISTS OF :-

1- **introduction** :
pauses of study terms ," littleness. Victory Plenty and enabling " .

2- **the first chapter** :
there is characteristic of little believers group and the plentiful kuffar group and their parts .

3 -**the second chapter** :
There is conflict between little believers group and the plentiful Kuffar group .

4- **the third chapter** :
There are reasons of victory of the little believers group and defeat of the plentiful kuffar group.

5- **the fourth chapter** :
There are pauses on results of the little believers group victory and the plentifull kuffar group defeat .

6- **according to realize the last chapters,** the researcher shows that is the victory must be to loyals who follow the Islam and fight in (jihad) Holy fighting in the cause of Allah the right faith is evidence to achieve the victory against the enemies.

Finally, I ask my god to benefit us with this study. and to be a good work for every one.
All the praises and thanks be to allah . the lord of the worlds

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com